



الشاذليات

أبحاث مهداة إلى الأستاذ الدكتور

أ. د حسن شاذلي فرهود

كتبها وأهداها

أبو أوس إبراهيم الشمسان   تركي بن سهو العتيبي

عوض بن حمد القوزي   محمد بن باتل الحربي

١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧م

بسم الله الرحمن الرحيم



الشاذليات

أبحاث مهداة إلى الأستاذ الدكتور

حسن شاذلي فرهود

كتبها وأهداها

أبو أوس إبراهيم الشمسان

الأستاذ في قسم اللغة العربية

جامعة الملك سعود

تركي بن سهو العتيبي

الأستاذ في قسم النحو وفقه اللغة

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

عوض بن حمد القوزي

الأستاذ في قسم اللغة العربية

جامعة الملك سعود

محمد بن باتل الحربي

الأستاذ المشارك في قسم اللغة العربية

جامعة الملك سعود

١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الشمسان، أبوأوس إبراهيم والعتيبي، تركي والقوزي، عوض والباتل، محمد
الشاذليات/ أبوأوس إبراهيم الشمسان وتركي بن سهو العتيبي وعوض بن حمد القوزي ومحمد الباتل الحربي – الرياض، ١٤٢٨هـ
٢٦٢ ص، ٢١× ٢٨سم
ردمك : ٦-٨٢-٠-٥٥-٩٩٦٠
١- اللغة العربية – مجموعات أ- العنوان
ديوي ٨, ٤١٠ ١٤٢٨/٣٨٦

رقم الإيداع : ١٤٢٨/٣٨٦
ردمك : ٦-٨٢-٠-٥٥-٩٩٦٠

إهداء

في هذا الكتاب من الأعمال ما هو قديم وجديد
رأينا أن نهديها لأستاذنا الدكتور حسن، ونرجو
هدفًا ساميًا هو أن نخدم علم العربية صرفه ونحوه
وهذا ما سيبعث في أنفسنا إن تحقق السرور
دامت أيامه بالصحة والهناء ومتعه بكل طريف

المحتويات

مقدمة

وهب نفسه للغة وعلومها تعلمًا وتعليمًا وتحقيقًا ونشرًا لكنوزها. فحين كان الناس يتكالبون على فرص الاستثمار في العقار أو غيرها من طرائق تحسين الأحوال المالية في فترة الطفرة الاقتصادية، في ذلك الحين كان يفني وقته في المطالعة ويذهب نور عينيه في قراءة المخطوطات ليخرجها لمن يروم قراءة كتب التراث والاستفادة منها، إنه أستاذنا النحوي القدير الدكتور حسن الشاذلي فرهود.

والأستاذ الدكتور حسن رجل يعرفه ويعترف له بالتقدمة والفضل كل من هو ظالع بأمور التراث واللغة، كان له ولزميله الدكتور عبدالله الوهيبي رحمه الله فضل كبير في إغناء مكتبة جامعة الملك سعود بمكتبات كاملة وُفقا إلى شرائها من جمهورية مصر العربية وأسسا قسم المخطوطات في الجامعة حتى صار بعد ذلك مركزًا من أهم مراكز المخطوطات في بلادنا.

كان مُعلمًا قديرًا لا تأخذه في الحق لومة لائم، وإن ناله بذلك غير قليل من الأذى الذي صبر عليه صبر العالم المحتسب، واشتهر أمره بين طلابه، عرفوا فيه جده وصرامته والمستوى الرفيع الذي يضع عليه أسئلته، فلم يكن للمهمل أو المتساهل نصيب من النجاح، وكان ذلك يشق عليهم فما تعودوا إلا الرفق واللين في الأسئلة والسهولة في الامتحانات؛ ولكنهم واجهوا أسئلته فوجدوا إجابتها حسب وهمهم دونها خرط القتاد.

ومن طرائف ما حدث أن اسمه في جدول المحاضرات كان يكتب (الشاذلي) وفي فصل من الفصول غيّر كاتب الجدول بأن وضع أمام مقرره (فرهود)، فكان أن تباشر بعض الطلاب الراسبين وعمّت الفرحة أوساطهم؛ فالذي سيدرسهم لهذا العام مدرس جديد هو (فرهود) ولم يعد الشاذلي

حجر عثرة أمامهم، ولكنهم فغروا أفواههم حين دخل عليهم الشاذلي بشحمه ولحمه وبوجهه الأسمر ونظارته السميكة التي ينْزلها شيئا قليلاً على أرنبة أنفه ليطالع من أمامه من فوقها بعينين واسعتين، تبين للطلاب بعد ذلك أن فرهودًا هو الشاذلي نفسه فلم يجدوا طريقًا إلا أن يشمروا عن ساعد الجد تشميرًا.

كان من أهم الأساتذة الذين جذبوني لدراسة اللغة العربية فقد دفعني وأنا في السنة الأولى وهي سنة تحضيرية عامة إلى أن أتخصص فيها في ذلك الوقت؛ دفعني إلى أن أكتب بحثًا في النحو فكتبت عن حروف الجر، وكان بحثًا ابتدائيًا متصفًا بغير قليل من القصور وكذلك تتصف أعمال المبتدئين، وسلمت له البحث ولكنه رأى فيه ما استحسنه من طالب مبتدئ فرصد لي درجة عالية، وأكملت دراستي في القسم ثم ابتعثت إلى جامعة القاهرة وعدت لأعمل في الجامعة وكان أستاذنا قد تقاعد وترك العمل في القسم، وكنا مع بعض الزملاء من طلابه نستأذنه من حين إلى آخر في الزيارة فيلقانا حفيًّا بنا يظهر لنا من كرمه وتقديره ما يخجلنا، كان كريم النفس يحفظ للناس أقدارهم لا يفرق بين كبير أو صغير. ومن أعجب الأمور أنه راح مرة يثني على الفترة التي كنا فيها طلابًا في الكلية، وأعجبُ ما في الأمر أنه لم ينس بحث حروف الجر، وكنت أعجب لذلك؛ ولكن الأمر الذي أدهشني وأدهش من حولي أنه نهض من مكانه وغاب عنا دقائق ثم عاد وفي يده مخطوطة بحث حروف الجر، وهي المخطوطة الوحيدة كتبتها بيدي حين كنت طالبًا في الكلية وحفظها الأستاذ حفظه الله، وكان من كرمه أن قال إنه يستفيد من هذا البحث إلى الآن.

كنا طلابًا في قسم اللغة العربية حين رأينا أول عمل منشور للدكتور حسن وهو تحقيقه لكتاب (الإيضاح العضدي) لأبي علي الفارسي، طبع في القاهرة عام ١٩٦٩م. كنا واقفين أمام الفصل حين أقبل أحد زملائنا وهو يبتسم ثم قال لنا: لقد كشف الدكتور أمري. فقلنا: كيف؟ قال: ذهبت إليه وسلمت عليه وذكرت له أننا اطلعنا على الكتاب الممتاز الذي نشرتموه وهو كتاب قيّم فقاطني على الفور ولم يتركني لأسترسل وقال: أنا... أنا.. أنا ما عندي نسخ للإهداء. لقد أدرك أن الطالب جاءه

يريد نسخة من الكتاب ولكنه لم يكن له حيلة في هذا فليس لديه نسخ وهذا أمر قد يجعل المؤلف نفسه في حرج من أحبابه ومريديه حين تنفد نسخ الكتاب لأن ما طبع منها قليل أو لأن جهة الطبع لم تزود الكاتب إلا بعدد من النسخ قليلة.

ولعل كثرة الطلب لكتاب الإيضاح هو ما جعل الأستاذ يعيد نشر الكتاب مرة أخرى عام ١٩٨٨م على أنه الجزء الأول من الإيضاح العضدي. ونسختي من الكتاب هدية منه، عليها إهداؤه وتوقيعه. وسبقت هذه النشرة بإصداره كتاب (التكملة) لأبي علي الفارسي عام ١٩٨١م، وهو الجزء الثاني من كتاب الإيضاح العضدي ونشرت التكملة جامعة الرياض (جامعة الملك سعود).

ومن أعمال الأستاذ تحقيقه لكتاب (المقصور والممدود) لأبي عبدالله إبراهيم بن محمد نفطويه، طبع في القاهرة عام ١٩٨٠م. ومن تحقيقاته (كتاب مختصر في ذكر الألفات) لأبي بكر محمد بن القاسم بن الأنباريّ، نشر في القاهرة عام ١٩٨٠م. وكتاب (حروف الممدود والمقصور) لأبي يوسف يعقوب بن إسحاق بن السكّيت، نشر في الرياض عام ١٩٨٥م. وكتاب (شرح أبنية سيبويه) لأبي محمد سعيد بن المبارك بن علي بن الدهان النحوي، نشر في الرياض عام ١٩٨٧م. وكتاب (شرح الأنموذج في النحو) لمحمد بن عبدالغني الأردبيليّ، نشرته دار العلوم في الرياض عام ١٩٩٠م.

وإنه ليسرنا اليوم أن نقدم هذه الأبحاث إلى أستاذنا الذي تعلمنا من خلقه وعلمه، وما نفعله اليوم هو تعبير عن محبتنا لشخصه وتقديرنا لما يمثله من علم وإخلاص للعربية وانقطاع لخدمتها وخدمة المشتغلين بأمرها، وهو شعور يحمله كل من اتصل به وعرفه.

خطرت فكرة التكريم لي ذات يوم فمضيت إلى أخي الأستاذ الدكتور عوض بن حمد القوزي أعرض عليه أن نكتب كتابًا نكرم به أستاذنا ففرح بذلك واستحسن الأمر وهو يشارك بكتابة تقديم عن أستاذنا وبحثين، وانظم إلينا مشكورًا أخي الدكتور محمد بن باتل الحربي فكتب بحثين أيضًا. وكنت في زيارة إلى أخي الأستاذ الدكتور تركي بن سهو العتيبي الأستاذ في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية فلمّا حدثته بأمر الكتاب فرح بذلك وأثنى عليه فعرضت عليه أن يشارك معنا في تكريم

الأستاذ لأنه من محبيه ، فاستجاب بحب ورضا وكتب عن شخصية علمية هو الدكتور محمد عبدالخالق عضيمة ، وكان بينه وبين أستاذ ودّ وتعاون علمي واحترام متبادل.

وإنا لنرجو أن يلقى عملنا هذا القبول من القارئ الكريم والرضا من أستاذنا الكريم. والله ولي التوفيق.

حرر في ١٤/١/١٤٢٨هـ

وكتبه
أبو أوس إبراهيم الشمسان
الأستاذ في قسم اللغة العربية
كلية الآداب- جامعة الملك سعود

تقديم

الشاذلي كما عرفته

كتبه

عوض بن د القوزي

الأستاذ قسم اللغة العربية

كلية الآداب - جامعة ا لملك سعود



حسن شاذ فرهود

أما ونحن نقدم هذا الكتاب التذكاري إلى أحد رواد الحركة التعليمية في بلادنا، فإنها مناسبة أن يتعرف القارئ عليه من خلال ما توفر لنا من معلومات عنه، فالأستاذ الدكتور حسن شاذلي فرهود، قليل الكلام عن نفسه وعن الآخرين، يشغلك وأنت معه بنفسك، إذ يرى أن موقعه يجعله مِلْكًا لجليسه، سواء أكان الجليس طالبًا أم زميلاً أم صديقًا عاديًا، أم غير ذلك، يميل إلى الصمت، ويكثر التفكير، يحب العزلة إلا من الكتاب، ولربما اختار خير الجلساء، ليستفيد منه، ويفيده بالمقابل بنشر كنوزه وآرائه، ومن هنا تركنا - ونحن تلاميذه- بعيدًا عن حياته الخاصة والعامة، على الرغم من قربنا إليه وقربه إلى نفوسنا.

الدكتور حسن شاذلي فرهود صبور لا يتشكى، ولا يتبرم أمام الآخرين، ولربما فرح فأخفى نشوة الفرح، فهو في الحزن صابر، وفي الفرح راض شاكر، وكأنه يقول: هكذا هي الحياة، فلا أحزانها تستمر ولا أفراحها تدوم، وما علينا إلا تقبلها والرضا بما تأتي به. مشغول بالعلم، مشغوف بالتراث، معرض تمامًا عما تعلق به كثير من زملائه من أمور الدنيا، فلم يسع لمنصب، ولم ينشغل بجمع مال، وما خاصم أحدًا، ولا اعتدى على أحد. هو مثال للموظف القدير، والأستاذ الأمين، حريصًا على الإفادة، قدوة في المحافظة على الوقت وأداء الواجب. يهش لزائره في مكتبه، ويكرمه ويخدمه في منزله، تمنعه سجيته أن يبادر زائره بالسؤال عن حاجته، ولا يمل جليسه مهما طال مكثه لديه، وهو يفتح بابه لزائريه أكثر من أن يطرق أبواب الآخرين، يحبك في داره، ويعتذر عن تقصيره في ردّ الزيارة، حتى صار معروفًا لدى طلابه وزملائه بأن من يحب قربه واستمرار حبل المودة معه، فلا يعاتبه على إغفاله ردّ الزيارة، وهو لا يعاتب أحدًا إذا قصَّر في زيارته أو الاتصال به.

الدكتور حسن شاذلي فرهود مفتون بالعلم، مخلص للكتاب، يسأل عن أخبار تلاميذه وزملائه، ويفرح لما يسمع من أخبارهم العلمية، يحبك وأنت تسأله في العلم وتستفتيه أو تشاوره، فهو جواد بعلمه، جواد بأدبه وخلقه، سمح في معشره، جادّ في عمله وبحثه.

قبل أكثر من ربع قرن من الزمان صحبته وأنا طالب في مرحلة الماجستير بإشرافه، ولما لم يتغير شيء في هذا الرجل إلا التقدم في السِّن، فإني لا أجد حرجًا من تكرار ما سطرت وأنا أقدم له الشكر عرفانًا بما أسدى إليّ من نصح، وما قدم لبحثي من عون وتوجيه: **"ما إن تحمل مسؤولية الإشراف على هذا البحث حتى تلقاني بالحدب والرعاية، وفتح لي خزانة كتبه، وأمدني بكنوزها من مطبوع ومخطوط في غير مَنّ، وأتاح لي فرصة لقائه في الكلية وفي منْزله، ولم يبخل عليَّ بغزير علمه، وصادق توجيهه ونصحه، وأشهد أني قد أثقلت عليه طيله الصحبة مع (المصطلح النحوي)، ولعمري ما أحسست منه تذمرًا، ولا تضجرًا، ولا تبرمًا، - على كثرة الإلحاح والاسترشاد- فكان يلقاني في تواضع العلماء، ورعاية الآباء، فجزاه الله عني وعن العلم الذي حمل أمانته خير الجزاء".**

وعلى الرغم من صحبة نيفت على الثلاثين عامًا ، بدأت عندما تتلمذت عليه في المرحلة الجامعية ، فمرحلة الماجستير بعدها ، ثم استمرت حتى يومنا هذا ، وعلى الرغم من طول المعرفة به فإني لم أعرف عنه وعن سيرته إلا القليل ، وهاكم ما استطعت معرفته عن أستاذي الفاضل المتواضع الدكتور حسن شاذلي فرهود : فهو من مواليد ينبع البحر ، نشأ وترعرع في أحضانها ، تعلم القراءة والكتابة وحفظ بعضًا من القرآن الكريم في كتاتيبها ، إذ كانت الكتاتيب المكان الوحيد لبدء التعليم ، وقاعدته الأولى في كل أنحاء البلاد.

درس مراحل التعليم الأولى : الابتدائية في ينبع ، والثانوية في مكة المكرمة.

ابتعث إلى القاهرة سنة ١٩٥٤م للدراسة الجامعية ، وحصل على درجة ليسانس في الآداب من قسم اللغة العربية سنة ١٩٥٨م ودبلوم في التربية وعلم النفس سنة ١٩٥٩م من كلية التربية جامعة عين شمس بالقاهرة.

عمل بعد عودته خبيرًا تربويًا بوزارة المعارف ، ثم نقل إلى جامعة الملك سعود بالرياض مسجلاً لكليتي الآداب والتجارة ، فمعيدًا بكلية الآداب قسم اللغة العربية.

أكمل تعليمه العالي في بريطانيا ، حيث حصل على درجة دكتوراه الفلسفة في فقه اللغة العربية من مدرسة اللغات الشرقية والإفريقية بجامعة لندن ١٤ سبتمبر عام ١٣٨٦هـ/١٩٦٦م.

شارك في النهضة التعليمية في مراحلها العليا في بلاده ، وتدرج في السلك الأكاديمي من أول درجاته إلى أعلاها ، كما هو موضح في الجدول الآتي :

الوظيفة	تاريخ بدايتها	تاريخ نهايتها
معيد	١٣٧٩/٤/٣٠ هـ	١٣٨٦/٧/١هـ
مدرس	١٣٨٦/٧/١ هـ	١٣٨٧/٩/٢٩هـ
أستاذ مساعد	١٣٨٧/٩/٢٩ هـ	١٣٩٤/٧/١هـ
أستاذ مشارك	١٣٩٤/٧/١ هـ	١٣٩٨/٩/٤هـ
أستاذ	١٣٩٨/٩/٤ هـ	١٤٠٦/١/١هـ

ومن أعماله الجليلة ومشاركاته أنه :

❖رأس قسم المخطوطات والوثائق بجامعة الملك سعود.

❖شارك في عضوية هيئة التحرير لمجلة كلية الآداب ثم رأس تحرير المجملة نفسها.

❖رأس لجان الاختبارات في كلية الآداب لعدد من السنوات.

❖انتدب للتدريس في كلية البترول والمعادن بالظهران لفصل دراسي كامل.

❖أشرف على الرسائل العلمية للماجستير والدكتوراه لطلاب وطالبات الدراسات العليا بكلية الآداب جامعة الملك سعود.

❖شارك في لجان متعددة داخل الوطن وخارجه، كالمشاركة في لجان التحكيم للبحوث المقدمة للترقية في بعض الجامعات في الدول العربية والمملكة العربية السعودية.

❖مثّل بلاده في العديد من المؤتمرات الدولية.

❖شارك في لجان التحكيم لتقويم بعض البحوث للجوائز العالمية.

❖عضو لجنة تأليف كتب اللغة العربية للمرحلة الثانوية بوزارة المعارف والرئاسة العامة لتعليم البنات.

❖له سبعة وعشرون مؤلفًا بين تحقيق وتأليف.

❖منح ميدالية الاستحقاق بأمر المقام السامي من الدرجة الأولى مع البراءة الخاصة بها بمناسبة مرور ربع قرن على تأسيس جامعة الملك سعود.

وتقاعد أخيرًا عام ١٤٠٦هـ قبل أن يبلغ الإحالة الرسمية.

أمدّ الله في عمره، وبارك جهوده، وجزاه خير الجزاء كفاء ما قدم لوطنه ولتراث الأمة من خدمات، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله.

التخلّص من المتماثلات لفظًا

أبوأوس إبراهيم الشمسان
الأستاذ في قسم اللغة العربية
كلية الآداب- جامعة الملك سعود

الملخص

تكره العرب اجتماع الأصوات المتماثلات، كاجتماع: الهمزات، والواوات، والياءات، والنونات، والحروف المضعّفة بصفة خاصة. ولذا ندر ورود كلمات حروفها كلها من جنس واحد؛ فالجذر الثلاثي قلّ مجيئه على مثال الخمسة. وتعود تلك الكراهية إلى ما يؤديه الاجتماع من ثقل، وهو ثقل ذو مراتب كما يلاحظ في تأليف الكلمات؛ فالمتماثلات من غير العلل أكثر من المتماثلات من العلل، والتماثل في العين واللام أكثر منه في الفاء واللام؛ لأن التماثل في العين واللام يمكن التخلص منه بالإدغامن وليس كذلك التماثل في الفاء واللام. ومن أجل ذلك جاء من العلل تماثل العين واللام وأهمل ذو الفاء واللام. وعلى نحو ما يكره التقاء المتماثل من الحروف يكره ذلك في الحركات. وهذه المتماثلات قد يصار إلى تفادي اجتماعها بوسائل مختلفة. أما كراهة التماثل فتفاديه مرتبط بمبدأ لغوي عام هو بذل الجهد الأقل عند الإجراء اللغوي؛ لذا تحدث جملة من التغيرات هي ما يسمى بوسائل التخلص من ذلك التماثل. وسوف نحاول جهدنا تنظيم تلك الوسائل. ومن تلك الوسائل إدغام الصامتين ليتوصل إلى نطقهما بلقاء واحد لأعضاء النطق، ومنها تخفيف أحد الصامتين، ومنها قلبه أو إبداله ليتخالفا، ومنها حذف أحدهما، ومنها إقحام صوت بين المتماثلين. وتمثل الوسائل السابقة قواعد التخلص من المتماثلات ولها ترتيب؛ إذ القاعدة الأولى هي الإدغام. فإن تعذر الإدغام؛ لأن الأصوات يصعب إدغامها —مثل الهمزتين من كلمتين— طبقت القاعدة الثانية، وهي التخفيف. وقد يتعذر الإدغام لوجود ثلاثة متماثلات، وكذا يتعذر التخفيف؛ لأنها أصوات لا تخفف؛ لذلك تطبّق القاعدة الثالثة، وهي القلب أو الإبدال. ولكن قد يتعذّر الإدغام، ويتعذر التخفيف، والقلب؛ ولذلك تطبّق القاعدة الرابعة، وهي الحذف. فإن كان الصوت مما يمكن إبداله جاز تطبيق القاعدة الثالثة أو الرابعة والأمر في ذلك اتجاه لهجي. ولكن قد لا يمكن تطبيق قاعدة من القواعد السابقة فتطبق القاعدة الخامسة، وهي إقحام صوت بين مثلين من تلك المتماثلات. وينقسم حكم التخلص من التماثل قسمين: واجب، وجائز. أما الواجب فهو ما ورد فيه عن العرب طريقة واحدة هي طريقة التخلص، وأما الجائز فهو ما ورد فيه عن العرب طريقان فأكثر، منها الإبقاء على تلك المتماثلات دون تخلّص من تماثلها. وهو أمر لهجي حاول البحث رصده أيضًا.

* * *

يصرح سيبويه في مواطن كثيرة من كتابه بكراهية العرب لاجتماع المتماثلات، ومن هذه المتماثلات المكروهة: الهمزات، والواوات، والياءات، والنونات، والحروف المضعّفة بصفة عامة، وكذا الحرفان الساكنان. قال سيبويه عن التضعيف: "أعلم أن التضعيف يثقل على ألسنتهم، وأن اختلاف الحروف أخف عليهم من أن يكون من موضع واحد"[١].

ومما يشعر بكراهتهم ندرة ورود كلمات حروفها كلها من جنس واحد، قال ابن خالويه: "ليس في كلام العرب: كلمة تامة حروفها كلها من جنس واحد فأدغم استثقالا، إلا حرفين: غلام بَبَّة، أي سمين... والحرف الثاني: قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: لَئِنْ بَقِيتُ إلى قابلٍ لأجْعَلَنَّ الناس بَبَّانًا واحدًا"[٢].

ولذا فإن الجذر الثلاثي قل مجيئه على مثال الخمسة، قال سيبويه: "ألا ترى أنهم لم يجيؤوا بشيء من الثلاثة على مثال الخمسة، نحو: ضَرَبَّب، ولم يجئ فَعَلَّلٌ ولا فَعُلَّلٌ إلا قليلاً، ولم يبنوهنَّ على فُعَالِل كراهية التضعيف"[٣].

ولكراهة اجتماع الواوين لم يرد فعل فاؤه ولامه واو، قال سيبويه: "واعلم أن الفاء لا تكون واوًا واللام واوًا في حرف واحد. ألا ترى أنه ليس مثل وَعَوْتُ في الكلام، كرهوا ذلك كما كرهوا أن تكون العين واوًا واللام واوٌ ثانية، فلما كان ذلك مكروهًا في موضع يكثر فيه التضعيف نحو رَدَدْتُ وصَمِمْتُ، طرحوا هذا من الكلام مبدَلاً وعلى الأصل، حيث كان مثلُ قَلِقَ وسَلِسَ أقلَّ من مثل رَدَدْتُ وصَمِمْتُ"[٤].

---

(١) أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه، الكتاب، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون (ط٢، الهيئة المصرية العامة للكتاب/ القاهرة، ١٩٧٩م.) ٤: ٤١٧.

(٢) أبو عبدالله الحسين بن أحمد بن خالويه، ليس في كلام العرب، تحقيق: أحمد عبدالغفور عطار (مكة المكرمة، ١٩٧٩م.) ص٣٦.

(٣) الكتاب، ٤: ٤١٧.

(٤) الكتاب، ٤: ٤٠٠، و العين واللام لا يكونان واوًا في كلمة واحدة". انظر: مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، القاموس المحيط (مؤسسة الحلبي/القاهرة)مادة: وزا. أما الياء فذكر المازني مجيء الفاء واللام منها، على قلة، مثل: يديت إليه يدًا. انظر: أبو الفتح

ويفهم من ذلك أن للثقل مراتب في تأليف الكلمات فالمتماثلات من غير العلل أكثر من المتماثلات من العلل. والتماثل في العين واللام أكثر منه في الفاء واللام؛ لأن التماثل في العين واللام يمكن التخلص منه بالإدغام وليس كذلك التماثل في الفاء واللام. ومن أجل ذلك جاء من العلل تماثل العين واللام وأهمل ذو الفاء واللام.

وهذه المعتلات عينًا ولامًا قد يصار إلى تفادي التماثل فيها، قال المازني: "اعلم أنك إذا قلت: (فَعَلت) من هذا عدلته إلى (فَعِلت) لينقلب موضع اللام ياء استثقالاً لبنات الواوين في الفعل؛ كما استثقلوا أن تجيء الهمزة مضاعفة، وما قرب من الهمزة في المخرج؛ فلم يتكلَّموا به إلا قليلاً كراهة ما يستثقلون، والواو مما تُسْتَثْقَل، فكرهوا التضعيف فيها؛ وذلك نحو: (قَوِيتُ، وحَوِيتُ)"[١]. وبيّن ابن جني أصل الفعل قبل الإعلال فقال: "فأصل (قَوِيتُ، وحَوِيتُ: قَوِوْتُ، وحَوِوْتُ) فانقلبت اللام التي هي واو ياءً؛ لانكسار ما قبلها، ولم يستعملوا فيه (فَعَلْتُ) ولا (فَعُلْتُ)، فيقولوا: (قَوَوْتُ، تَقْوُوُ، وقَوُوْتُ)؛ لأنهم إذا استثقلوا الواو الواحدة فبنوا الماضي على (فَعِلت) لتنقلب ياءً نحو: (شَقِيتُ، ورَضِيتُ)، فهم باستثقال الواوين والضمة أجدر"[٢].

وإن يكن التقاء المتماثلات من الحروف مكروهًا فإن التقاء ثقيلين مكروه أيضًا؛ وذلك التقاء التضعيف والثقيل من الحركات وهو الضمة، فالضمة تستثقل مع الحروف المضعفة، قال سيبويه: "واعلم أنَّ ما كان من التضعيف من هذه الأشياء فإنه لا يكاد يكون فيه فَعُلتَ وفَعُلَ؛ لأنهم قد يستثقلون فَعُلَ والتضعيف فلما اجتمعا حادوا إلى غير ذلك، وهو قولك: ذَلَّ يَذِلُّ، ذُلاً وذِلَّةً، وذليلٌ، فالاسم والمصدر يوافق ما ذكرنا، والفعل يجيء على باب جَلَسَ يَجْلِسُ"[٣]، وقد يجمع بينهما على قلة، قال سيبويه: "وزعم يونس أنَّ من العرب من يقول لَبُبْتَ تَلُبُّ، كما قالوا: ظَرُفْتَ تَظْرُفُ،

عثمان بن جني، المنصف: شرح كتاب التصريف للمازني، تحقيق: إبراهيم مصطفى وعبدالله أمين (ط١، القاهرة، ١٩٥٤م.) ٢: ٢١٥.

[١] المنصف، ٢: ٢٠٩.

[٢] المنصف، ٢: ٢١٠.

[٣] الكتاب، ٤: ٣٦- ٣٧.

وإنما قلَّ هذا ؛ لأنَّ هذه الضمة تستثقل فيما ذكرت لك ، فلما صارت فيما يستثقلون فاجتمعا فرُّوا منهما"[١].

أما تفسير هذا فهو مرتبط بمبدأ لغوي عام هو بذل الجهد الأقل عند الإجراء اللغوي ، وهذا ما يعبر عنه سيبويه على نحو رائع في قوله : "وذلك لأنه يثقل عليهم أ ، يستعملوا ألسنتهم من موضع واحد ثم يعودوا له ، فلما صار ذلك تعبًا عليهم أن يداركوا في موضع واحد ولا تكون مهلة ، كرهوه وأدغموا ، لتكون رفعة واحدة ، وكان أخف على ألسنتهم مما ذكرت"[٢].

ويبين في رصده للظواهر اللغوية أنّ طائفة من التغيرات الصوتية والصرفية مردها إلى تلك الكراهية.

وهذه التغيرات ما هي إلا وسائل التخلص من ذلك التماثل ، وسوف نحاول جهدنا تنظيم تلك الوسائل معتمدين على المادة المتفرقة في كتاب سيبويه في المقام الأول وما نجده بعد ذلك في غيره.

ويمكن التقسيم على أساس وسائل التخلص من التماثل وجعل ذلك مداخل للحديث. ويمكن أيضًا التقسيم على أساس المتماثلات وجعل ذلك مدخلاً للحديث يبيّن فيه وسائل التخلص من المتماثلات لا بيان المتماثلات نفسها اكتفاءً بالإشارة إليها سابقًا.

أولاً : وسائل التخلص من المتماثلات

١- الإدغام

يمكن أن يُعَدَّ الإدغامُ من أهم ما تتوسل به العربية للتخلص من الأصوات المضعفة ، وذلك بإدغامها وقد تقدم التفسير اللغوي لذلك. وتعود تلك الأهمية إلى أنه يجمع بين المحافظة على المتماثلين والتخلص من ثقل اجتماعهما. وأمثلته كثيرة سنجتزئ ببعضها عن بعض ، فمن ذلك التخلص من اجتماع المتماثلين في الفعل المضعف ، قال سيبويه : "أمّا ما كانت عينه ولامه من موضع واحد فإذا

---

[١] الكتاب ، ٤ : ٣٧.

[٢] الكتاب ، ٤ : ٤١٧.

تحركت اللام منه وهو فعل ألزموه الإدغام، وأسكنوا العين. فهذا مثْلثبّ في لغة تميم وأهل الحجاز"[١]، ولّما كان شرط الإدغام سكونَ الأول وتحركَ الثاني كان أهل الحجاز لا يدغمون إن جزم الفعل، أما بنو تميم فإن حرصهم على التخلص من التضعيف جعلهم يدغمون، قال سيبويه: "فإن أسكنت اللام فإن أهل الحجاز يجرونه على الأصل؛ لأنه لا يسكن حرفان. وأما بنو تميم فيسكنون الأول ويحركون الآخِر ليرفعوا ألسنتهم رفعة واحدة وصار تحريك الآخِر على الأصل، لئلا يسكن حرفان، بمنْزلة إخراج الآخرين على الأصل لئلا يسكنا"[٢]. ومثل الأفعال الأسماء المشتقة منها، مثّل سيبويه لذلك في قوله: "وذلك قولك: مُسْتَرِدٌّ ومُسْتَعِدٌّ ومُمِدٌّ ومُمَدٌّ ومُسْتَعَدٌّ، وإنما الأصل مُسْتَعْدِدٌ ومُمْدِدٌ ومُسْتَعْدَدٌ"[٣].

وعلى الرغم من اختلاف الحجاز وتميم في إدغام الفعل المجزوم فإن فك الإدغام هو طريقتهم إن كان الفعل مسندًا إلى ضمير رفع متحرك، قال سيبويه: "وأهل الحجاز وغيرهم، مجتمعون على أنهم يقولون للنساء: ارْدُدْنَ، وذلك لأنَّ الدال لم تسكن ههنا لأمر ولا نهي. وكذلك كل حرف قبل نون النساء لا يسكن لأمر ولا لحرف يجزم"[٤].

وأما بعض العرب فيمعن في كراهية التضعيف فلا يفك الإدغام بل يبقي عليه وإن كان الفعل مسندًا إلى هذه النون التي تقتضي السكون المخل بشرط الإدغام، قال سيبويه: "وزعم الخليل أن ناسًا من بكر بن وائل يقولون: رَدَّنَ ومَدَّنَ ورَدَّتُ، جعلوه بمنْزلة رَدَّ ومدَّ"[٥].

---

[١] الكتاب، ٤: ٤١٧.

[٢] الكتاب، ٤: ٤١٧- ٤١٨.

[٣] الكتاب، ٤: ٤١٨.

[٤] الكتاب، ٣: ٥٣٤.

[٥] الكتاب، ٣: ٥٣٥. وجاء في شرح الشافية: "وبعضهم يزيد ألفًا بعد الإدغام، نحو: ردَّاتُ وردَّانَ؛ ليبقي ما قبل هذه الضمائر ساكنًا كما في غير المدغم". انظر: رضي الدين محمد بن الحسن الاستراباذي، شرح الشافية، تحقيق: محمد نور الحسن ومحمد الزفزاف ومحمد محيي الدين عبدالحميد (مصورة دار الكتب العلمية/ بيروت، ١٩٧٥م.) ٣: ٢٤٥.

ومن شدّة كراهيتهم للمتماثلات ما نجدهم تخلصوا منه على بعد. مثال ذلك ما يفصله ابن جني في قوله : "وقد أجرت العرب ما ليس بلازم مُجرى اللازم في مواضع من كلامها منها قوله تعالى: لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي [٣٨- الكهف]؛ والأصل(لَكِنْ أَنَا) فخففت الهمزة بأن حذفت وألقيت حركتها على النون الساكنة قبلها؛ فصارت في التقدير (لَكِنَنَا) فكرهوا اجتماع حرفين مثلين متحركين؛ فأسكنوا الأولى منهما وأدغموها في الثانية فقالوا: (لَكِنّا)"[١].

ومن قبيل ذلك ما قد يدغم فيه التاء في عين الفعل المماثلة لها أي حين يكون تاءً في بناء (افْتَعَلَ). قال ابن جنّي: "اعلم أن من قال (قَتَّلَ) فإنما كره ظهور التاءين في (اقْتَتَلَ) فسكن الأولى ونقل حركتها إلى القاف، فحذف همزة الوصل لتحرك ما بعدها، ثم أدغم التاء الأولى في الثانية، فقال (قَتَّلَ)"[٢].

وربما دفعتهم رغبتهم في التخلص من المتماثلين بالإدغام إلى قلب أحدهما ليقارب حرفًا مجاورًا يدغم فيه، ومن ذلك (ستّ)؛ فالأصل فيها (سدس)، قلبت السين تاءً لتدغم في الدال، وننقل قول سيبويه في ذلك في موضعه عند الكلام على إبدال السين تاءً في الفقرة (٧/٣) من هذا البحث.

ومن التخلص بالإدغام التخلص من التقاء نون الرفع ونون الوقاية، قال المازني: "ومثل ذلك (هم يضربونَنِي ويشتمونَنِي) يجوز فيهما الإظهار والإدغام. ومثله (هو يَدْفِنُنِي) لأن هذه النون لا يلزمها أن يكون بعدها نون، وإنما تكون إذا عنى المتكلم نفسه"[٣]، قال ابن جنّي في شرحه القول السابق: "ومن يدغم يجريه مجرى اللازم فيقول (يضربُونّا، وهو يُمْكِنِّي)، قال الله تعالى: قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ [٨٠- الأنعام]"[٤] وذكر ابن جني أنّ هناك من يتخلص من ذلك بحذف النون الآخِرة[٥].

---

[١] المنصف، ٢: ٢٨.

[٢] المنصف، ٢: ٢٢٢.

[٣] المنصف، ٢: ٣٣٦.

[٤] المنصف، ٢: ٣٣٧.

[٥] المنصف، ٢: ٣٣٧. وانظر موضع حذف النون مدخل ٢/٤.

ويتبين من النظر في أمثلة التخلص من المتماثلين بالإدغام أن من ذلك ما هو من قبيل الواجب الذي اتفق عليه العرب ومنه ما هو من قبيل الجائز إذ يأتيه بعضهم ويتركه بعض وذلك لمن أراد الخفة ، ويكون الأمر سمة من سمات اللغة الخاصة ، إذ يعود الحجازيون إلى إظهار التضعيف في الفعل المجزوم ويبقي التميميون على الإدغام.

٢- التخفيف

إنّ اجتماع همزتين من كلمتين ثقيل ولكنه ثقل لا يدرك التخلص منه بالإدغام ؛ بل بالتخفيف. والهمزة تخفف في اللفظ ؛ ولكن ما يهمنا من أسباب تخفيفها هو عند اجتماع الهمزتين ؛ ذلك أن جمهرة العرب تعمد إلى تخفيف إحداهما "فليس من كلام العرب أن تلتقي همزتان فتحققا"[١] ، وقد وردت القراءة بتحقيق الهمزتين ، على نحو قراءة قوله تعالى سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ [٦- البقرة] وقوله تعالى أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ [١٣- البقرة] وقوله تعالى وَلا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلاَّ بِأَهْلِهِ [٤٣- فاطر] وقد نبّه الأخفش إلى شذوذ ذلك في قوله : "وكلّ هذا ليس من كلام العرب إلا شاذًا ، ولكن إذا اجتمعت همزتان من كلمتين شتّى ليس بينهما شيء ، فإن إحداهما تخفف في جميع كلام العرب إلا في هذه اللغة الشاذة القليلة"[٢]. ونسب الأخفش القراءة بتحقيق الهمزتين إلى أهل الكوفة وبعض أهل البصرة[٣].

ويطلق التخفيف عند سيبويه على جملة أحوال صوتية وصرفية مختلفة تعرض للهمزة ، من ذلك تحويلها إلى همزة بين بين ، وقلبها ألفًا أو ياء مدّ أو واو مدّ ، وحذفها. وهذا ظاهر من كلامه وأمثلته ؛ لأن الغاية من ذلك هو طلب الخفة على اللسان ودفع بعض الجهد عنه ، وليس التخفيف مصطلحًا خاصًّا بظاهرة محددة ؛ ولكننا سوف نقتصر في هذا الموضع على تحويل الهمزة إلى همزة بين

---

[١] الكتاب ، ٣ : ٥٤٨.

[٢] أبوالحسن سعيد بن مسعدة الأخفش الأوسط ، معاني القرآن ، تحقيق : فائز فارس (ط٢ ، الشركة الكويتية لصناعة الدفاتر/ الكويت ، ١٩٨١م.)١ : ٤٢.

[٣] معاني القرآن ، ١ : ٤٤.

بين لشدة انطباق مفهوم التخفيف عليها لأنها همزة مخففة لكنها بزنة المحققة تمامًا. أما بقية المظاهر فسنردها إلى مواضعها.

يعرض سيبويه للغة أهل الحجاز في الهمزتين الملتقيتين في مثل (إِقْرَأْ آيَة) فيذكر أنهم يقولون (إِقْرَا آيَة)؛ "لأن أهل الحجاز يخففونهما جميعًا يجعلون همزة (إِقْرَأْ) ألفًا ساكنة ويخففون همزة (آية)"[١]. وتخفيف همزة (آية) بجعلها (بين بين). قال السيرافي "يقلبون الأولى ألفًا لأنها ساكنة وقبلها فتحة، ويجعلون الثانية بين بين"[٢].

وقد تكون الهمزتان متحركتين وإحداهما آخر كلمة والأخرى أول كلمة. ولذلك قد تخفف الأولى وتحقق الثانية. من ذلك الهمزتان المتحركتان في مثل (قَرَأَ أَبُوكَ)، فمن خفّف الأولى قال (قَرَا أَبُوكَ)، بأن يجعلها بين بين، ومن خفّف الثانية قال (قَرَأَ اَبُوكَ) بجعلها بين بين[٣].

وينسب سيبويه القول بتخفيف الهمزة الأولى إلى أبي عمرو، ففي قوله تعالى فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا [١٨- محمد] تصير: فَقَدْ جَا أَشْرَاطُهَا، وقوله يَا زَكَرِيَّاءُ إِنَّا نُبَشِّرُكَ [٧- مريم] تصير: يَا زَكَرِيّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ. وقد تخفّف الثانية فتصير: فَقَدْ جَاءَ اَشْرَاطُهَا، ويَا زَكَرِيَّاءُ اِنَّا، وفي قول الشاعر:

كُلُّ غَرَّاءَ اِذا مَا بَرَزَتْ تُرْهَبُ الْعَيْنُ عَلَيْهَا وَالحَدْ

وينسب سيبويه إلى الخليل تفضيل هذه الطريقة لأنها توافق نظائر لها من إبدال الآخرة من الهمزتين الملتقيتين، وذلك مثل اسم الفاعل من جاء فهو (جَائِئ) تحول الآخرة إلى ياء (جَائِي).

---

[١] الكتاب، ٣: ٥٥٠.

[٢] الكتاب، ٣: ٥٥٠.

[٣] الكتاب، ٣: ٥٥٠.

و(أَأْدَم) تصير (آدَم)[١]. ووصف الأخفش تخفيف الآخرة بأنه أقيس، لأنهم أبدلوا الآخرة حين اجتمعتا في كلمة واحدة[٢].

وعلى الرغم من أن أبا عمرو قال بالتخلص من الأولى فإنه أخذ بطريقة الخليل في قوله تعالى قَالَتْ يَا وَيْلَتَى أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ [٧٢- هود][٣].

وعلينا أن ننتبه إلى أمر مهم هو أن ثمّة فرقًا بين التخلص من الهمزة الثانية في الآية والتخلص من الهمزة الثانية في الأمثلة: جَائِئ، أَأْدَم، من قبيل أن الأولى تصير همزة بين بين أما الآخرة فهي من قبيل قلب الهمزة ياءً أو ألفًا على نحو ما سيرد في موضعه. وهناك فرق بين التخفيف والقلب.

ولتخفيف الهمزة في كلمتين أحوال مختلفات، منها:

- إن كانتا مكسورتين وخففت الآخرة جعلتها بين الياء والهمزة أي همزة بين بين. نحو(هَؤلاَءِ إِمَاءُ الله)[٤].
- إن كانت الأولى مكسورة والآخرة مفتوحة أو مضمومة لم تجعل بين بين، بل ياءً خالصة، لانكسار ما قبلها. نحو (هَؤُلاَءِ أَخَوَاتُكَ)، و(هَؤُلاَءِ أُخْوَاتُكَ)[٥].

٣)القلب أو الإبدال

هذا اللون من التخلص إنما يكون في متماثلات لا يفلح الإدغام في دفع اجتماعها، إما لأن شرط الإدغام غير متحقق أو أنه يفضي إلى خلل في البنية، ويكون في متماثلات لا سبيل إلى تخفيفها على نحو ما خففت الهمزة، والقلب وإن كان فيه تغيير للصوت فهو يحافظ على البناء الصرفي عندهم.

---

[١] الكتاب، ٣: ٥٤٩. قن لقي همزة حققها أبو بكر وابن عامر وسهلها الحرميان وأبو عمر". انظر: أبو عمر عثمان بن سعيد الداني، التيسير في القراءات السبع، عناية: أوتوبرتزل (جمعية المستشرقين الألمانية/ استانبول، ١٩٣٠م.)ص٨٧.

[٢] معاني القرآن، ١: ٤٢.

[٣] الكتاب، ٣: ٥٤٩.

[٤] معاني القرآن، ١: ٤٣.

[٥] معاني القرآن، ١: ٤٣.

٣/١- قلب الهمزة حرف علة

٣/١- أ: القلب إلى ألف

"ومن ذلك آدم، أبدلوا مكانها الألف؛ لأن ما قبلها مفتوح. وكذلك لو كانت متحركة لصيرتها ألفًا"[١]. فهم يتخلصون من اجتماع همزتين بقلب الأولى ألفًا ومثال ذلك ما ذكره سيبويه في حديثه عن تخفيف الهمزة، فالذين يخفّفون (اِقرأْ آيَة) يقولون (اِقْرَا آيَة) بجعل الهمزة أَلِفًا؛ "لأن الهمزة الساكنة أبَدًا إذا خفّفت أبدل مكانَها الحرفُ الذي منه حركة ما قبلها"[٢].

٣/١- ب: القلب إلى ياء

"فمن ذلك قولك في فاعل من جئت جائِي، أبدلت[٣] مكانها الياء لأن ما قبلها مكسور، فأبدلت مكانها الحرف الذي منه الحركة التي قبلها، كما فعلت ذلك بالهمزة الساكنة حين خفّفت"[٤]. ومن ذلك جمع (خَطِيئَة، ورَزِيئَة) على فَعَائِل، فتهمز ياء خَطِيئَة ورَزِيئَة كما تهمز ياء (قبيلة)، ولام الكلمة همزة أيضًا فاجتمع همزتان (خَطَائِئ)، فقلبت الثانية ياءً لاجتماع الهمزتين فصارت (خَطَائِي)، ثم أبدلت الياء ألفًا كما يفعل في مَدَارَى، ولأن الهمزة قريبة من الألف مخرجًا —حسب قول ابن جني- أشبه ذلك اجتماع ثلاث ألفات فأبدلوا من الهمزة الياء، فصارت (خطايا)"[٥].

---

[١] الكتاب، ٣: ٥٥٢.

[٢] الكتاب، ٣: ٥٥٠.

[٣] انه معتل العين بالياء والقاعدة تقضي بهمز الياء في هذا الموضع فيصير: (جائئ)؛ ولكن المستعمل في اللغة هو (جائي). وقد اختلف في تفسير هذا فذهب الخليل إلى أنه حدث فيه قلب مكانيّ بتقديم لامه فصار على وزن: (فالِع)، أما سيبويه فقال إنه تخلص من الهمزة الثانية بقلبها ياء، وعلى هذا يكون وزنه (فاعِل) على الأصل. (الكتاب، ٤: ٣٧٦).

[٤] الكتاب، ٣: ٥٥٢.

[٥] المنصف، ٢: ٥٤- ٥٥. ويصدق هذا التخلص على قول الصرفيين غير أن عبدالصبور شاهين من الدارسين المحدثين يرد قول القدماء ويذهب إلى أن (خطايا) جمع للمفرد (خطيّة) بالياء المشددة على طريقة من لا ينطقون الهمزة من الفصحاء فلامها كلام (قضيّة). وقضيّة ومطيّة وهراوة كلها ألفاظ لا يرى أن لها علاقة بالهمزة إذ لا تظهر في تصاريفها مطلقًا. وذهب أيضًا إلى أن من الأسهل عدّ هذا المفرد (خطيئة) مجموعًا على (فَعالَى) لا (فَعائِل)، مثل: عذارَى، وصحارَى، ومدارَى. انظر: عبدالصبور شاهين، المنهج الصوتي للبنية العربية (ط١، مطبعة جامعة

٣/١- ج: القلب إلى واو

وذلك "إذا جمعت آدم قلت أوادم، كما أنك إذا حقّرت قلت أُوَيْدِم؛ لأن هذه الألف لما كانت ثانية ساكنة وكانت زائدة؛ لأن البدل لا يكون من أنفس الحروف، فأرادوا أن يكسروا هذا الاسم الذي قد ثبتت فيه هذه الألف صيروا ألفه بمنْزلة ألف خالد"[١]. ومعنى ذلك أن الجمع انطلق من البنية الظاهرة للمفرد ولم تأبه بالبنية الباطنة، والبنية الباطنة للمفرد هي (أَأْدَم)، أما الظاهرة فهي (أادم)، والجمع يكون على (فَوَاعِل) أي بتحويل الفتحة الطويلة في المفرد صرفيًّا إلى ضمة طويلة على نحو جمع (خَالِد) على (خَوَالِد).

ومن قلب الهمزة واوًا قلبها في مضارع (أَفْعَل) فاؤه همزة عند إسناده للمتكلم، "نحوأَنَا أَفْعَلُ من (آبَ)، تقول: (أُووِب)"[٢].

ومن ذلك قلب همزة فعل الأمر مهموز الفاء، قال الأخفش: "وإن كان ما قبلها مضمومًا جعلت واوًا، نحو: أُوْزُزْ، إذا أمرته أن يَؤُزّ"[٣]. واستثني من ذلك ثلاثة أفعال مهموزة، هي: (أكل، أخذ، أمر)، فهي تحذف همزاتها لكنها قد تقلب واوًا تسهيلاً لها، قال سيبويه "وأمّا ما جاء من الأفعال فخُذْ، وكُلْ، ومُرْ. وبعض العرب يقول: أُوْكُلْ فَيُتِمّ"[٤]. ويفهم من هذا النص أن من العرب من يقدم قاعدة حذف الهمزة قبل تطبيق قاعدة التخلص من الساكنين بجلب همزة الوصل، ومنهم

القاهرة/ القاهرة، ١٩٧٧م.)ص١٨١. وأما وسمية المنصور فقد صنفت (خطايا) في الوزن (فَعَالَى) موافقة بذلك الكوفيين، وعرضت آراء القدماء المختلفة في هذا الجمع مبينة أوجه الخلل فيها، وذهبت إلى أن المفرد والجمع أخذا من المادة الاشتقاقية الأساسية وهي (خ/ط/ي)، وأن الهمزة هي تحقيق للألف الناتجه عن حذف الياء من (خَطَيَ)، في (خطا ← خطأ). وأن خطيئة أخذت من (خطأ). انظر: وسمية عبدالمحسن المنصور، صيغ الجموع في القرآن الكريم (ط١، مكتبة الرشد/ الرياض، ٢٠٠٤م.) ١: ٥٥٠- ٥٥٣.

[١] الكتاب، ٣: ٥٥٢.

[٢] معاني القرآن، ١: ٤٢.

[٣] معاني القرآن، ١: ٤٢.

[٤] الكتاب، ٤: ٢١٩.

من يقدم قاعدة التخلص من البدء بالساكن بهمزة الوصل ثم يتخلص من اجتماع الهمزتين بتسهيل الثانية أي إعلالها بقلبها واوًا.

ومن التخلص بقلب الهمزة واوًا جمع (ذُؤابَة)، قال سيبويه: "وكما قالوا (ذَوَائِب)، فأبدلوا الواو كراهية الهمزة"[١].

٢/٣- قلب الواو

٢/٣- أ: قلب الواو إلى ياء

يبيّن سيبويه أنّ اجتماع الواوين مكروه كراهية اجتماع الهمزتين، حتى إنهم يجعلون الفعل من المصدر (قُوَّة) على باب من شأنه أن يهيِّئ لقلب الواو إلى ياء، مثل البناء (فَعِل)؛ فكسرة العين سبب في قلب الواو التي هي لام الكلمة ياءً، قال سيبويه: "اعلم أنهما لا تثبتان كما تثبت الياءان في الفعل. وإنما كُرِهتا كما كرهت الهمزتان حتى تركوا فَعَلْتُ كما تركوه في الهمز في كلامهم، فإنما يجيء أبدًا على فَعِلْتُ على شيء يقلب الواو ياءً"[٢]. ومثل لذلك سيبويه في قوله"وذلك نحو: قُوِيتُ، وحُوِيتُ، وقَوِيَ"[٣]. ومن (التَّوّ) يقال: "تَوِيَ المال" أي هلك[٤]، ومن (الجَوّ) يقال: "جَوِيَ الرجل" أي أصابته حرقة من العشق، وجَوِيَ الشيء أنتن. وجَوِيَتْ نفسي لم يوافقها جوّ البلاد[٥]، ومن (الحُوّة)[٦]: "حَوِيَ يَحْوَى حُوَّةً"[٧]، ومن (الضوَّة): "ضَوِيَ بالكسر يَضْوَى ضَوًى"[٨].

---

[١] الكتاب، ٤: ٣٩٨.

[٢] الكتاب، ٤: ٤٠٠.

[٣] الكتاب، ٤: ٤٠٠.

[٤] إسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح، تحقيق: أحمد عبدالغفور عطار (ط٢، دار العلم للملايين/ بيروت، ١٩٧٨م.) مادة(توى) ٦: ٢٢٩٠.

[٥] الصحاح، مادة (جوا) ٦: ٢٣٠٦.

[٦] وهي "لون يخالط الكُمْتَة، مثل صدأ الحديد. وقال الأصمعي: الحُوّة حمرة تضرب إلى السواد". انظر: الصحاح، مادة(حوا) ٦: ٢٣٢٢.

[٧] الصحاح، مادة (حوا) ٦: ٢٣٢٢.

[٨] الصحاح، مادة (ضوا) ٦: ٢٤١٠.

٢/٣- ب: قلب الواو همزة

إذا التقت واوان أول كلمة قلبت أولاهما همزة قال سيبويه: "وإذا التقت الواوان أولاً أبدلت الأولى همزة، ولا يكون فيها إلا ذلك، لأنهم لّما استثقلوا التي فيها الضمة فأبدلوا، وكان ذلك مطّردًا إن شئت أبدلت وإن شئت لم تبدل، ولم يجعلوا في الواوين إلا البدل، لأنهما أثقل من الواو والضمة. فكما اطّرد البدل في المضمون كذلك لزم البدل في هذا"[١].

وهذا القول ليس على إطلاقه إذ فيه الواجب والجائز. ومثال الواجب ما نجده في قوله: "وتقول في فَوْعَلٍ من وَعَدْتُ: أَوْعَدٌ، لأنهما واوان التقتا في أول الكلمة"[٢]. وفي قوله"وسألت الخليل عن (فُعْلٍ) من وَأَيْتُ فقال: وُؤْيٌ كما ترى. فسألته عنها فيمن خفّف الهمزة، فقال: أُويٌ كما ترى، فأبدل من الواو همزة؟ فقال: لابد من الهمزة؛ لأنه لا يلتقي واوان في أول الحرف"[٣]. ويعلّل المازني هذا بأن التضعيف في أول الكلمة يكاد لا يكون فكرهوا ترك الواوين؛ هذا إن لم تكن الواو الثانية مدًّا فإن كانت مدًّا فأنت بالخيار: فإن شئت همزت الأولى وإن شئت لم تهمز. وليس الهمز لاجتماع الواوين بل لضم الواو؛ ومثل لذلك بقوله تعالى ﴿مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا﴾ [٢٠-الأعراف][٤]؛ وبيّن الفارسيّ بجلاء- في تعليقه على قول سيبويه بإبدال أولى الواوين همزة- أن اجتماع الواوين أول الكلمة على ضربين: ضرب جائز فيه قلب الواو، وضرب واجب فيه قلبها. أما الجائز فهو حين تكون الثانية واو مدٍّ غير لازمة كالفعل المبني للفاعل من (وَعَدَ) على (وُوعِدَ) فيجوز: أُوعِدَ[٥]. أما الواجب فذلك حين تكون الواو لازمة لا تنقلب، نحو (أَوَاصِل) جمع

---

[١] الكتاب، ٤: ٣٣٣.

[٢] الكتاب، ٣: ٣٣٦.

[٣] الكتاب، ٣: ٣٣٣.

[٤] المنصف، ١: ٢١٧- ٢١٨. قراءة الجمهور بالواو، وقرأ عبدالله بقلب الواو همزة (أُورِيَ). انظر: أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري، الكشاف عن حقائق التنْزيل وعيون الأقاويل(دار الفكر/ بيروت) ٢: ٧٢.

[٥] أبوعلي الحسن بن أحمد بن عبدالغفار بن أبان الفارسي، المسائل المشكلة: البغداديات، تحقيق: صلاح الدين عبدالله السنكاوي (وزارة الأوقاف/ بغداد، ١٩٨٣م.) ص٨٥.

(وَاصِل)، ونحو (أُوَيْصِل) تصغيره[١]. ومن هذا (أُولى). "والأصل: وُولَى، إلا أنّ الواو الأولى لزم قلبها، لأن الواو الثانية لازمة. فهذه الهمزة إنما هي منقلبة عن واو هي فاء، وانقلبت لاجتماع الواوين ولزومهما. وإن كانت الثانية مدّة"[٢]. ومن أمثلة ذلك ما ذكره ابن جنّي، قال: "ولو جمعت (وَاقدًا) لقلت: (أَوَاقِد) وأصله: (وَوَاقِد) فهمزت الأولى؛ لاجتماع الواوين. ومثله قول الشاعر:

ضَرَبَتْ صَدْرَهَا إِلَيَّ وَقَالَتْ   يَا عَدِيًّا لَقَدْ وَقَتْكَ الأَوَاقِي

فالأَوَاقِي جمع (وَاقِيَة)؛ وأصلها (وَوَاقٍ) فهمزت الأولى"[٣]. وأوضح ابن جني العلة التي من أجلها لم يجب همز الواو إن كانت الواو بعدها مدّة وهي أنها كالألف الذي لا يجب همز الواو قبله "فكما لا يجوز همزها في (وَاعَدَ) كذلك لم يجب همزها في (وُوعِدَ)"[٤].

وتقلب الواو همزة وإن فصل بينهما بالألف، قال ابن جنّي: "وأصل هذا التغيير إنما هو لما اجتمعت فيه واوان نحو: (أَوَائِل) وأصلها (أَوَاوِل) فلما اجتمعت الواوان وليس بينهما إلا الألف، وهو حرف كالنفس ليس بحاجز حصين، ووليت الآخِرة من الواوين آخِر الكلمة همزوها كما يهمزون الأولى من الواوين إذا وقعتا في أول الكلمة"[٥].

ويمكن بقليل من التوسع أن نعد من التقاء المتماثل الواو والضمة بعدها؛ إذ يجوز أن تقلب الواو همزة متى ضمت ضمًّا لازمًا لا عارضًا، قال المازني: "وكلما انضمت الواو من غير علة فهمزها جائز"[٦]؛ وقد مثّل ابن جنّي لذلك في قوله: "نحو: (أُعِدَ) في (وُعِدَ) و(أُزِنَ) في (وُزِنَ) و(أَدْؤُر) في (أَدْوُر) و(سُرْتُ سُؤورًا) في (سُوُورًا)، ومنه قوله تعالى: وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ [١١- المرسلات] في

---

[١] البغداديات، ص٨٦.

[٢] البغداديات، ص٨٨.

[٣] المنصف، ١: ٢١٧- ٢١٨.

[٤] المنصف، ١: ٢١٩.

[٥] المنصف، ٢: ٤٤- ٤٥.

[٦] المنصف، ١: ٢١١.

(وُقِّتَتْ) وهي (فُعِّلَتْ) من الوقت. وقالوا: (أُجُوه) في (وُجوه)"[١]. ويعلّل ابن جنّي هذه الظاهرة في قوله: "لأن الضمة قد تجري مجرى الواو وهي واو صغيرة كما أن الكسرة ياء صغيرة والفتحة ألف صغيرة؛ وهذه الحروف عن هذه الحركات تنشأ متى كنّ مدّات، نحو(رسَالة، وصحِيفة، وعجُوز)"[٢].

وما ذكره ابن جني عن الحركات والمدود هو ما عليه علماء الأصوات الحديث الذين يعدون المدود حركات طويلة لا تختلف عن القصيرة إلا بالكمّ الصوتي؛ فالمدّ بمقدار حركتين قصيرتين.

٢/٣- ج: قلب الواو تاء

الأمثلة التي قلبت واوها همزة لاجتماع واوين أول الكلمة يمكن أن تبدل الواو فيها تاءً، قال سيبويه: "وربما أبدوا التاء إذا التقت الواوان، كما أبدلوا التاء فيما مضى. وليس ذلك بمطَّرد، ولم يكثر في هذا كما كثر في المضموم؛ لأن الواو مفتوحة، فشبهت بواو وَحَد. فكما قلّت في هذه الواو وكانت قد تبدل منها، كذلك قلّت في هذه الواو. وذلك قولهم: تَوْلَجٌ. وزعم الخليل أنها (فَوْعَلٌ)، فأبدلوا التاء مكان الواو، وجعل (فَوْعَلاً) أولى بها من (تَفْعَلٍ)، لأنك لا تكاد تجد في الكلام (تَفْعَلاً) اسمًا، و(فَوْعَلٌ) كثير"[٣]. والكلمة على قول الخليل: وولج ← تولج.

٣/٣- قلب الألف اليائية الأصل إلى واو

لا ترد الألف في الاسم الثلاثي المقصور إلى الياء عند النسب بل تقلب واوًا؛ لأنهم لو قلبوها ياءً لاجتمعت متماثلات يكرهون اجتماعها، قال سيبويه ممثلاً لذلك: "تقول في هُدًى: هُدَوِيّ، وفي رجل اسمه حَصًى: حَصَوِيّ، وفي رجل اسمه رَحًى: رَحَوِيّ"[٤]. وقال معلّلاً ذلك "وإنما منعهم من

---

[١] المنصف، ١: ٢١٣. ونسب النحاس القراءة بالهمزة إلى نافع وعاصم وحمزة والكسائي مع تشديد القاف (أُقِّتَتْ)، وإلى عيسى بن عمر وخالد بن إلياس بتخفيف القاف (أُقِتَتْ). أما على الأصل وهو الواو فقرأ أبو عمرو (وُقِّتَتْ) بتشديد القاف، وبدون تشديد قرأ الحسن وأبو جعفر (وُقِتَتْ). انظر: أبو جعفر أحمد بن إسماعيل النحاس، إعراب القرآن، تحقيق: زهير غازي زاهد (ط٢. عالم الكتب/ بيروت، ١٩٨٥م.) ٥: ١١٥.

[٢] المنصف، ١: ٢١٣.

[٣] الكتاب، ٤: ٣٣٣.

[٤] الكتاب، ٣: ٣٤٢.

الياء إذا كانت مبدلة استثقالاً لإظهارها أنهم لم يكونوا ليظهروها إلى ما يستخفون، وإنما كانوا يظهرونها إلى توالي الياءات والحركات وكسرتها، فيصير قريبًا من أُمَيِيٍّ؛ فلم يكونوا ليردوا الياء إلى ما يستثقلون إذ كانت معتلة مبدلة فرارًا مما يستثقلون قبل أن يضاف الاسم، فكرهوا أن يردوا حرفًا قد استثقلوه قبل أن يضيفوا إلى الاسم في الإضافة، إذ كان رده إلى بناء أثقل منه في الياءات وتوالي الحركات؛ وكسرة الياء، وتوالي الياءات ما يثقّله، لأنّا رأيناهم غيّروا للكسرتين والياءين الاسم استثقالاً، فلما كانت الياءان والكسرة والياء فيما توالت حركاته ازدادوا استثقالاً"[1].

٣/٤- قلب الياء وإبدالها

٣/٤- أ: قلب الياء إلى واو

من أمثلة هذا؛ قلب الياء واوًا في (حيوان)[2]. قال المازني: "وكان الخليل يقول: (حَيَوَان) قلبوا الياء واوًا لئلا يجتمع ياءان استثقالاً للحرفين من جنس واحد يلتقيان، ولا أرى هذا شيئًا"[3]، وقد انتصر ابن جنّي لمذهب الخليل وردّ قول المازني[4]. ومذهب المازني أنّ لفظ (حيوان) جاء على خلاف استعمالهم فليس ثمّ ما عينه ياء ولامه واو[5].

ونجد في النسب أن ياء الثلاثي المنقوص تقلب واوًا فرارًا من اجتماع الياءات، ومن أجل ذلك تغير حركة عينه من الكسرة إلى الفتحة؛ لأنه لا يمكن قلب الياء مع وجودها، ولا يمكن الإبقاء على الياء كراهية اجتماع المتماثلات. قال سيبويه يمثل لهذه الظاهرة: "وإذا كانت الثالثة، وكان الحرف الذي قبل الياء مكسورًا، فإن الإضافة إلى ذلك الاسم تصيره كالمضاف إليه في الباب الذي فوقه (يعني

---

[1] الكتاب، ٣: ٣٤٢.

[2] الكتاب، ٣: ٣٩٨.

[3] المنصف، ٢: ٢٨٥.

[4] المنصف، ٢: ٢٨٥.

[5] المنصف، ٢: ٢٨٥.

المقصور)، وذلك قولهم في عَمٍ: عَمَوِيّ، وفي رَدٍ: رَدَوِيّ، وقالوا كلهم في الشَّجِي: شَجَوِيّ"[١].

والعلة حسب ما نفهم من قول سيبويه أنّ الأسماء الصحيحة التي على بناء (فَعِل) تتحول إلى بناء (فَعَل) أي تفتح عينها عند النسب، فكذلك الأسماء المعتلة مثل (عَمٍ) يعدل بها من (فَعِل) إلى (فَعَل)؛ أي تفتح عينها هربًا من التقاء الكسرة والياءات، ولأن هذا هو القياس. ولما فتحت العين حال ذلك دون حذف الياء فلم يبق إلا أن يتخلص منها بقلبها إلى واو كراهة اجتماع الياءات، قال سيبويه: "وذلك لأنهم رأوا (فَعِل) بمَنْزلة (فَعَل) في غير المعتل، كراهية للكسرتين مع الياءين ومع توالي الحركات، فأقروا الياء وأبدلوا، وصيروا الاسم إلى فَعَلٍ، لأنها لم تكن لتَثبت ولا تُبدَل مع الكسرة، وأرادوا أن يجري مجرى نظيره من غير المعتل، فلما وجدوا الباب والقياس في فَعِلٍ أن يكون بمَنْزلة فَعَلٍ أقرُّوا الياء على حالها وأبدلوا، إذ وجدوا فَعِل قد اتْلأَبَّ أن يكون بمَنْزلة فَعَلٍ"[٢].

ومن قلب الياء واوًا قلبها في الاسم الثلاثي عينه ولامه ياءان عند النسب إليه؛ وذلك خشية اجتماع الياءات. ومثال ذلك ما ورد في قول سيبويه: "وسألته عن الإضافة إلى حَيَّةٍ، فقال: حَيَوِيٌّ، كراهية أن تجتمع الياءات. والدليل على ذلك قول العرب في حَيَّةَ بنَ بَهْدَلَةَ: حَيَوِيٌّ، وحركت الياء لأنه لا تكون الواو ثابتة وقبلها ياء ساكنة"[٣].

ويظهر أن هذا إجراء اختياري لورود القول بإبقاء الياء، قال سيبويه: "ومن قال: أُمَيِّيٌّ قال حَيِّيٌّ. وكان أبو عمرو يقول: حَيِّيٌّ ولَيِّيٌّ"[٤].

ومن قلب الياء واوًا قلب الياء في مؤنث الاسم الثلاثي الشبيه بالصحيح عند النسبة إليه في قول بعض العرب، ويبين سيبويه ذلك في قوله: "فإذا كانت هاء التأنيث بعد هذه الياءات فإن فيه اختلافًا: فمن الناس من يقول في رَمْيَةٍ: رَمْيِيٌّ، وفي ظَبْيَةٍ: ظَبْيِيٌّ، وفي دُمْيَةٍ: دُمْيِيٌّ، وفي فِتْيَةٍ: فِتْيِيٌّ وهو

---

[١] الكتاب، ٣: ٣٤٢- ٣٤٣.

[٢] الكتاب، ٣: ٣٤٣.

[٣] الكتاب، ٣: ٣٤٥.

[٤] الكتاب، ٣: ٣٤٥.

القياس"[١]. أما القول الثاني فهو الذي يتخلص فيه من الياء، قال: "وأما يونس فكان يقول في ظَبْيَةٍ: ظَبَوِيٌّ وفي دُمْيَةٍ: دُمَوِيٌّ، وفي فِتْيَةٍ: فِتَوِيّ"[٢]. وينقل سيبويه العلة عن أستاذه الخليل فيقول: "فقال الخليل: كأنهم شبهوها حيث دخلتها الهاء بفَعِلَةٍ؛ لأن اللفظ بفَعِلَة إذا أسكنتَ العين وفَعْلَةٍ من بنات الياء سواء. يقول: لو بنيت فَعْلَةً من بنات الواو لصارت ياءً، فلو أسكنتَ العين على ذلك المعنى لثبتتْ ياءً ولم ترجع إلى الواو، فلمّا رأوها آخرُها يشبه آخرَها جعلوا إضافتَها كإضافتها[٣]، وجعلوا دُمْيَةً كفُعِلَةٍ، وجعلوا فِتْيَةٍ بمنْزلة فَعِلَةٍ. هذا قول الخليل. وزعم أنّ الأول أقيسهما وأعربهما. ومثل هذا قولهم في حيّ من العرب يقال لهم: بنو زِنْيَةَ: زِنَوِيٌّ، وفي البِطْيَة: بِطَوِيٌّ"[٤].

ويجوز في النسب إلى ما لامه ياء قبلها ألف أن تقلب الياء واوًا فرارًا من اجتماع الياءات، نحو النسب إلى: ثَايَة، وآيَة، وطَايَة، ورَايَة، قال سيبويه: "ولو أبدلت مكان الياء الواو فقلت: ثَاوِيٌّ، وآوِيٌّ، وطَاوِيٌّ، ورَاوِيٌّ، جاز ذلك"[٥]. وقوله بالجواز يشعر بأن القلب إلى همزة مقدم على القلب إلى واو.

٤/٣- ب: قلب الياء إلى همزة

تقلب ياء الاسم الذي لامه ياء قبلها ألف همزة عند النسب إليه فرارًا من اجتماع الياءات، وذلك مثل النسب إلى: سِقَايَةٍ، وصَلاَيَةٍ، ونُفَايَةٍ، تقول: سِقَائِيٌّ، وصَلاَئِيٌّ، ونُفَائِيٌّ[٦]. ومثل ذلك ما جاء في قول سيبويه: "وسألته عن الإضافة إلى رَايَةٍ وطَايَةٍ وثَايَةٍ، وآيَةٍ، ونحو ذلك، فقال: أقول رَائِيٌّ، وطَائِيٌّ، وثَائِيٌّ، وآئِيٌّ. وإنما همزوا لاجتماع الياءات مع الألف، والألف تشبَّه بالياء، فصارت

---

[١] الكتاب، ٣: ٣٤٦.

[٢] الكتاب، ٣: ٣٤٧.

[٣] الإضافة في استعمال سيبويه هنا النسب.

[٤] الكتاب، ٣: ٣٤٧.

[٥] الكتاب، ٣: ٣٥١.

[٦] الكتاب، ٣: ٣٤٨- ٣٤٩.

قريبًا مما يجتمع فيه أربع ياءات، فهمزوها استثقالاً، وأبدلوا مكانها همزة؛ لأنهم جعلوها بمنْزلة الياء التي تبدل بعد الألف الزائدة؛ لأنهم كرهوها هاهنا كما كرهت ثَمَّ، وهي هنا بعد الألف كما كانت ثَمَّ، وذلك نحو ياء رداء"[١].

وهذا الإجراء اختياري؛ إذ إن هناك من يبقي على الياء، قال سيبويه: "ومن قال: أُمَيِّيٌّ قال: آيِيٌّ ورَايِيٌّ بغير همز؛ لأن هذه لام غير معتلة، وهي أولى بذلك؛ لأنه ليس فيها أربع ياءات، ولأنها أقوى"[٢].

٣/٤- جـ: قلب الياء ألفًا

من هذا أحد الأقوال في تفسير (آيَة)[٣]، قال سيبويه: "وقال غيره: إنما هي أَيَّةٌ. وأيٌّ فَعْلٌ، ولكنهم قلبوا الياء وأبدلوا مكانها الألف لاجتماعهما؛ لأنهما تكرهان كما تكره الواوان"[٤].

ومن قلب الياء ألفًا ما ذكره سيبويه في قوله: "وكذلك: حَاحَيْتُ، وعَاعَيْتُ، وهَاهيْتُ. ولكنهم أبدلوا الألف لشبهها بالياء؛ فصارت كأنها هي"[٥]. وقال ابن جنّي: "أصلها: (حَيْحَيْتُ، وعَيْعَيْتُ، وهَيْهيْتُ) وهي من مضعف الياء. ونظيره: (قَوْقَيْت وضَوْضَيْت) من مضاعف الواو؛ وإنما قلبوا الياء ألفًا لشبهها بها كما قال أبو عثمان، ولأنهم كرهوا تكرار الياءين وليس بينهما إلا حرف واحد"[٦].

---

[١] الكتاب، ٣: ٣٥٠.

[٢] الكتاب، ٣: ٣٥١.

[٣] اختلف في تفسير (آية) من الناحية الصرفية، ومن الأقوال في ذلك: قول الخليل: أن أصلها (أَيَيَة) فقلبت الياء ألفًا لتحركها وانفتاح ما قبلها. (الكتاب، ٤: ٣٩٨). وقول نسبه الجوهري لسيبويه: "قال سيبويه: موضع العين من آية واو؛ لأن ما كان موضع العين منه واو واللام ياء أكثر مما موضع العين واللام منه ياءان، مثل شَوَيْتُ أكثر من باب حَيِيتُ. وتكون النسبة إليه أَوَوِيّ" (الصحاح، مادة: أيا، ٦: ٢٢٧٥) وهذه النسبة فيها وهم، انظر: أبوأوس إبراهيم الشمسان، جوانب الدرس التصريفي للفظ(آية)، مجلة كلية الآداب، جامعة الاسكندرية، ١٩٩٧م. ص٢٧٣-٣٠٩. وقول الفراء: هي على وزن (فَاعِلَة) ولكن حذف منها اللام، الأصل: آيِيَة؛ ولكنها خففت (الصحاح، مادة: أيا، ٦: ٢٢٧٥) وقول غير الخليل أنها (أَيَّة) فقلبت ألفًا تجنبَ المتماثلات.

[٤] الكتاب، ٤: ٣٩٨.

[٥] الكتاب، ٤: ٣٩٣.

[٦] المنصف، ٢: ١٧٠.

٣/٤- د: إبدال الياء شينًا

ومن ذلك؛ إبدال الياء في تصغير (عَشِيَّة) وقد ذكره الفارسيّ في قوله: "وأما عُشَيْشَةٌ فإنما كان أصلها عُشَيْيَة، فكره اجتماع الياءات فأبدل من إحداهن شينًا لاجتماع الشين والياء في المخرج"[١].

٣/٥- قلب الكسرة فتحة

سنعد الحركات مما يقلب؛ لأنها علل قصيرة فهي كالعلل الطويلة. ومن هذا القلب قلب كسرة عين الاسم في النسب إلى فتحة، ذكر هذا سيبويه في قوله: "وما جاء من فَعِلٍ بمنْزلة فَعَلٍ قولهم في النَّمِر: نَمَرِيٌّ، وفي الحَبِطات: حَبَطِيٌّ، وفي شَقِرَة: شَقَرِيٌّ، وفي سَلِمَةَ: سَلَمِيٌّ. وكأنّ الذين قالوا: تَغْلَبِيٌّ أرادوا أن يجعلوه بمنْزلة تَفْعَل، كما جعلوا فَعِل[٢] كفَعَلٍ للكسرتين مع الياءين، إذ إن ذا ليس بالقياس اللازم، وإنما هو تغيير؛ لأنه ليس توالَى ثلاثُ حركات"[٣].

ولما كان هذا هذا الأمر اختياريًّا غير لازم فإنه يروِي الإبقاء على الكسرة، قال: "وقد سمعنا بعضهم يقول في الصَّعِق: صِعِقِيٌّ، يدعه على حاله، وكسَر الصاد؛ لأنه يقول: صِعِقٌ، والوجه الجيد فيه: صَعَقِيٌّ. وصِعَقِيٌّ جيّد"[٤].

٣/٦- إبدال التاء سينًا

من ذلك التخلّص من التاء المضعّفة حيث تجعل سينًا، قال سيبويه: "وقال بعضهم اسْتَخَذَ فلانٌ أرضًا، يريد اتَّخَذَ أرضًا، كأنهم أبدلوا السين مكان التاء في اتَّخَذَ، كما أبدلوا حيث كثرت في كلامهم

---

[١] أبوعلي الحسن بن أحمد بن عبدالغفار بن أبان الفارسيّ، المسائل البصريات، تحقيق: محمد الشاطر أحمد محمد أحمد (ط١، مطبعة المدني/ القاهرة، ١٩٨٥م.) ١: ٣٧٥. والياء والشين تخرجان في غار الفم.

[٢] هكذا في نسخة بولاق وهارون ولا أعرف وجه منعها الصرف.

[٣] الكتاب، ٣: ٣٤٣.

[٤] الكتاب، ٣: ٣٤٣.

وكانتا تاءين، فأبدلوا السين مكانها كما أبدلت التاء مكانها في سِتٍّ[١]. وإنما فعل هذا كراهية التضعيف"[٢].

٣/٧- إبدال السين تاءً

وبيّن ذلك على نحو جليٍّ سيبويه في كتابه حيث قال: "فمن ذلك؛ سِتٌّ. وإنما أصلها سِدْسٌ. وإنما دعاهم إلى ذلك حيث كانت مما كثر استعماله في كلامهم، أن السين مضاعفة، وليس بينهما حاجز قويّ، والحاجز أيضًا مخرجه أقرب المخارج إلى مخرج السين، فكرهوا إدغام الدال فيزداد الحرف سينًا، فتلتقي السينات. ولم تكن السين لتدغم في الدال لما ذكرت لك، فأبدلوا مكان السين أشبه الحروف بها من موضع الدال، لئلا يصيروا إلى أثقل مما فرّوا منه إذا أدغموا. وذلك الحرف التاء، كأنه قال سِدْتٌ، ثم أدغم الدال في التاء"[٣].

ويفهم من قول سيبويه أنه من أجل التخلص من تماثل السينين المتباعدتين تباعدًا يمنع إدغامهما حدثت مماثلة تبادلية بين الدال والسين؛ فأثرت السين المهموسة على الدال فحولتها إلى نظيرها المهموس وهو التاء، وأثرت التاء على السين فجعلتها لثوية أسنانية، وتجنب تحويل التاء إلى سين لأن ذلك يزيد السينات التي كان الغرض التخلص منها.

٣/٨- إبدال اللام نونًا

من ذلك (لعنّ) في (لعلّ)[٤]. قال ابن جني: "وأما قول الآخر:

---

[١] قال ابن جني مفسرًا التغيرات الصوتية التي حدثت في كلمة (سِتّ): "وقد أبدلت التاء من السين لامًا، وذلك في قولهم في العدد: (سِتّ) وأصلها: سِدْس لأنها من التسديس، كما أن خمسة من التخميس؛ ولذلك قالوا في تحقيرها: سُدَيْسَة، ولكنهم قلبوا السين الآخرة تاء لتقرب من الدال التي قبلا، وهي مع ذلك حرف مهموس، كما أن السين مهموسة، فصار التقدير: سِدْت، فلما اجتمعت الدال والتاء وتقاربتا في المخرج أبدلوا الدال تاء لتوافقها في الهمس، ثم أدغمت التاء في التاء، فصارت (سِتّ) كما ترى". انظر: أبوالفتح عثمان بن جني، سر صناعة الإعراب، تحقيق: حسن هنداوي(ط١، دار القلم/ دمشق، ١٩٨٥م.) ١: ١٥٥.

[٢] الكتاب، ٤: ٤٨٣.

[٣] الكتاب، ٤: ٤٨١- ٤٨٢.

[٤] أبويوسف يعقوب بن السكّيت، كتاب الإبدال، تحقيق: حسين محمد محمد شرف(مجمع اللغة العربية/ القاهرة، ١٩٧٨م.) ص١١١.

حَتَّى يَقُول الجَهِلُ المُسْتَنْطَقُ لَعَنَّ هَذا مَعَه مُعَلَّقُ

أي: عَلِيقة، فإن النون فيه بدل من لام لَعَلَّ. ومثله قول أبي النجم:

أُغْدُ لَعَنَّا فِي الرِّهَان نُرْسِلُهْ

أي: لَعَلَّنا"[١].

٣/٩- إبدال النون لامًا

ومن ذلك (علوان) في (عنوان)، جاء في كتاب الإبدال عن الفراء: "هوو عُنوانُ الكتاب، وعُلوان"[٢]. ومن أمثلة ذلك في اللهجات المعاصرة قول أهل نجد: (فنجال) في (فنجان)[٣].

٣/١٠- إبدال أول المدغمين نونًا

قال ابن السيد البطليوسي: "قد حكى اللغويون أن قومًا من أهل اليمن يبدلون الحرف الأول من الحرف المشدد نونًا، فيقولون: حَنْظٌ، يريدون حظًّا، وإنجاص، وإنْجانة. فإذا جمعوا رجعوا إلى الأصل، وهذه لغة لا ينبغي أن يلتفت إليها، فإن اللغة اليمنية فيها أشياء منكرة، خارجة عن المقاييس. وإنما ذكرنا هذا ليُعلم أن لقول العامة مخرجًا على هذه اللغة فأما القُنْبَرَة بالنون فلغة فصيحة"[٤]. ولعل من هذه اللغة ما يذكره ابن السكيت في قوله: "وهي الأُتْرُجَّةُ. والأُتْرُنْجُ لغة"[٥].

وآثار هذه اللهجة مسموعة في الجزيرة العربية خاصة في جنوب عسير إذ يسمع من يقول سنكر في سكّر وحنق في حقّ. وفي بلاد الشام يقولون: حنفر في حفّر، وذكر الشيخ أحمد رضا أنهم

---

[١] سر صناعة الإعراب، ٢: ٤٤٢- ٤٤٣.

[٢] ابن السكّيت، الإبدال، ص٦٧.

[٣] صالحة راشد غنيم آل غنيم، اللهجات في الكتاب لسيبويه: أصواتًا وبنية (ط١، جامعة أم القرى/ مكة المكرمة، ١٩٨٥م.) ص ٢٥١.

[٤] أبومحمد عبدالله بن محمد بن السيد البطليوسي، الاقتضاب في شرح أدب الكتاب، تحقيق: مصطفى السقّا وحامد عبدالمجيد (الهيئة المصرية العامة للكتاب/ القاهرة، ١٩٨٢م.) ٢: ١٨١.

[٥] أبويوسف يعقوب بن السكّيت، إصلاح المنطق، تحقيق: أحمد محمد شاكر وعبدالسلام محمد هارون (ط٣، دار المعارف بمصر، ١٩٧٠م.) ص١٧٨.

يقولون: تحندك أي مال في جلوسه ورأى أنها من تحدَّل باللام التي أبدلت بعدُ كافًا[١]. وفي مصر: سنكر الباب أي سكّره[٢]. هنكر أي هكّر أي تحير[٣].

١١/٣- إبدال أحد المضعفين ياءً

من ذلك؛ قلب الواو ياءً، وهو ما يذكره سيبويه في قوله: "وقال: ضَوْضَيْتُ، وقَوْقَيْتُ بمَنْزلة ضَعْضَعْتُ، ولكنهم أبدلوا الياء إذ كانت رابعة. وإذا كررت الحرفين فهما بمَنْزلة تكريرك الحرف الواحد، فإنما الواوان ههنا بمَنْزلة تكريرك الحرف الواحد، فإنما الواوان ههنا بمَنْزلة ياءي حَيِيتُ وواوي قُوَّةٍ، لأنك ضاعفت"[٤].

ومنه أيضًا إبدال الهاء كما جاء في قول سيبويه: "كما أن دَهْدَيْتُ هي فيما زعم الخليل دَهْدَهْتُ بمَنْزلة دَحْرَجْتُ، ولكنه أبدل الياء من الهاء لشبهها بها، وأنها في الخفاء والخفة نحوها، فأبدلت كما أبدلت من الياء في هذه"[٥]. ويعزى هذا الإبدال إلى تميم وقيس، أما الإبقاء على التماثل فهو لهجة الحجاز وأسد[٦].

ومما يعده سيبويه شاذًا من هذا الإبدال ما يذكره في قول: "وذلك قولك: تَسَرَّيْتُ، وتَظَنَّيْتُ، وتَقَصَّيْتُ من القصة، وأمليت، كما أن التاء في أَسْنَتُوا مبدلة من الواو، وأرادوا حرفًا أخفّ عليهم منها وأجلد، كما فعلوا ذلك في أَتْلَجَ، وبدلها شاذ هنا بمَنْزلتها في سِتّ. وكل هذا؛ التضعيف فيه عربي كثير جيّد"[٧].

---

[١] الشيخ أحمد رضا، قاموس رد العامي إلى الفصيح (ط٢، دار الرائد العربي/بيروت، ١٩٨١م) مادة: حندك، ص١١٥.

[٢] عبدالمنعم سيد عبد العال، معجم الألفاظ العامية ذات الحقيقة والأصول العربية (ط٢، مكتبة الخانجي/ القاهرة، ١٩٧٢م) سنكر.

[٣] م.ن. : هنكر.

[٤] الكتاب، ٤: ٣٩٣.

[٥] الكتاب، ٤: ٣٩٣.

[٦] صالحة آل غنيم، اللهجات في الكتاب، ص٢٢٩- ٢٣٠.

[٧] الكتاب، ٤: ٤٢٤.

ويسوق الزمخشري أمثلة أخرى لهذه الظاهرة نذكر منها[١]: قَصَّيْتُ أظفاري، أي: قصصتها، ولا ورَبِيك لا أفعل، أي: وربِّك، ولم يَتَسَنَّ، أي: لم يتسَنَّن، وتَقَضَّى البازي، أي: تَقَضَّضَ، ويأتَمِي، أي: يأتَمِم، وتَلَعَّيْتُ من اللّعاعة، ومَكَاكِيّ، أي: مَكَاكِيك جمع مَكُوك. قال ابن يعيش: "فهما ياءان فالأولى بدل من واو مكوك صارت ياء في الجمع لانكسار ما قبلها والثانية بدل من الكاف للتضعيف"[٢]، ودياج في جمع دَيْجُوج. قال ابن يعيش: "وأصله دَيَاجِيج فكرهوا التضعيف فأبدلوا من الجيم الأخيرة ياء فاجتمعت مع الياء الأولى فخففوا بحذف إحدى الياءين فصار دِياجٍ من قبيل المنقوص"[٣]، ومن ذلك: سادي، أي: سادس، الثَّالي، أي: الثَّالث.

ومن ذلك (حسيت) أي (حسست)، قال أبو حيان: "وأما حسست فقال أبو الطيب عبدالواحد اللغوي: الحجازي يقول في حَسَسْتُ: حَسَيْتُ. يعوض من السين ياءً، والتميميّ لا يعوض، فيقول: حستُ"[٤]. وتنسب هذه اللهجة إلى هذيل أيضًا[٥].

وقد يبلغ بهم كره التضعيف أن يبدل أحد المدغمين، مثال هذا ما ذكر سيبويه في قوله: "وقد تبدل من مكان الحرف المدغم نحو قِيراط. ألا تراهم قالوا: قُرَيْرِيط، ودينار، ألا تراهم قالوا: دُنَيْنِيرٌ"[٦]. ومن ذلك؛ الألفاظ: ديوان، وديباج، وشيراز، وديماس؛ حيث قلبت الواو والباء والراء والميم إلى الياء فرارًا من التضعيف[٧].

---

[١] أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري، المفصل في صنعة الإعراب (ط٢، دار الجيل/ بيروت، عن طبعة النعساني ١٣٢٣هـ) ص٣٦٤- ٣٦٥.

[٢] موفق الدين أبوالبقاء يعيش بن علي بن يعيش، شرح المفصل (إدارة الطباعة المنيرية/القاهرة) ١٠: ٢٦.

[٣] ابن يعيش، شرح المفصل، ١٠: ٢٦.

[٤] أبوحيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان، ارتشاف الضرب من لسان العرب، تحقيق: مصطفى أحمد النماس (ط١، النسر الذهبي/ القاهرة، ١٩٨٤م.)١: ١٢١.

[٥] عبدالجواد الطيب، من لغات العرب: لهجة هذيل (جامعة الفاتح/ طرابلس) ص١٣١.

[٦] الكتاب، ٤: ٢٣٩.

[٧] المنصف، ٢:٣٢- ٣٣.

ومـن ذلـك إبـدال اليـاء مـن التـاء الأولى في اتّـصلت[١]. قـال ابـن يعـيش: "وقـالوا في اتَّـصلت (ايتَصَلْتُ) أبدلوا من التاء الأولى ياء للعلة المذكورة، قال الشاعر:

قامَ بِهَا يُنْشِدُ كُلُّ مُنْشِدِ فايْتَصَلَتْ بِمِثْلِ ضَوْءِ الفَرْقَدِ

أراد اتَّصلَتْ فكره التضعيف"[٢].

ومن هذا إبدال إحدى ميمي (أمّا)، قال الطوسي: "لغة العرب جميعًا بالتشديد، وكثير من بني عامر وتميم يقولونك أيْما فلان ففعل الله به، وأنشد بعضهم:

مُبْتَلَّةٌ هَيْفَـاءُ أَيْما وِشَاحُـهَا فَيَجْرِي وَأَيْمَا الحِجْلُ مِنْهَا فَلاَ يَجْرِي"[٣].

وقد يكون الإبدال في المضعف الرباعي، إذ تبدل لامه الثانية ياءً. فقد ذكر المازني أن الخليل يذهب إلى أن (دَهْدَيْتُ) أصلها: (دَهْدَهْتُ)، وأيد قول الخليل بورود اللفظ بالهاء، فقد قال بعضهم: (دَهْدَهْتُ) على الأصل، وبأن العرب تبدل الهاء في (هذه) ياء فيقولون (هذي)[٤]. وذكر الزمخشري من ذلك: صَهْصَيْت[٥]، "في صَهْصَهْتُ إذا قلت: صَهْ صَهْ بمعنى اسكت فالياء بدل من الهاء كراهية التضعيف"[٦].

وأود قبل الانتقال إلى الوسيلة الرابعة أن نورد رأي الباحثين اللغويين المحدثين في ظاهرة الإبدال هذه، وهم يتفقون على تسميتها بظاهرة (المخالفة Dissimilation) "وهي أن الكلمة قد تشتمل على صوتين متماثلين كل المماثلة فيقلب أحدهما إلى صوت آخر لتتم المخالفة بين الصوتين المتماثلين"[٧].

---

[١] الزمخشري، المفصل، ص٣٦٤.

[٢] شرح المفصل، ١٠: ٢٦- ٢٧.

[٣] أبوجعفر محمد بن الحسن بن علي بن الحسن الطوسيّ، تفسير البيان، تحقيق: أحمد حبيب قصير العاملي (مكتبة الأمين/ النجف الأشرف) ١: ١١٥.

[٤] المنصف، ٢: ١٧٥.

[٥] الزمخشري، المفصل، ص٣٦٤.

[٦] شرح المفصل، ١: ٢٦.

[٧] إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية (ط٥، مكتبة الأنجلو/ القاهرة، ١٩٧٥م.) ص٢١٠.

وأشار إبراهيم أنيس إلى أنّ العرب لم يولوا هذه الظاهرة ما تستحقه من اهتمام إذ الملاحظ أن كثيرًا من الكلمات ذات المتماثلين تماثلاً تامًا يتغير أحدهما إلى صوت لين طويل في الغالب أو إلى أحد الأصوات الشبيهة بأصوات اللين (ل، ن، م، ر)، خاصة اللام والنون[١]. ويعلل ذلك بأن فيه تيسيرًا للمجهود العضلي وفاقًا لنظرية السهولة التي مفادها أنّ الإنسان في نطقه يميل إلى تلمس الأصوات السهلة التي لا تحتاج إلى جهد عضلي، فيبدل بالأصوات الصعبة في لغته الأصوات السهلة[٢]. ويذكر إبراهيم أنيس أنه جمع عشرات الأمثلة من كتب اللغة ومعجماتها، وهي أمثلة يشترك فيها معتل العين واللام في المعنى مع المضعف، ويذهب إلى أن الأصل، في الظاهر، هو التضعيف ثم سهّل بعدُ[٣].

ويرى غالب المطلبي أنّ المخالفة عند بني تميم - في ظنه- للتخلص من الفكّ، أي من وجود متماثلين غير مدغمين؛ لأن كراهة الفكّ خصيصة من خصائص اللهجة التميمية؛ إذ يغلب عليها المحافظة على المدغمين، فإن تعذر خالفت بينهما فأبدلت الثاني ياءً، أو تخلصت من أحدهما بالحذف. ويستعين الحجازيون بالمخالفة للتخلص من الإدغام، ويتضح هذا من ألفاظ جنح فيها التميميون إلى الإدغام وخالف الحجازيون بين المتماثلين[٤].

والمتأمل لأمثلة هذه الظاهرة يرى أنها ليست سواء إذ منها ما خلَفَ المضعفَ الثاني حرفُ مدّ. وليس هذا عندي من الإبدال؛ بل هو من قبيل حذف الصوت والتعويض عنه بمطل الحركة، مثل: يأتِم ← يأتِي، دنّار ← دينار، هذِه ← هذي.

٤- الحذف

---

[١] الأصوات اللغوية، ص٢١١.

[٢] الأصوات اللغوية، ص٢١١.

[٣] الأصوات اللغوية، ص٢١١_٢١٢.

[٤] غالب فاضل المطلبي، لهجة تميم وأثرها في العربية الموحدة (وزارة الثقافة/ بغداد، ١٩٧٨م.)ص١١٧.

يكون الحذف وسيلة من وسائل التخلص من المتماثلات حين لا يصح الإدغام، ولا التخفيف ولا الإعلال والإبدال؛ لما يحول دون ذلك من أسباب من مثل لزوم تحرك الحرف الأول، والتقاء ساكنين، أو كون المتماثلات من الحروف التي لا تعلّ.

٤/١- حذف الهمزة

يعرض هذا للهمزة في مضارع الفعل على بناء (أَفْعَلَ). قال سيبويه: "وزعم الخليل أنه كان القياس أن تثبت الهمزة في (يُفْعِل) و(يُفْعَل) وأخواتهما كما ثبتت التاء في تَفَعَّلْتُ وتَفَعَلْتُ في كلّ حال، ولكنَّهم حذفوا الهمزة في باب أَفْعَلَ من هذا الموضع فاطّرد الحذف فيه؛ لأن الهمزة تثقل عليهم كما وصفت لك. وكثر هذا في كلامهم فحذفوه واجتمعوا على حذفه، كما اجتمعوا على حذف كُلْ وتَرَى"[١]. ويرى سيبويه أن هذا الحذف أجدر من الحذف في الفعلين (كُلْ) و(تَرَى)؛ لأن المحذوف هنا زيادة وهي همزة النقل وضم إليها زيادة هي حرف المضارعة[٢].

وبيان ذلك الحذف على هذا النحو:

أ(همزة المضارعة)+ أَكْرَم(الفعل الماضي) ← أُأَكْرِمُ ← أُØكْرِمُ = أُكْرِمُ (بعد الحذف)

وقد حذفت الهمزة عند إسناد الفعل إلى غير المتكلم وإن لم يكن ثَـمَّ اجتماع همزتين ليكون الحذف مطّردًا: (يُكْرم، تُكْرم، نُكْرم).

ومن حذف الهمزة حذفها من فعل الأمر من (أَكَلَ، وأَخَذَ، وأَمَرَ)، فيقال: كُلْ، وخُذْ، ومُرْ؛ إذ لو لم تحذف الهمزة لاجتمعت همزتان: همزة الوصل وهمزة الفعل الساكنة (أُؤْكُلْ، أُؤْخُذْ،

(١) الكتاب، ٤: ٢٧٩.

(٢) الكتاب، ٤: ٢٧٩.

أُؤْمُرْ)[١]. ومن العرب من يتخلص بالقلب كما يظهر في المدخل (١/٣- ج) من هذا البحث. واستمرّ هذا في لهجة الأردن اليوم حيث يقولون: أوكل، أوخذ، ويقولون في نجد اليوم: أومر.

وعندما تجتمع همزتان من كلمتين فقد يتخلص من الأولى بقلبها ألفًا أو يتخلص من الثانية بالحذف، مثال ذلك: (اِقْرأْ آيَة)، وعلّل سيبويه ذلك بقوله: "لأنك خفّفت همزة متحركة قبلها حرف ساكن، فحذفتها وألقيت حركتها على الساكن الذي قبلها"[٢]. ويضرب سيبويه مثالاً آخر على التخلص من الهمزتين بحذف الثانية، وذلك هو (أَقْرِئْ أَبَاكَ السلام). وينسب سيبويه إلى أهل الحجاز أنهم يقولون: (أَقْرِيَ بَاكَ السلام). "لأنهم يخفّفونهما، فإنما قلت أَقْرِي ثمّ جئت بالأب فحذفت الهمزة وألقيت الحركة على الياء"[٣].

ومن قبيل حذف الهمزة حذفها في قراءة لابن كثير وابن محيصن والزهريّ حيث يقرؤون قوله تعالى ءَأَنْذَرْتَهُمْ [٦- البقرة] بهمزة واحدة: (أَنْذَرْتَهُمْ)[٤]، قال ابن جنّي: "هذا مما لابد فيه أن يكون تقديره (أَأَنْذَرْتَهُمْ)، ثم حذفت همزة الاستفهام تخفيفًا لكراهية الهمزتين"[٥].

٢/٤: حذف النون

---

[١] ذهب داود عبده إلى أن في هذه الأفعال مجالاً لتطبيق قاعدتين صوتيتين إحداهما إقحام كسرة بين الهمزة وهمزة وصل مجتلبة، وأمّا الأخرى فهي التخلص من الهمزة الساكنة. وقد سبقت القاعدة الثانية الأولى فألغتها. انظر: ترتيب تطبيق القواعد الصوتية في اللغة العربية، المجلة العربية للدراسات اللغوية(معهد الخرطوم الدولي للغة العربية/ الخرطوم، أغسطس١٩٨٢م.) ع١، ص١١٧.

[٢] الكتاب، ٣: ٥٥٠.

[٣] الكتاب، ٣: ٥٥٠.

[٤] قرأ ابن كثير{أَنْذَرْتَهُمْ} بهمزة واحدة، وقرأ ابن عامر وأهل الكوفة بهمزتين {أَأَنْذَرْتَهُمْ}. انظر: أبوزرعة عبدالرحمن بن محمد بن زنجلة، حجة القراءات، تحقيق: سعيد الأفغاني (مؤسسة الرسالة/ بيروت، ١٩٧٩م.)ص٨٦. وقرأ بهمزة واحدة ابن محيصن، وبهمزتين محققتين قرأ حمزة وعاصم والكسائي. انظر: أبوعبدالله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (ط٣، دار القلم/ القاهرة، ١٩٦٦م.)١: ١٨٥.

[٥] أبوالفتح عثمان بن جني، المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، تحقيق: علي النجدي ناصف، وعبدالحليم النجار وعبدالفتاح إسماعيل شلبي (المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية/ القاهرة، ١٩٨٦م.) ١: ٥٠.

٢/٤- أ: حذف نون الرفع

حين يؤكد الفعل بنون التوكيد الثقيلة يلتقي ثلاث نونات وهذا ما يتخلص منه، قال سيبويه: "وإذا كان فعلُ الاثنين مرفوعًا وأدخلت النون الثقيلة حذفت نون الاثنين لاجتماع النونات"[١]. وقال أيضًا: "وإذا كان فعلُ الجميع مرفوعًا ثم أدخلت النون فيه الخفيفة أو الثقيلة حذفت نون الرفع، وذلك قولك: لَتَفْعَلُنَّ ذاك ولَتَذْهَبُنَّ؛ لأنه اجتمعت ثلاث نونات، فحذفوها استثقالاً. وتقول هل تَفْعَلُنَّ ذاك، تحذف نون الرفع لأنك ضاعفت النون، وهم يستثقلون التضعيف، فحذفوها إذ كانت تحذف، وهم في ذا الموضع أشد استثقالاً للنونات، وقد حذفوها فيما هو أشدّ من ذا"[٢].

ويشير سيبويه إلى موضع آخر من حذف نون الرفع، وذلك مع نون الوقاية، ولكن هذا الحذف هو طريقة لبعض القراء وليس أمرًا مطّردًا بين العرب. قال: "بلغنا أن بعض القراء قرأ: أَتُحَاجُّونِي [٨٠- الأنعام] وكان يقرأ: فَبِمَ تُبَشِّرُونَ [٥٤- الحجر]، وهي قراءة أهل المدينة؛ وذلك لأنهم استثقلوا التضعيف"[٣]. قال ابن جنّي: "فحذف النون الأولى التي هي علم الرفع، كما يقول: (هو يُمكّني) فيحذف الضمة للتخفيف؛ كذلك يحذف النون للتخفيف، ولا يجوز أن تكون المحذوفة الثانية؛ لأنها من الاسم المضمر ولا يمكن حذفها"[٤].

٢/٤- ب: حذف نون الوقاية

هناك موضع تحذف فيه نون الوقاية، قال ابن جنّي: "ومنهم من يحذف النون الآخرة إذا كانت قبلها النون التي ليست حرف الإعراب، فيقول: (أنتما تضربانِي، وهم يقتلونِي)، قال الشاعر:

أَبِالْمَوْتِ الَّذِي لابُدَّ أَنِّي مُلاَقٍ –لا أباكِ- تُخَوِّفِينِي

---

[١] الكتاب، ٣: ٥١٩.

[٢] الكتاب، ٣: ٥١٩.

[٣] الكتاب، ٣: ٥١٩- ٥٢٠.

[٤] المنصف، ٢: ٣٣٨.

يريد: (تُخَـوِّفِينَنِي)، فحـذف الآخـرة"[١]. ومـن شـواهد سـيبويه علـى ذلـك قـول عمـرو بـن معديكرب:

تَرَاهُ كَالثَّغَامِ يُعَلُّ مِسْكًا   يَسُوءُ الفَالِيَات إذَا فَلَيْنِي

يريد: فَلَيْنَنِي[٢]. قال ابن جنّي: "فحف النون الآخرة، كما حذفها من: (تُخَوِّفِينِي)، وكانت الآخرة أولى بذلك في (تُخَوِّفِينِي)؛ لأن الأولى علم الرفع، والثانية إنما جيء بها في الواحد ليسلم حرف الإعراب من الكسر[٣]، ويقع الكسر عليها، فتركت في الجمع على حدّ ما كانت عليه في الواحد، فلما اضطر في الجمع حرك النون التي هي علم الرفع بالكسر، ولم يمتنع من ذلك؛ لأنها ليست حرف الإعراب فيكره فيها الكسر. وأمّا (فَلَيْنِي) فحذف الأولى منه أبعد في الجواز؛ لأنها علامة الأسماء المضمرة"[٤].

ومن حذف نون الوقاية حذفها مع (إنّ وأخوتها) قال سيبويه: "فإن قلت: ما بال العرب قالت: إنّي، وكأنّي، ولَعَلّي، ولكنّي؟ فإنّه زعم أن هذه الحروف اجتمع فيها أنها كثيرة في كلامهم، وأنهم يستثقلون في كلامهم التضعيف، فلما كثر استعمالهم إيّاها مع تضعيف الحروف، حذفوا التي تلي الياء"[٥].

٢/٤- ج: حذف نون (إنَّ وأخواتها)

---

[١] المنصف، ٢: ٣٣٧.

[٢] الكتاب، ٣: ٥٢٠.

[٣] الصواب من ناحية صوتية هو أن النون جيء بها لتفصل بين حركتين قصيرة هي الفتحة وطويلة هي ياء المد ولا تتوالى الحركات بخلاف الصوامت.

[٤] المنصف، ٢: ٣٣٨.

[٥] الكتاب، ٢: ٣٦٩.

قال ابن جنّي : "وقالوا : إنّ زيدًا لمنطلق فحذفوا النون وأصله إنَّ زيدًا لمنطلق"[١]. قال ابن يعيش : "إلا أنهم حذفوا إحدى النونين كراهية التضعيف. وقد جاء الحذف في الحروف المضاعفة كثيرًا، تخفيفًا، لثقل التضعيف، كما فعل ذلك في الاسم والفعل، من نحو (سُر، وضُر) و(رُب) في: رُبَّ و(إنَّ) في: إنَّ، و(كأنْ) في: كأنَّ، و(لَكِنْ)في: لَكِنَّ، ولذلك قال صاحب الكتاب: ولهذا نظائر"[٢].

٣/٤ : حذف تاء (استفعل)

من ذلك أحد تفسيري سيبويه لـ(استخذ)، قال: "وفيها قول آخر أن يكون اسْتَفْعَلَ، فحذف التاء للتضعيف من اسْتَتْخَذَ كما حذفوا لام ظَلْتُ"[٣].

٤/٤ : حذف فاء الفعل بعد حرف المضارعة

٤/٤- أ: حذف التاء بعد التاء

قد يجتمع في أول مضارع (تَفَاعَلَ، وتَفَعَّلَ) تاءان، فيجوز الإبقاء عليهما أو التخلص من اجتماعهما، ويكون التخلص بحذف إحداهما أو بالإدغام، ولكن الحذف أكثر. والمحذوف عند سيبويه الثانية ؛ لأن الثقل نشأ منها، ولأن حرف المضارعة زيدت لتكون علامة ؛ والطارئ يزيل الثابت إذا كره اجتماعهما، ولأنها في قول سيبويه، التي تدغم في مثل (تَطَّيَّر). أما الكوفيون فيقولون بأن المحذوف هي الأولى[٤].

وليس القول بكثرة الحذف دليلاً على أنه مقدم على الإدغام بل لأن الإدغام متعذر أو يتطلب اجتلاب همزة وصل.

---

[١] أبوالفتح عثمان بن جني، التصريف الملوكي، عناية النعساني (ط١، مطبعة شركة التمدن/ القاهرة) ص٤٤.

[٢] موفق الدين أبوالبقاء يعيش بن علي بن يعيش، شرح الملوكي في التصريف، تحقيق: فخرالدين قباوه (ط١، المكتبة العربية/ حلب، ١٩٧٣م.) ص٤٢٥.

[٣] الكتاب، ٤ : ٤٨٤.

[٤] شرح الشافية، ٣ : ٢٩٠.

وأمثلة حذف التاء في القرآن كثيرة، ونذكر لذلك أمثلة نأخذها من المصحف الموافق رسمه قراءة حفص عن عاصم بن أبي النجود. والقراءة بتاء واحدة هي قراءة الجمهور أيضًا؛ ولكنّي سأنبه –في الحواشي– إلى الآيات التي وردت بقراءة تثبت التاءين. فمما جاء بحذف التاء منه قوله تعالى: إِذْ تَلَقَّوْنَهُ[1] بِأَلْسِنَتِكُمْ [١٥- النور]، و وَيَوْمَ تَشَقَّقُ[2] السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ [٢٥- الفرقان]، و(وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَى)[٣٣- الأحزاب]، و(وَلا تَجَسَّسُوا)[١٢- الحجرات]، و لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ [٦٥- الواقعة]، و وَإِنْ تَظَاهَرَا[3] عَلَيْهِ [٤- التحريم]، و تَكَادُ تَمَيَّزُ[4] مِنَ الْغَيْظِ [٨- الملك]، و إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ [٣٨- القلم]، و فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى [١٨- النازعات] و فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى [٦- عبس]، و فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى[5] [١٠- عبس]، و فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى[6] [١٤- الليل].

وحذف هذه التاء سمة نجدها في لغة هذيل، وقد ساق عبدالجواد الطيب شواهد عديدة لهذه الظاهرة من أشعار الهذليين[7].

---

[1] قرأ الجمهور تَلَقَّوْنَهُ بتاء واحدة، وقرأ تَتَلَقَّوْنَهُ بتاءين أُبَيّ وابن مسعود. انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ٢: ٢٠٤.

[2] قرأ عاصم والأعمش ويحيى وحمزة والكسائي وأبو عمرو تَشَقَّقُ بتخفيف الشين وأصله بتاءين فحذفوا الأولى تخفيفًا. انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ١٣: ٢٣.

[3] قرأ تَظَاهَرَا بتاء وظاء خفيفة أبورجاء والحسن وعاصم ونافع، وقرأ تَتَظَاهَرَا بتاءين عكرمة على الأصل. انظر: أبوحيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان، تفسير البحر المحيط (مكتبة النصر الحديثة/ الرياض عن مطبعة السعادة/ القاهرة، ١٣٢٩هـ) ٨: ٢٩١.

[4] قرأ الجمهور تَمَيَّزُ بتاء واحدة وقرأ طلحة تَتَمَيَّزُ بتاءين. انظر: أبوحيان، البحر المحيط، ٨: ٢٩٩.

[5] قرأ الجمهور تَلَهَّى بتاء واحدة، وقرأ طلحة تَتَلَهَّى بتاءين. انظر: أبوحيان، البحر المحيط، ٨: ٤٢٨.

[6] قراءة الجمهور تَلَظَّى بتاء واحدة، وقرأها بتاءين تَتَلَظَّى جماعة منهم عمرو بن دينار. انظر: أبوزكرياء يحيى بن زياد الفراء، معاني القرآن، تحقيق: عبدالفتاح إسماعيل شلبي (الهيئة المصرية العامة للكتاب/ القاهرة، ١٩٧٢م.) ٣: ٢٧٢. وانظر: أحمد مختار عمر وعبدالعال سالم مكرم، معجم القراءات القرآنية (ط١، جامعة الكويت/ الكويت، ١٩٨٥م.) ٨: ١٧٢- ١٧٣.

[7] لهجة هذيل، ص ١٥٥- ١٥٧.

ومن ذلك حذف تاء (افْتَعَلَ: يَفْتَعِلُ)، ومثال ذلك ما ذكره سيبويه في الكتاب، قال سيبويه: "ومن الشاذ قولهم: تقِيت وهو يتَقى، ويتَسع، لّما كانتا مما كثر في كلامهم وكانتا تاءين، حذفوا العين من المضاعف نحو: أَحَسْتُ ومَسْتُ. وكانوا على هذا أجرأ؛ لأنه موضع حذف وبدل. والمحذوفة التي هي مكان الفاء، ألا ترى أن التي تبقى متحركة"[١].

ويضاف إلى هذين الفعلين الفعل (يَتَّخِذُ) إذ قيل فيه (يَتَخِذُ)[٢]. قال الرضي: "ولم يجئ الحذف في مواضي الثلاثة إلا في ماضي يَتَقِي، يقال: تَقَى"[٣].

وتنسب هذه الظاهرة إلى لهجتي تميم وأسد[٤]. ونسبها عبدالجواد الطيّب إلى لهجة هذيل مستدلاً بظهورها في أشعارهم وقراءة ابن مسعود لقوله تعالى: لَوْ شِئْتَ لاَتَّخَذْتَ[٥] عَلَيْهِ أَجْرًا [٧٧- الكهف]، وقد نصّ على نسبتها إلى هذيل أبو عمرو بن العلاء، وأبو عبيدة[٦].

٤/٤- ب: حذف النون بعد النون

وهذا الحذف ليس كسابقه فهو قليل؛ ولكنه ورد في قراءات، "ومن ذلك ما روى ابن كثير وأهل مكة: وَنُزِّلُ الْمَلائِكَةَ [٧][٢٥- الفرقان]، وكذلك روى خارجة عن أبي عمرو. قال أبو الفتح: ينبغي أن يكون محمولاً على أنه أراد: ونُنَزِّلُ الملائكةَ، إلا أنه حذف النون الثانية التي هي فاء نزّل؛ لالتقاء النونين استخفافًا، وشبهها بما حذف من أحد المثلين الزائدين في نحو قولهم: أنتم

---

[١] الكتاب، ٤: ٤٨٣.

[٢] شرح الشافية، ٣: ٢٩٣.

[٣] شرح الشافية، ٣: ٢٩٣.

[٤] صالحة آل غنيم، اللهجات في الكتاب، ص٥٥٢- ٥٥٣.

[٥] قرأ الجمهور لاَتَّخَذْتَ، وقرأ أبوعمرو لتَخِذْتَ وهي قراءة ابن مسعود والحسن وقتادة. انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ١١: ٣٢.

[٦] لهجة هذيل، ص١٥٥.

[٧] قرأ أبومعاذ وخارجة عن أبي عمرو وَنُزِّلُ الْمَلائِكَةَ بضم النون وتشديد الزاي، أسقط النون من وَنُنَزِّلُ، وفي بعض المصاحف وَنُنَزِّلُ بالنون مضارع نزّل مشددًا مبنيًّا للفاعل ونسبها ابن عطية لابن كثير وحده. انظر: البحر المحيط، ٦: ٤٩٤.

تَفَكَّرُونَ، وتَطَهَّرُونَ، وأنت تريد: تَتَفَكَّرُونَ، وتَتَطَهَّرُونَ، ونحوه قراءة من قرأ: وَكَذَلِكَ نُجِّي الْمُؤْمِنِينَ [٨٨- الأنبياء]، ألا تراه يريد: نُنَجِّي، فحذف النون الثانية وإن كانت أصلاً لما ذكرنا"[١][٢].

ونسبت قراءة (نُجِّي) في (التصريح) إلى ابن عامر وعاصم، وذكر أن أصلهما نُنَجِّي بفتح النون الثانية وتشديد الجيم المكسورة مضارع نَجَّى فحذفت النون الثانية ويرى أن هذا ضعيف لعدم اطّراده في أفعال أخرى الفاء منها نون مثل (نَبَّأَ، ونَزَّلَ، ونَقَّى)، وذكر تخريجًا آخر وهو أن الأصل نُنْجِي بسكون النون الثانية وأنها أدغمت في الجيم، غير أن إدغام النون في الجيم يكاد لا يعرف إذ هي تُخفى عند الجيم لا تدغم، وذكر قولاً ثالثًا هو أن الفعل ماضٍ من (نَجَا: يَنْجُو) ثم ضعفت العين وبني للمفعول وأسند لضمير المصدر وضعّف هذا القول[٣].

٤/٥- حذف الواو:

يتحدث سيبويه عن الواو التي هي جزء من ضمير الجمع، فيذهب إلى أنك بالخيار إن شئت حذفت وإن شئت أثبت. ويفسر سبب الحذف بكثرة الاستعمال مع اجتماع الضمتين مع الواو، وأمثلة ذلك: عَلَيْكُمُو، أَنْتُمُو، أَبُوْهُمُو، رُسُلُهُمُو. حيث تصير: عَلَيْكُمْ، أَنْتُمْ، أَبُوهُمْ، رُسُلُهُمْ[٤].

٤/٦- حذف الياء

٤/٦- أ: حذف الياء من كلمات على بناء (فَعِيل)، وعينها ياء

قال سيبويه: "وأما قولهم: مَيْتٌ وهَيْنٌ ولَيْنٌ، فإنَّهم يحذفون العين كما يحذفون الهمزة من هائرٍ، لاستثقالهم الياءات"[١]. وذكرت صالحة آل غنيم أنّ كثيرًا من العلماء قد ذكروا اللهجتين دون

---

[١] قرأ الجمهور بنونين ثانيتهما مفتوحة وجيم مشددة نُنَجِّ ، وقرأ الكسائي وحفص عن عاصم بتسكين النون وتخفيف الجيم نُنْجِ . انظر: أبوبكر أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد، كتاب السبعة في القراءات، تحقيق: شوقي ضيف (ط١، دار المعارف بمصر/ القاهرة، ١٩٧٢م.) ص٣٣٠.

[٢] ابن جني، المحتسب، ٢: ١٢٠- ١٢١.

[٣] خالد بن عبدالله الأزهري، شرح التصريح على التوضيح (دار إحياء الكتب العربية/ القاهرة) ٢: ٤٠١.

[٤] الكتاب، ٤: ١٩١- ١٩٢.

عزو إلى أهلهما، ولذا فهي ترجح كون الحذف لقبائل بدوية واحتجت بأنّ بقايا هذه اللهجة تسمع إلى اليوم في لهجة (أهل القصيم) إذ يقولون: (مَيْت)، و(هَيْن)، و(لَيْن) ونحوها[٢]. والحق أن أهل القصيم لا يخففون من هذه الألفاظ سوى (ميت) أما بقية الألفاظ فهي مشددة في نطقهم. وليس من الصواب عدّ لهجة القصيم من اللهجات البدوية؛ إذ هي بيئة واحات زراعية ذات طابع مستقر، وليس في طريقتهم سرعة اللهجة البدوية التي تنْزع إلى الحذف.

وإن يكن الحذف في هذه الألفاظ جائزًا لأنه سمة لهجية كما تبين، فإنه يكون في هذه الألفاظ وما ماثلها أمرًا واجبًا لما ينالها من الثقل. قال سيبويه: "فمما جاء محذوفًا من نحو سَيِّد، ومَيِّت: هَيْنٌ، ومَيْتٌ، ولَيْنٌ، وطَيْبٌ، وطيْءٌ، فإذا أضفت لم يكن إلا الحذف، إذ كنت تحذف هذه الياء في غير الإضافة"[٣].

٤/٦- ب: حذف الياء بسبب النسب

ويفهم من عبارة سيبويه السابقة أنّ الحذف اختياري مبعثه طلب الخفة بالتخلص من أحد المتماثلين؛ ولكنه يصير أمرًا لازمًا عند النسب إلى اللفظ؛ لأن المتماثلات تزيد.

وقال سيبويه ممثلاً لحذف الياء بسبب النسب إلى اللفظ: "وذلك نحو أُسَيِّدٍ، وحُمَيِّرٍ، ولُبَيِّدٍ، فإذا أضفت إلى شيء من هذا تركت الياء الساكنة وحذفت المتحركة لتقارب الياءات مع الكسرة التي في الياء والتي في آخر الاسم، فلمّا كثرت الياءات وتقاربت وتوالت الكسرات التي في الياء والدال استثقلوه، فحذفوا، وكان المتحرك هو الذي يخفف عليهم؛ لأنهم لو حذفوا الساكن لكان ما يتوالى فيه من الحركات التي لا يكون حرف عليها مع تقارب الياءات والكسرتين في الثقل مثل أُسَيِّد، لكراهيتهم هذه المتحركات. فلم يكونوا ليفروا من الثقل إلى شيء هو في الثقل مثله وهو أقل في كلامهم منه، وهو أُسَيْدِيٌّ، وحُمَيْرِيٌّ، ولُبَيْدِيٌّ. وكذلك تقول العرب. وكذلك سيّد وميّت

---

[١] الكتاب، ٤: ٣٦٦.

[٢] صالحة آل غنيم، اللهجات في الكتاب، ص٥٥٦.

[٣] الكتاب، ٣: ٣٧١.

ونحوهما ؛ لأنهما ياءان مدغمة إحداهما في الأخرى ، يليها آخر الاسم. وهم مما يحذفون هذه الياءات في غير الإضافة. فإذا أضافوا فكثرت الياءات وعدد الحروف ألزموا أنفسهم أن يحذفوا"[١].

ومن حذف الياءات بسبب النسب الذي يجلب ياءين ما نجده من حذف في الكلمات التي تنتهي بياء مشددة بعد ثلاثة حروف، ومثال ذلك ما في قول سيبويه: "وإلى مَرْمِيٍّ: مَرْمِيٌّ تحذف الياءين وتثبت ياءي الإضافة. وإلى مَرْمِيَّةٍ مَرْمِيٌّ، تحذف الياءين الأُولَيين"[٢].

٦/٤- ج: حذف الياء بسبب التصغير

تحذف الياء من مصغّر الممدود مثل (كساء)، فهو عند التصغير (كُسَيّ) وأصله: كُسَيِّي؛ فحذفت الياء الأخيرة؛ لاجتماع الياءات[٣]. وتغيره على النحو الآتي:

كِسَاء- (فُعَيْعِل) ← كُسَيِّو [عادت الواو لزوال علة الهمز]- (بالإعلال) ← كُسَيِّي -(بالحذف) ← كُسَيّ

وجعل ابن مالك ذلك قاعدة في قوله: "وتحذف أيضًا كل ياء تطرفت لفظًا أو تقديرًا بعد ياء مكسورة مدغم فيها أخرى"[٤]. وشرح ابن عقيل ذلك بقوله: "فاللفظ نحو: عُطَيّ تصغير عَطَاء، والأصل: عُطَيِّي، والياء الأولى للتصغير والثانية المنقلبة عن الألف التي كانت في المكبر، كما في غُزَيِّل، تصغير غَزال، والثالثة لام الكلمة التي هي واو أبدلت همزة في المكبر، وصارت هنا ياءً؛ لكسر ما قبلها لمّا صغّر، فتحذف هذه الياء تخفيفًا، وكان الحذف لها لتطرفها، والأطراف محل التغيير.

---

[١] الكتاب، ٣: ٣٧٠- ٣٧١.

[٢] الكتاب، ٣: ٣٤٦.

[٣] المنصف، ٢: ٨٧.

[٤] أبوعبدالله جمال الدين محمد بن مالك، تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد، تحقيق: محمد كامل بركات (ط١، وزارة الثقافة/ القاهرة، ١٩٦٧م.) ص٣٠٧.

والتقدير نحو: سُقَيَّة، تصغير سِقَايَة، والعمل فيه كما تقدم، لأنها تطرفت تقديرًا، لأن تاء التأنيث كالمنفصلة"[١].

٤/٦- د: حذف الياء بسبب التثنية وجمع السلامة

من حذف الياء حذفها في مثل (ثُرَيَّا) عند تثنيتها أو جمعهَا جمع سلامة إذ يقال: (ثُرَيّان) وأصلها: ثُرَيَّيَان، و(ثُرَيَّات) واصلها: ثُرَيَّيَات؛ فالقياس قلب ألف المقصور الرابعة ياء عند التثنية أو الجمع جمع سلامة، ولكن حذفت تجنّبًا لاجتماع ثلاث ياءات. قال عبّاس حسن: "وإذا قلبت الزائدة على الثلاثة ياء عند التثنية، وأدّى قلبها إلى اجتماع ثلاث ياءات في آخر كلمة واحدة وجب حذف التي قبلها مباشرة؛ نحو: ثُرَيَّا وثُرَيَّان؛ لكيلا يجتمع في الكلمة الواحدة ثلاثة أحرف من نوع واحد"[٢]. وقال في موضع آخر: "وإذا أدّى جمع المقصور إلى اجتماع ثلاث ياءات كما في جمع: ثُرَيَّا على (ثُرَيَّيَات). وجب الاقتصار على اثنتين فقط، فيقال: ثُرَيَّات بحذف الياء التي بعد ياء التصغير"[٣].

٤/٦- هـ: حذف الياء في بعض أمثلة الجموع

ومن حذف إحدى الياءين ما أورده سيبويه في قوله: "وقد كرهوا الياءين وليستا تليان الألف حتى حذفوا إحداهما فقالوا أثافٍ؛ ومِعْطَاءٌ ومَعَاطٍ"[٤].

ومما يخفف أيضًا (أَمَنِيّ) فيقال (أَمَانِي)، قال الأخفش: "وأما تثقيل (الأَمَانِيّ) فلأن واحدها (أُمْنِيَّةٌ) مثقل، وكلّ ما كان واحده مثقلاً، مثل (بُخْتِيَّةٌ وبَخَاتِيّ) فهو مثقل. وقد قرأ بعضهم[٥]: ﴿إِلاَّ أَمَانِيَّ﴾ [٧٨- البقرة] فخفف، وذلك جائز، لأن الجمع على غير واحده، وينقص منه ويزاد فيه"[٦].

---

[١] بهاء الدين بن عقيل، المساعد على تسهيل الفوائد، تحقيق: محمد كامل بركات (ط١، جامعة أم القرى/مكة المكرمة، ١٩٨٤م.)٤: ١٤٧.

[٢] عباس حسن، النحو الوافي (ط٢، دار المعارف بمصر/ القاهرة، ١٩٦٨م.) ٤: ٥٦٨.

[٣] النحو الوافي، ٤: ٥٧٢.

[٤] الكتاب، ٤: ٤١٦.

[٥] قرأ الجمهور ﴿أَمَانِيَّ﴾ بالتشديد، وقرأ أبوجعفر وشيبة والأعرج ﴿أَمَانِيَ﴾ خفيفة الياء، حذفوا إحدى الياءين استخفافًا. انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ٢: ٥.

[٦] معاني القرآن، ١: ١١٧.

وإن يكن تخفيف (أَمَانِيّ) جائز فإن (أَثَافِيّ) بخلافها إذ تثقيلها هو الجائز، قال الأخفش: "فأما (أَثَافِي) فكلهم يخففها، وواحدتها (أُثْفِيَّةٌ) مثقلة، وإنما خففوها؛ لأنهم يستعملونها في الكلام والشعر كثيرًا، وتثقيلها في القياس جائز. ومثل تخفيف (الأَمَانِي)، قولهم: مفتاح ومفاتح، وفي (مِعْطَاءٍ): مَعَاطٍ. قال الأخفش: قد سمعت بلعنبر تقول: صَحَارِيّ، ومَعَاطِيّ، فتثقل"[١].

وتعلل صالحة آل غنيم حرص هؤلاء على التشديد بأنه مظهر من مظاهر التزامهم النبر على المقطع الأخير[٢].

٤/٦- و: حذف الياء من الضمير

يتحدث سيبويه عن الياء التي هي جزء من ضمير الجمع فيذهب إلى أنك بالخيار إن شئت حذفت وإن شئت أثبت. ويفسر سبب الحذف بكثرة الاستعمال مع اجتماع الكسرتين مع الياء، ومثاله: لَدَيْهِمِي، بِهِمِي: فتصير: لَدَيْهِم، بِهِم[٣].

٤/٦- ز: حذف الياء من بعض تصاريف مادة(ح/ي/ي)

من الحذف ما نجده في الفعل (استحيا) الذي اختلف في سبب حذف الياء منه؛ فذهب الخليل إلى أنه تجنب التقاء الساكنين[٤]؛ جاء في الكتاب: "وكذلك اسْتَحَيْتُ أسكنوا الياء الأولى منها كما سكنتْ في بِعْتُ، وسكنت الثانية؛ لأنها لام الفعل، فحذفت الأولى لئلا يلتقي ساكنان. وإنما فعلوا هذا حيث كثر في كلامهم. وقال غيره[غير الخليل]: لما كثرت في كلامهم وكانتا ياءين حذفوها وألقوا حركتها على الحاء، كما ألزموا يَرَى الحذف، وكما قالوا: لم يَكُ ولا أَدْرِ"[٥]. وهذا مذهب يذهب

---

[١] معاني القرآن ١: ١١٧- ١١٨.

[٢] اللهجات في الكتاب، ص٥٦٦.

[٣] الكتاب، ٤: ١٩١- ١٩٢.

[٤] صرح ابن جني بنسبة هذا القول إلى الخليل. انظر: المنصف، ٢: ٢٠٥.

[٥] الكتاب، ٤: ٣٩٩.

إليه الأخفش[١]. وردّ المازنيّ حذفها لالتقاء الساكنين محتجًا بأنها لا تردّ عند زواله. وقال: "وكذلك (اسْتَحَيْتُ) حذفوا الياء التي هي عين الفعل، وألقوا حركتها على الحاء، ولم تحذف لالتقاء الساكنين"[٢]. أما العلة عنده فنجدها في قوله: "ولكن هذا حذف لكثرة الاستعمال كما قالوا في أشياء كثيرة بالحذف، مثل: أحَسْتُ، وظَلْتُ، ومَسْتُ"[٣].

أما الفارسيّ فإنه يبحث أمر هذا الحذف في الفعل على نحو عميق فيه محاولة لبيان وسائل التخلص من المتماثلات وبيان لبعض موانع تطبيقها. قال: "إن المثلين والمتقاربين إذا اجتمعا خفف (كذا) بأحد ثلاثة أشياء: بالإدغام نحو: ردَّ، وشَدَّ، وحَيَّة، وقُوَّة. أو الإبدال، نحو: أملَيْتُ في أَمْلَلْتُ، وذَوَائِب في جمع ذُؤَابَة. فأما الحذف فهو على وجهين: أحدهما أن يحذف الحرف مع جواز الإدغام وإمكانه، نحو قولهم: بَخْ في بَخّ. والآخر أن يحذف، لامتناع الإدغام لسكون الحرف المدغم فيه، ولزوم ذلك له، كقولهم: عَلْماءِ بنو فلان، وبَلْحارث، أو لما يلزم من تحريك حرف غير مدغم فيه يلزمه السكون كقولهم: يَسْطِيع وحذفهم التاء لما كان يلزم من تحريك السين في (استفعالٍ) لو أدغمت في مقاربه، وقولهم: اسْتَحَيْتُ، مما حذف لامتناع جواز الحركة في المدغم فيه"[٤].

ويمكن عدّ الحذف في الفعل (استحيا) أمرًا اختياريًّا؛ لأن الذكر والحذف مظهران لهجيان، قال الأخفش: "فـ(يَسْتَحْيِي)؛ لغة أهل الحجاز بياءين، وبنو تميم يقولون (يَسْتَحِي) بياء واحدة"[٥].

ومن حذف الياء حذفها من مصدر (فَعَّلْتُ) للمعتل مثل (حَيَّيْتُه) فمصدره (تَحِيَّة)، بحذف الياء؛ قال ابن جنّي: "وكان أصل هذا المصدر أن يقال فيه: (حَيَّيْتُهُ تَحْيِيًّا)؛ ولكنه كره فيه الياءات والكسرة فعدل إلى (تَفْعِلَة)"[٦]. ومن حذف الياء حذفها من مضارع المثال اليائي، قال

---

[١] معاني القرآن، ١: ٥٢.
[٢] المنصف، ٢: ٢٠٤.
[٣] المنصف، ٢: ٢٠٤.
[٤] البغداديات، ص٢٢٨- ٢٢٩.
[٥] معاني القرآن، ١: ٥٢.
[٦] المنصف، ٢: ١٩٥.

سيبويه : "وزعموا أن بعض العرب يقول : يَئِسَ يَئَسُ فاعلم ، فحذفوا الياء من يَفْعَلُ لاستثقال الياءات ههنا مع الكسرات ، فحذف كما حذف الواو"[١].

٤/٧ : حذف أحد المضعفين

٤/٧- أ : حذف أحد المضعفين شذوذًا

عقد سيبويه بابًا لما حذف من أحد المضعفين شذوذًا للتخلص من اجتماع المتماثلين ، قال : "وذلك قولهم : أَحَسْتُ ، يريدون أَحْسَسْتُ. وأَحَسْنَ ، يريدون أَحْسَسْنَ. وكذلك تفعل به في كل بناء تبني اللام من الفعل فيه على السكون ولا تصل غليها الحركة ، شبهوها بأقمت ؛ لأنهم أسكنوا الأولى ، فلم تكن لتثبت والآخِرة ساكنة. فإذا قلت لم أُحِسَّ لم تحذف ؛ لأن اللام في موضع قد تدخله الحركة ، ولم يبن على سكون لا تناله الحركة ، فهم لا يكرهون تحريكها. ألا ترى أن الذين يقولون رَدَدْتُ أثبتوا الأولى ؛ لأنه قد صار بمنْزلة تحريك الإعراب إذا أدرك نحو يَقُول ويَبِيع"[٢].

ومن ذلك أيضًا ما جاء في قوله : "وإذا كان في موضع يحتملون فيه التضعيف لكراهية التحريك ، حذفوا لأنه لا يلتقي ساكنان. ومثل ذلك قولهم : ظِلْتُ ومِسْتُ ، حذفوا وألقوا الحركة على الفاء ، كما قالوا : خِفْتُ. وليس هذا النحو إلا شاذًّا. والأصل في هذا عربي كثير. وذلك قولك : أَحْسَسْتُ ، ومَسَسْتُ ، وظَلِلْتُ"[٣]. وقال في موضع آخر : "ومن الشاذّ قولهم : أَحَسْتُ ، ومَسْتُ ، وظَلْتُ ، لما كثر في كلامهم كرهوا التضعيف ، وكرهوا تحريك هذا الحرفف الذي لا تصل إليه الحركة في (فَعَلْتُ وفَعَلْنَ) الذي هو غير مضعّف"[٤].

---

[١] الكتاب ، ٤ : ٥٤.

[٢] الكتاب ، ٤ : ٤٢١- ٤٢٢.

[٣] الكتاب ، ٤ : ٤٢٢.

[٤] الكتاب ، ٤ : ٤٨٢- ٤٨٣.

ويفهم من نصّ سيبويه السابق أنّ هناك أولويات في المكروهات فكراهة المتحركات قبل كراهة التضعيف ؛ ولذا جرى الحذف على النحو الذي وصفه، ولم يتخلص بالإدغام لأن شرطه التحريك، وهو متعذر في هذا الموضع.

ونسب أبو حيان إلى الشلوبيني الزعم باطّراد الحذف في الثلاثيّ المضعّف[١]. ونقل عن ابن مالك أنه يجوز في لغة سُلَيم حذف عين الثلاثيّ المضعّف[٢]، وربما فعل ذلك بالأمر والمضارع[٣]. وقد ذكر أبو حيّان أمثلة لذلك اللون من الحذف ؛ فمن الماضي (هَمْتُ) في (هَمَمْتُ)، والأمر (قَرْنَ) من قوله تعالى: وَقَرْنَ[٤] فِي بُيُوتِكُنَّ [٣٣- الأحزاب]، أما المضارع فمنه (يَنْحَطْنَ) في يَنْحَطِطْنَ)[٥].

والظاهر أن هذا النوع من التخلص أمر لهجي، وقد سبق أن مرّ بنا أنّ الحجاز أبدلت السين من (حَسِسْتُ)، أما تميم فإنها تحذف. ونخلص من هذا إلى أن أمر الحذف أو الإبدال في هذه الأمثلة أمر اختياري غير واجب.

وقد يحذف أحد المثلين وإن يكُ أحدهما فاءً والآخر لامًا، قال ابن جنّي: "قالوا: حِرٌ، وأصله: حِرْحٌ، تقول في تحقيره: حُرَيْحٌ، وفي تكسيره: أَحْرَاحٌ، قال الراجز:

إِنّي أَقُودُ جَمَلاً مِمْرَاحا ذَا قُبَّةٍ مَمْلُوءَةٍ أَحْرَاحا"[٦].

قال ابن يعيش: "اعلم أنه اجتمع في هذه الكلمة أسباب سوغت حذف اللام. منها استثقالهم باب (سَلِسَ وقَلِقَ)، ومنها أنّ الحاجز بين المثلين غير حصين، لسكونه، فصار كالمضاعف. ومنها أنّ حروف الحلق مستثقلة"[١].

---

[١] ارتشاف الضرب، ١: ١٢١.

[٢] ارتشاف الضرب، ١: ١٢١.

[٣] ابن مالك، التسهيل، ص٣١٤.

[٤] قرأ الجمهور وَقِرْنَ ، وقرأ عاصم ونافع وَقَرْنَ ، كلهم براء واحدة، وقرأ ابن أبي عبلة وَاقْرَرْنَ بهمزة وصل وراءين. انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ٤: ١٧٨- ١٧٩.

[٥] ارتشاف الضرب، ١: ١٢١.

[٦] التصريف الملوكي، ص٤٤.

وعلى نحو ما دفعت كراهية اجتماع المثلين إلى إبدال أحدهما وإن كانا مدغمين ؛ فإنها دعتهم إلى الحذف وإن كان المثلان مدغمين أصلاً. ومن ذلك ما أورده ابن جنّي في (التصريف الملوكيّ)، قال: "قالوا: رُبَ رجلٍ رأيْتُ. يريدون: رُبَّ"[٢]. قال ابن يعيش: "فيخففون الباء، كراهية التضعيف، كما خففوا (إنَّ) على ما تقدم"[٣]. وهذه ظاهرة ينسبها عبدالجواد الطيّب إلى لهجة هذيل لوجودها في أشعارهم وفي قراءة تنتهي إلى ابن مسعود[٤].

ومن أمثلة هذا الحذف أنّهم "قالوا: بَخْ بَخْ، وأصله: بَخّ بَخّ"[٥]. قال ابن يعيش: "وقد تحذف إحدى الخاءين تخفيفًا؛ لأجل التضعيف، فيقال (بَخْ بَخْ) ساكنة الآخِر على أصل البناء؛ لأنه لّما زال الساكن الثاني عادت إلى أصلها وهو السكون؛ لأنّ الحركة في المبنيّ لعارض. قال أعشى همدان:

بَيْنَ الأَشَجِّ وَبَيْنَ قَيْسٍ بَاذِخٌ   بَخْ بَخْ لِوَالِدِهِ وَلِلْمَوْلُودِ"[٦]

ومن ذلك أنّهم "قالوا في التضجر: أُفْ، خفيفة، وأصلها التشديد"[٧]، و"قالوا: قَطْ، وأصله من قَطَطْتُ أي قطعت"[٨]. قال ابن يعيش: "ومن حذف الفاء فتخفيفًا من ثقل التضعيف"[٩]، أما (قَطْ)

---

[١] شرحة الملوكي في التصريف، ص٤٣٢.

[٢] التصريف الملوكي، ص٤٤.

[٣] شرحة الملوكي في التصريف، ص٤٢٨.

[٤] لهجة هذيل، ص١٥٢- ١٥٣.اختلف القراء في تشديد الباء من (ربّما) في قوله تعالى رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا [٢- الحجر] فقرأ ابن كثير وأبوعمرو وحمزة والكسائي رُبَّمَا مشددة، وقرأ عاصم ونافع رُبَمَا خفيفة. انظر: ابن مجاهد، السبعة في القراءات، ص٣٦٦.

[٥] التصريف الملوكي، ص٤٤.

[٦] شرح الملوكي في التصريف، ص٤٣٤- ٤٣٥.

[٧] التصريف الملوكي، ص٤٥.

[٨] التصريف الملوكي، ص٤٥.

[٩] شرح الملوكي في التصريف، ص٤٣٨.

فإنه "غلب فيها التخفيف الأصل، لكثرة استعمالها، وحملاً على نظيرها وهو (قَدْ)، تقول: قَدْكَ درهمان، كما تقول: قَطْكَ درهمان"[1].

٤/٧- ب: حذف أحد المضعفين في ضرورة الشعر

لعله يجوز أن يُعدّ من التخلص من المتماثلات ما يُضطر إليه الشاعر من حذف أحد المدغمين للوصول إلى الخفة بالسكون وكان طلب الخفّة وراء جمهرة التخلص من المتماثلات، ويبين السيرافي "أنّ الشاعر يحذف ما لا يجوز حذفه في الكلام، لتقويم الشعر كما يزيد لتقويمه. فمن ذلك ما يحذفه من القوافي الموقوفة من تخفيف المشدد، كقول امرئ القيس، أو غيره:

لا وَأَبِيكِ ابْنَةَ العَامِرِيِّ (م) لا يدَّعِي القَوْمُ أَنِّي أَفِرْ

وكقول طرفة:

أَصَحَوْتَ اليَومَ أَمْ شَاقَتْكَ هِرْ وَمِنَ الحُبِّ جُنُنٌ مُسْتَعِرْ

فأكثر الإنشاد في هذا حذف أحد الحرفين، لتتشاكل أواخر الأبيات، ويكون على وزن واحد... فهو مضطرّ إلى حذف أحد الحرفين، لاستواء الوزن، ومطابقة البيت لسائر أبيات القصيدة، ألا تراه يقول بعد هذا:

تَمِيمُ بنُ مُرٍّ وَأَشْيَاعُها وكِنْدَةُ حَوْلِي جَمِيعًا صُبُرْ"[2].

ويذكر ابن عصفور شواهد أخرى على هذا التخفيف[3]، ويبين أنّ هذا يستوي فيه الصحيح والمعتل. ويمثل لتخفيف المعتلّ قال: "ومن التخفيف في المعتل:

حَتَّى إذا ما لمْ أَجِدْ إلاّ السَّرِي كُنْتُ امْرُءًا من مالكِ بنِ جَعْفَرِ

---

[1] شرح الملوكي في التصريف، ص٤٤١.

[2] أبوسعيد الحسن بن عبدالله بن المرزبان السيرافي، ضرورة الشعر، تحقيق: رمضان عبدالتواب (ط١، دار النهضة العربية/ بيروت، ١٩٨٥م.) ص٧٩- ٨٠.

[3] أبوالحسن علي بن مؤمن بن محمد بن علي بن عصفور، ضرائر الشعر، تحقيق: السيد إبراهيم محمد (ط١، دار الأندلس/ بيروت، ١٩٨٠م)ص١٣٣.

يريد: السَّرِيَّ. وقول امرأة من بني عقيل:

حَيْدَةُ خالي ولَقِيطٌ وعَلِي وحاتِمُ الطائِي وَهَّابُ المِئِي

تريد: وعليٌّ. وقول عِمران بنُ حطّان:

يومًا يَمانٍ إذا لاقَيتُ ذا يَمَنٍ وإن لَّقِيتُ مَعَدِّيًّا فَعَدْنانِي

يريد: فَعَدْنانِيٌّ. وقول العجّاج:

أَدْرَكْتُها قُدّام كلِّ مِدْرَه بِالدَّفْعِ عَنّي دَرْءَ كلِّ عُنْجُهِي

يريد: درء كلّ عُنْجُهِيٍّ. وقول الآخر:

عَذَرْتُكِ يا عَيْنِي الصَّحِيحَةَ بالبُكا فَما لَكِ يا عَوْرَاءُ والهَمَلاَنِي

يريد: والدمع الهملانِيّ، فحذف الموصوف وخفّف"[١].

ولعل الرغبة في التخلص من المتماثلات ما دعاهم في ضرورة الشعر إلى حذف أحد المدغمين وحذف ما بعده؛ قال السيرافي: "ومن ذلك: تخفيف المشدّد وتسكينه، مع حذف حرف بعده، كقولهم في(مُعَلَّى): مُعَلْ، وفي (عَنِّي): عَنْ.

قال الشاعر وهو الأعشى:

لَعَمْرُكَ ما طولُ هَذا الزَّمَنْ عَلَى الْمَرْءِ إلاّ عَنَاءٌ مُعَنْ

أراد: مُعَنِّي، فحذف الياء وإحدى النونين.

وقال أيضًا في هذه القصيدة:

وَعَهْدُ الشَّبابِ وَثارَاتُه فإنْ يَكُ ذلك قَدْ زالَ عَنْ

يريد: عَنِّي.

وقال لبيد:

---

[١] ابن عصفور، ضرائر الشعر، ص١٢٢- ١٣٤.

وقَبِيلٌ مِن لُكَيْزٍ شاهِدٌ   رَهْطُ مَرْجُومٍ ورَهْطُ ابنِ المُعَلْ

أراد : المُعَلّى.

وأول هذه القصيدة :

إنَّ تَقْوى رَبِّنا خَيْرُ نَفَلْ   وبِإذْنِ اللهِ رَيْثِي وعَجَلْ

وإذا كان ما ذكرنا من الحذف جائزًا ، فحذفهم ياء المتكلم ، وتسكن ما قبلها أجْوَز[١] ، كما قال لبيد في البيت الذي أنشدته (رَيْثِي وعَجَلْ) أراد : عَجَلِي"[٢].

وإن تكن الشواهد السابقة تمثل التخلص من اجتماع متماثلين لكون القافية مقيّدة فإن هذه النُزوع للتخلص من المتماثلات نشهده في قوافٍ مطلقة ، قال السيرافي : "وقد يحذفون أيضًا من القصائد المطلقة ، على إنشاد من ينشدها بالوقف ، الحذف الذي ذكرنا في المقيّد. قال النابغة :

إذا حاوَلْتَ فِي أَسَدٍ فُجُورًا   فإِنِّي لسْتُ منكَ ولسْتَ مِنْ

أراد : مِنِّي. والقصيدة مطلقة ، وإنما هذا إنشاد بعضهم"[٣].

٧/٤- ج : حذف أحد المضعفين في لغة المثقفين المحدثين

هذا المدخل متصل اتصالاً وثيقًا بسابقه ، إذ ينبغي هنا أن نلاحظ أن التخفيف في المعتل يختلف عن التخفيف في الصحيح لما قد ينال المعتل من المطل لتعويض الحذف. ولعل تخفيف المعتل أكثر أشيع

---

[١] لعله يقول هذا لموافقة هذه الظاهرة للهجة عربية تحذف ياء المتكلم. والحق أن ليس في هذا شاهد على الضرورة الشعرية ؛ ولذلك قال البغدادي تعليقًا على قول النابغة : "وعد بيت النابغة من الضرورة غير جيد"(شرح شواهد الشافية ، ٤ : ٢٠٩) ، ثم ساق قول سيبويه في ظاهرة حذف ياء المتكلم ، ثم قول الأعلم في شرحه بيت النابغة : "وهو جائز في الكلام ، كما قرئ في الوقف أَكْرَمَنْ ، و أَهَانَنْ "(شرح شواهد الشافية ، ص٢١٠) ، وانظر في القراءة بالياء وبحذفها : السبعة في القراءات ، ص٦٨٤. والقول إنه لا شاهد في هذه الأشعار يعتمد على أنها جاءت موافقة للهجة عربية قديمة تقابل لهجة الحجاز التي تبقي على ياء المتكلم. وتنسب هذه اللهجة إلى هذيل ، وما تزال هذه الظاهرة مسموعة في لهجة معاصرة هي لهجة القصيم في نجد.(انظر : أبوأوس إبراهيم الشمسان ، مساحة لغوية ، نادي المدينة المنورة ، كتاب العقيق ، ع٢ ، ٢٠٠٠م ، ص١٩- ٢٠). وهذا يدعو إلى القول إنها ليست مقصورة على هذيل فلعلها كانت شائعة في بعض القبائل البدوية لملاءمتها ما تعودوا عليه من السرعة في النطق.(اللهجات في الكتاب ، ص٣٧١- ٣٧٢). ودليل هذا الشيوع هذه الأشعار التي رويت عن شعراء قبائل مختلفة.

[٢] ضرورة الشعر ، ص٨١- ٨٢.

[٣] ضرورة الشعر ، ص ٨٢.

لما نجده مطّردًا في لغة المثقفين المحدثين، المتأثرة بلهجاتها العربية[١]، من تخفيف للياء أو الواو المشددتين آخر الكلمة؛ وذلك لغلبة تسكين الكلمات وهو أمر يذهب بالإدغام آخر اللفظ، ويضاف إلى هذا السبب سبب آخر هو انتقال النبر إلى المقطع الأول من اللفظ؛ لذا نجد الكلمات مثل: (عَلِيّ، كُرْسِيّ، نَجْدِيّ، مِصْرِيّ، عَدُوّ) صارت تُنطق بلا تشديد: (عَلِي، كُرْسِي، نَجْدِي، مصْرِي، عَدُو).

وليس حذف إحدى الياءين مقصورًا على المتطرفة بل إنهم يحذفون في بعض الكلمات التي يحسون فيها طولاً ومن أشهر تلك الكلمات: (أُمْسِيَّة) حيث يلفظونها بياء غير مشدّدة (أُمْسِيَة). وقد عدّها العدنانيّ من الأخطاء الشائعة[٢]. ومثلها نطقهم لاسم (ابن تَيْمِيَّة) بياء غير مشدّدة: (ابن تَيْمِيَة). و(أُغْنِيَّة): أُغْنِيَة، و(أُحْجِيَّة): أُحْجِيَة، و(أُمْنِيَّة): أُمْنِيَة.

ومما يخفّفونه بحذف إحدى نونيه (الأُرْدُنُّ) فيقولون: الأُرْدُنُ. ولعل هذا التخفيف قديم؛ إذ نبّه إلى خطئه ابن السكيت، قال: "وتقول: هو الأردنُّ، بالتثقيل وضم الهمزة، ولا تقل الأُردنُ"[٣].

٤/٨- حذف اللامات

قد يعرض الحذف للام الجر ولام التعريف على نحو ما نجد في قول سيبويه يفسر (لاَهِ أَبُوكَ): "حذفوا لام الإضافة واللام الأخرى، ليخففوا الحرف على اللسان، وذلك ينون"[٤].

٤/٩- حذف الحركة

---

[١] يحذف أحد المضعفين في لهجة القصيم المعاصرة إذا دخلت (ال) التعريف على الأسماء المنتهية بحرف مضعّف إذ إن النبر يكون على أوّل اللفظ فيضعُف الحرف المشدد فيحذف أحد المضعفين، مثال ذلك: اَلْفَنّ ← اَلْفَنْ، اَلبرّ← اَلبرْ، اَلبسّ← اَلبسْ، اَلمرّ← اَلمرْ. وجاء في المثل الشعبي (قَالْ وِشْ حَدَاكْ عَلَى اَلْمُرْ قَالْ اَلْلِي أَمَرِّ مْنُهْ) ومن ذلك (الحرْ، الشرْ، الحَبْ، الذرْ، الهمْ، الحجْ، الردْ، الجدْ، الحدْ، الهرْ، الشبْ، السدْ، الحيْ، العدوْ، الشكْ، السبْ، البقْ، الصفْ، الجنْ، السمْ، الكرْ، العمْ، الكدْ)

[٢] محمد العدناني، معجم الأخطاء الشائعة (مكتبة لبنان/ بيروت، ١٩٧٣م.) ص٢٣٦.

[٣] إصلاح المنطق، ص١٧٨.

[٤] الكتاب، ٣: ٤٩٨.

حين تتوالى أكثر من ثلاثة أحرف متحركة تحذف منها حركة، قال سيبويه: "ولو فعلوا ذلك لاجتمعت في كلامهم أربع متحركات ليس معهن ساكن، نحو: رُسُلُكُمُو. وهم يكرهون هذا. ألا ترى أنه ليس في كلامهم اسم على أربعة أحرف متحرك كلُّه"[1]. وقال في موضع آخر: "لأنه ليس حرفٌ في الكلام تتوالى فيه أربع متحركات"[2]. وقال في موضع آخر: "ألا ترى أن بنات الخمسة وما كانت عدّته خمسة لا تتوالى حروفها متحركة استثقالاً للمتحركات مع هذه العدّة، ولابدّ من ساكن. وقد تتوالى الأربعة متحركة في مثل (عُلَبِطٍ)، ولا يكون في غير المحذوف"[3].

وقد تحذف ثانية الضمتين أو الكسرتين المتواليتين، لكراهيّة هذا النوع من التماثل، ويسمّى هذا تخفيفًا عند سيبويه، قال: "وإذا تتابعت الضمتان فإن هؤلاء يخفّفون أيضًا، كرهوا ذلك كما يكرهون الواوين، وإنما الضمتان من الواوين، فكما تكره الواوان كذلك تكره الضمتان؛ لأن الضمة من الواو. وذلك: الرُّسْلُ، والطُّنْبُ، والعُنْقُ، تريد: الرُّسُلُ، والطُّنُبُ، والعُنُقُ. وكذلك الكسرتان تكرهان عند هؤلاء كما تكره الياءان في مواضع، وإنما الكسرة من الياء، فكرهوا الكسرتين كما تكره الياءان. وذلك في قولك في إِبِلٍ: إِبْلٌ"[4].

ولِما بين الضمة والواو من تماثل نجد أنّ الواو متى اكتُنفت بضمتين وجب تسكين الواو بحذف الضمة. قال المازني: "وأما (فُعُل) من الواو فإنها تسكن عينها لاجتماع الضمتين والواو فجعلوا الإسكان فيها نظير الهمزة في (أَدْؤُر، وقَؤُول)، وذلك قولهم(نَوَارٌ، ونُورٌ، وعَوَارٌ، وعُورٌ، وعَوَانٌ، وعُونٌ، وقَؤُولٌ، وقُولٌ)، وألزموا هذا السكون إذ كانوا يسكنون غير المعتل نحو(الرُّسْل، والعَضْد) وأشباه ذلك"[5].

---

[1] الكتاب، ٤: ١٩٢.

[2] الكتاب، ٤: ٢٨٩.

[3] الكتاب، ٤: ٤٣٧.

[4] الكتاب، ٤: ١١٤- ١١٥.

[5] المنصف، ١: ٣٣٦.

٥- التخلص بالقلب والحذف

حين تزدحم الكلمة بالمتماثلات لابد من التخلص من اجتماعها بأكثر من وسيلة، ومن ذلك التخلص بالقلب والحذف.

١/٥ : قلب إحدى الياءين وحذف الأخرى

لقد آثرنا أن نجعل مدخلاً لهذا على الرغم من وجود مدخلين أحدهما للقلب والآخر للحذف، والعلة في ذلك أن كلمات اجتمع فيها متماثلات فجرى قلب أحدها وحذف الآخر. ومثّل سيبويه في قوله: "وذلك قولك في عَدِيٍّ: عَدَوِيٌّ، وفي غَنِيٍّ: غَنَوِيٌّ، وفي قُصَيٍّ: قُصَوِيٌّ، وفي أُمَيَّةَ: أُمَوِيٌّ"[١].

نلاحظ أن هذه الألفاظ، التي بعضها على فَعِيل والآخر على فُعَيل، حذفت الياء المزيدة منها؛ أما الياء التي هي لام الكلمة فقد قلبت واوًا.

ويعلل سيبويه ذلك كله بكراهة توالي الياءات، قال: "وذلك أنهم كرهوا أن توالى في الاسم أربع ياءات، فحذفوا الياء الزائدة التي حذفوها من سُلَيم وثَقِيف حيث استثقلوا هذه الياءات، فأبدلوا الواو من الياء التي تكون منقوصة؛ لأنك إذا حذفت الزائدة فإنما تَبقَى التي تصير ألفًا، كأنه أضاف إلى فَعَلٍ أو فُعَلٍ"[٢].

ويبدو أنّ هذا الإجراء اختياري بعض الاختيار، ذلك أنّ هناك من يترك اللفظ على حاله، قال سيبويه: "وزعم يونس أن ناسًا من العرب يقولون: أُمَيِّيٌّ، فلا يغيرون لما صار إعرابها كإعراب ما لا يعتل[٣]، شبهوه به كما قالوا: طَيِّئِيٌّ. وأما عَدِيِّيٌّ فيقال وهذا أثقل؛ لأنه صارت مع الياءات كسرة"[٤].

---

[١] الكتاب، ٣: ٣٤٤.

[٢] الكتاب، ٣: ٣٤٤.

[٣] أي صار شبيهًا بالاسم الصحيح يعامل معاملته من حيث ظهور الحركات عليه.

[٤] الكتاب، ٣: ٣٤٤- ٣٤٥.

ويتخذ هذا الإجراء في ألفاظ شابهت السابق من حيث الظاهر. وجهة المشابهة انتهاؤها بياء مشددة ، فكان التخلص من إحداهما بالحذف ومن الأخرى بالقلب وإن كانتا أصليتين ليست إحداهما مزيدة ، مثال ذلك ما يرد في سؤال سيبويه أستاذه الخليل قال : "وسألته عن الإضافة إلى تَحِيَّة فقال : تَحَوِيٌّ ، وتحذف أشبه ما فيها بالمحذوف من عَدِيٍّ (وهو الياء الأولى) ، وكذلك كل شيء كان آخره هكذا"[1].

يتخلص من الياء المشددة آخر الاسم عند النسب بحذفها ، ولكن سيبويه يذكر أنَّ ثَمَّ من يعاملها معاملة الكلمات السابقة حيث تحذف الياء الأولى وتقلب الثانية واوًا وبذا يكون التخلص بالحذف والقلب ، قال : "ومن قال : حَنَوِيٌّ قال : مَرْمَوِيٌّ"[2].

٦- التخلص بإقحام صوت

وعلى نحو ما كان الإدغام وسيلة غير صالحة للتخلص من الهمزتين حتى كان التخفيف هو الوسيلة ؛ فإن هذا التخفيف لا يلقى قبولا مطلقًا ، إذ هو سمة لهجية ارتضاها قوم يميلون إلى تخفيف الهمزة لما يجدون في نطق هذا الصوت الحنجري الانفجاري من العنت والمشقة وهذا مرتبط ببيئات حضرية مثل البيئة الحجازية ، وفي المقابل هناك البيئات البدوية مثل تميم تجد في تحقيق الهمزة وضوحًا وقوة ؛ ولأهمية هذه الصفة استمر نبر الهمزة[3] في اللغة الرسمية والأدبية ، بل إن الحجازيين قد يجدون أنفسهم مضطرين إلى نبر الهمزة. ومن أجل التخلص من الهمزتين مع الحفاظ على تحقيقهما لجئ إلى إقحام ما يفصل بينهما. وهذا إجراء يتخذ للتخلص من متماثلات أخرى غير الهمزة ، وهي متماثلات لا يسعف الإدغام في التخلص منها لأنها تزيد على المثلين ، وليست مما يخفف كالهمزة. وليس مما يجوز حذفه إذ في الحذف إخلال يؤدي إلى اللبس أو يفقد التركيب ركنًا من أركانه مثل الفاعل ، كما هو الحال في اجتماع نون التوكيد مع نون النسوة.

---

[1] الكتاب ، ٣ : ٣٤٦.

[2] الكتاب ، ٣ : ٣٤٦.

[3] انظر في هذه المسألة : إبراهيم أنيس ، في اللهجات العربية ، ص٨٠.

١/٦- إقحام الألف

١/٦- أ: بين الهمزتين

يقول سيبويه متحدثًا عن هذه الوسيلة من وسائل التخلص من التقاء الهمزتين: "ومن العرب ناس يدخلون بين ألف الاستفهام وبين الهمزة ألفًا إذا التقتا، وذلك أنهم كرهوا التقاء همزتين ففصلوا"[(١)].

وهذا يشبه التخلص من التقاء النونات في الفعل المسند إلى نون النسوة عند تأكيده بنون التوكيد.

ويضرب سيبويه لهذا اللون من التخلص من التقاء الهمزات مثالاً قول ذي الرمة:

فَيا ظَبْيَةَ الْوَعْساءِ بَيْنَ جُلاَجِلٍ وبَيْنَ النَّقا آأنتِ أمْ أُمُّ سالِمِ

وينسب هذا إلى أهل التحقيق[(٢)].

ولابد أن المحافظة على الهمزتين محققتين هو السبب في إقحام الألف. أما الحجاز فهم، لميلهم إلى التخفيف، يقحمون الألف للفصل بين الهمزة المحققة وهمزة (بين بين) وهي همزة مخففة، فهم يقولون: آإنك وآأنت؛ "وذلك لأنهم يخففون الهمزة كما يخفف بنو تميم في اجتماع الهمزتين، فكرهوا التقاء الهمزة والذي (بين بين)، فأدخلوا الألف كما أدخلته بنو تميم في التحقيق"[(٣)].

١/٦- ب: بين النونات

يتخلص من التقاء ثلاث النونات عند تأكيد الفعل المسند لنون النسوة، مثال ذلك: (اخشينانّ)، قال سيبويه: "ففصلوا بالألف كراهية التقاء هذه الحروف المضاعفة"[(٤)]. وقال أيضًا: "وإذا أدخلت الثقيلة في فعل جمع النساء قلت: اِضْرِبْنَانِّ يا نسوة، وهل تَضْرِبْنانِّ ولِتَضْرِبْنانِّ، فإنما ألحقت

---

(١) الكتاب، ٣: ٥٥١.

(٢) الكتاب، ٣: ٥٥١.

(٣) الكتاب، ٣: ٥٥١.

(٤) الكتاب، ٣: ٥٥١.

هذه الألف كراهية النونات، فأرادوا أن يفصلوا لالتقائها كما حذفوا نون الجميع للنونات، ولم يحذفوا نون النساء كراهية أن يلتبس فعلهن وفعل الواحد"[١].

خاتمة ونتائج

بعد هذا الاستعراض المفصل لألوان التخلص من المتماثلات أوجز ذكر أهم النتائج وهي في أربعة أقسام: المتماثلات التي يُتخلص من اجتماعها. توالي قواعد التخلص من المتماثلات. حكم التخلص من المتماثلات. مسائل لهجية.

أ- المتماثلات التي يُتخلص من اجتماعها

لعل من المفيد أن نعود إلى قول موجز لما رغبنا عنه في بداية هذا البحث، وذلك جعل المتماثلات نفسها مدخلاً لدرس التخلص من اجتماعها، وسوف نكتفي بذكر بعض الأمثلة مع ذكر رقم المدخل بين هلالين:

أولا: المضعّفات

١) يتخلص من المضعفات غير المدغمة بإدغامها، نحو: مَدَدَ ← مَدَّ (١).

٢) إبدال أحد المضعفين نونًا، نحو: حَظّ ← حَنْظ (٣/١٠)

٣) إبدال أحد المضعفين ياءً، نحو: ضَوضَوْتُ ← ضَوْضَيْتُ، تَسَرَّرْتُ ← تَسَرَّيْتُ حَسِسْتُ ← حَسِيْتُ، أما ← أيْما (٣/١١)

٤) حذف أحد المضعفين، نحو: أَحْسَسْتُ ← أَحَسْت، بَخّ ← بَخْ، رُبَّ ← رُبَ، أُفّ ← أُفْ قَطّ ← قَطْ (٤/٧- أ)

٥) حذف أحد المضعفين في الضرورة الشعرية، نحو: أَفِرّ ← أَفِرْ (٤/٧- ب)

٦) حذف أحد المضعفين آخر اللفظ في لغة المثقفين، نحو: عَلِيّ ← عَلِي، أُمْسِيَّة ← أُمْسِيَة الأُرْدُنّ ← الأُرْدُن (٤/٧- ج)

---

[١] الكتاب، ٣: ٥٢٦.

ثانيًا: التخلص من الهمزات

١)يتخلص من الهمزتين المتحركتين بتخفيف إحداهما بجعلها همزة بين بين. (٢)

٢)يتخلص من الهمزتين ثانيتهما ساكنة بقلبها مدة مجانسة لحركة الأولى، نحو: أَأْدَم ← آدم(٣/١- أ)، جائِئ ← جائِي(٣/١- ب)، أُوْوِب ← أُووِب (٣/١- ج).

٣)يتخلص من الهمزتين في المضارع على (أَفْعَلَ)، والأمر من الثلاثي في ثلاثة أفعال مسموعة (أكل، أخذ، أمر)، نحو: أَكْرَمَ ← أُأَكْرِمُ ← أُكْرِمُ،

يأْكُلُ ← أُؤْكُلْ ← كُلْ،

يأْخُذُ ← أُؤْخُذْ ← خُذْ

يأْمُرُ ← أُؤْمُرْ ← مُرْ (٤/١)

٤) يتخلص من الهمزتين بإقحام ألف بينهما، نحو: أَأَنْتَ ← آأَنْتَ (٦/١- أ)

ثالثًا: التخلص من التاءات

١)تدغم التاء في التاء في بناء (اِفْتَعَلَ) والعين تاء، نحو: اِقْتَتَلَ ← قَتَّلَ (١)

٢)تبدل إحدى التاءين سينًا في نحو: اِتَّخَذَ ← اِسْتَخَذَ (٣/٦)

٣)تحذف من مثل: اسْتَتْخَذَ ← اسْتَخَذَ (٤/٣)

٤)تحذف من الفعل على بناء (تَفاعَلَ، تفَعَّلَ، يَفْتَعْل) وفاؤه تاء، نحو: تَتَظَاهَرا ← تَظَاهَرا تَتَلَقَّوْنَه ← تَتَلَقَّوْنَه، يَتَّخِذ ← يَتَّخِذ(٤/٤- أ)

رابعًا: التخلص من السينات

تبدل السين تاءً لتدغم في نحو: سِدْس ← سِتّ (١)، (٣/٧)

خامسًا: التخلص من اللامات

١)تبدل اللام نونًا للتخلص من اجتماعهما، نحو: لعلَّ ← لعنَّ (٣/٨)

٢)تحذف اللام في: لاَهِ أَبُوكَ (٤/٨)

سادسًا : التخلص من النونات

١)يتخلص من اجتماع نون الرفع ونون الوقاية بالإدغام في مثل :

يَضْرِبُونَنِي ← يَضْرِبُونِّي (١)

٢)يتخلص من اجتماع نونين في كلمة واحدة بإبدال النون لامًا ، نحو :

عُنْوان ← عُلْوان(٩/٣)

٣)تحذف نون الرفع لاتصال نون التوكيد الثقيلة بها في نحو : لَتَفْعَلُون+نَّ ← لَتَفْعَلُنَّ، وتحذف نون الوقاية لاتصالها بنون الرفع في نحو : أَتُحاجُّونَنِي ← أَتُحاجُّونِي (٢/٤- أ)

٤)تحذف نون الوقاية بعد نون الرفع المكسورة ، في نحو : تَضْرِبَانِنِي ← تَضْرِبَانِي(٢/٤ب)

٥)تحذف نون من (إنَّ وأخواتها) نحو : إنَّ ← إنْ (٢/٤- ج)

٦)تحذف نون من نوني الفعل في نحو : نُنَزِّلُ ← نُزِّلُ (٤/٤- ب)

٧)يتخلص من نون النسوة ونون التوكيد الثقيلة بإقحام ألف ، نحو :

اِخْشَيْنَ ← اِخْشَيْنانِّ(١/٦- ب)

سابعًا : التخلص من الواوات

١)جعل الفعل الذي عينه ولامه واوان على بناء (فَعِل) لتقلب الواو ياءً، نحو : قَوِوَ← قَوِيَ (٢/٣- أ)

٢)تقلب إحدى الواوين في أول الكلمة همزة ، نحو : وَوَاصِل ← أَوَاصِل

وُولَى ← أُولَى (٢/٣- ب)

٣)تبدل أولى الواوين تاء وهو غير مطّرد ، نحو : وَوْلَج ← تَوْلَج (٢/٣- ج)

٤)تحذف واو الضمير لاجتماع الواو والضمات ، نحو : أَنْتُمُو ← أَنْتُمْ (٤/٥)

ثامنًا : التخلص من الياءات

١)تقلب ألف المقصور التي أصلها ياء واوًا عند النسب ، نحو : هُدَى ← هُدَوِيّ (٣/٣)

٢)تقلب الياء الثانية إلى واو، نحو: حَيَيان ← حَيَوَان

تقلب ياء المنقوص واوًا عند النسب، نحو: شَجِيْ ← شَجَوِيّ

ومن الاسم آخره ياء مشدّدة بعد حرف واحد، مثل: حَيّ ← حَيَوِيّ

ومن الاسم الثلاثي شبه الصحيح المنتهي بياء، نحو: ظَبْي ← ظَبَوِيّ (٤/٣- أ)

٣)تقلب الياء إلى همزة إن وقعت بعد ألف في النسب، مثل: سِقَايَة ← سِقائِيّ

طايَة ← طائِيّ (٤/٣- ب)

٤)تقلب الياء إلى ألف، مثل: أَيَّة ← آيَة (٤/٣- ج)

٥)تبدل الياء بشين في تصغير (عَشِيَّة): عُشَيْيِيَة ← عُشَيْشِيَة (٤/٣- د)

٦)تحذف الياء من بناء (فَعِيل) عينه ياءن مثل: مَيِّت ← مَيْت، وتحذف عند النسب، نحو: سَيِّد ← سَيْدِيّ، أسيّد ← أسيْدِيّ (٦/٤- أ)

٧)تحذف الياء في التصغير، نحو: كِساء ← كُسَيّو ← كُسَيِّي ← كُسَيّ (٦/٤- ج)

٨)تحذف الياء في التثنية وجمع السلامة، نحو: ثُرَيّا ← ثُرَيَّيان ← ثُرَيّان

ثُرَيّا ← ثُرَيَّيات ← ثُرَيّات (٦/٤- د)

٩)تحذف في جمع التكسير، نحو: أَثافِيّ ← أَثافِيْ ← أثافٍ (٦/٤- هـ)

١٠)تحذف من الضمير بسبب الكسرات، نحو: لَدَيْهِمِي ← لَدَيْهِمْ (٦/٤- و)

١١)حذفت الياء من الفعل عينه ولامه ياء، نحو: يَسْتَحْيِي ← يَسْتَحِي (٦/٤- ز)

١٢)تحذف ياء وتقلب الأخرى واوًا عند النسب إلى الاسم المنتهي بياء مشدّدة بعد حرفين، نحو: عَدِيّ ← عَدَوِيّ (١/٥)

تاسعًا: التخلص من الحركات

١)تقلب الكسرة فتحة في النسب، نحو: نَمِر ← نَمَرِيّ (٥/٣)

٢)تحذف الحركة إن توالى أكثر من ثلاث حركات.

تحذف ثانية الضمتين، نحو: رُسُل ← رُسْل

تحذف ثانية الكسرتين، نحو: إِبِل ← إِبْل (٩/٤)

ب: توالي قواعد التخلص من المتماثلات

يهدف هذا القسم إلى بيان أن قواعد التخلص من المتماثلات ليست تطبيقها أمرًا عشوائيًّا بل هو محكوم بنوع من التتابع الذي حاول البحث الكشف عنه ما أمكن والتمثيل له:

١)القاعدة الأولى في التخلص من المتماثلات هي الإدغام، مثال ذلك الفعل الثلاثي المضعف، نحو: مَدَدَ ← مَدَّ.

ولكن قد يتعذر الإدغام لأمور منها أنّ الأصوات يصعب إدغامها مثل الهمزتين من كلمتين، مثل: ابدأ أمرك. وهنا تطبق القاعدة الثانية.

٢)القاعدة الثانية هي التخفيف، فيقال في المثال السابق: ابدا أمرك. وقد يتعذر الإدغام لوجود ثلاثة متماثلات، نحو: تظنّن، ودخول أحدها في إدغام. وكذا يتعذر التخفيف؛ لأن هذه الأصوات لا تخفف على نحو ما تخفف الهمزة، لذلك تطبق القاعدة الثالثة.

٣)القاعدة الثالثة هي القلب أو الإبدال، ففي المثال السابق تبدل النون الأخيرة ياءً: تظنّنت ← تظنّيت.

ولكن قد يتعذر الإدغام؛ لأن الحرفين في أول الكلمة، مثل: (أُأَكْرِمُ)، ويتعذر التخفيف بقلب إحداهما ألفًا؛ لأنه لا يبدأ بألف، ولا بقلب الهمزة الثانية ألفًا؛ لأن ما بعدها ساكن فيلتقي ساكنان، ولا تقلب الثانية واوًا لتحركها، ولذلك لم يبق إلا تطبيق القاعدة الرابعة.

٤)القاعدة الرابعة هي الحذف، يقال في المثال السابق: أُأَكْرِمُ ← أُكْرِمُ. فإن كان الصوت مما يمكن إبداله جاز تطبيق القاعدة الثالثة أو الرابعة والأمر في ذلك اتجاه لهجي، فالحجازيون يطبقون القاعدة الثالثة في مثل: حَسِسْتُ ← حَسِيتُ، وتميم تطبق الرابعة: حَسِسْتُ ← حَسْت. ولكن قد لا يمكن الإدغامُ؛ لأن المتماثلات ثلاثة ولدخول اثنين منها في إدغام، مثل اجتماع نون النسوة ونون التوكيد الثقيلة.

ولا يمكن التخفيف ؛ لأن هذه الأصوات ليست تخفف كالهمزة. ولا يمكن قلب أحدها ؛ لأن نون النسوة ضمير لا يغير شكله ؛ ولأنه نون التوكيد قوية بالإدغام وهو جزء من تركيبها لا تعرف بدونه. ولا يمكن حذف نون النسوة لأنها فاعل لا يجوز حذفه ، ولا دليل عليه بعد الحذف ، وحذفها يجعل الفعل يلتبس بالفعل المسند إلى الغائب ، وأما نون التوكيد فلأن ذلك يفوت الغرض منها ، ولأنه لا دليل عليها بعد حذفها. وهنا لا يبقى سوى تطبيق القاعدة الخامسة.

٥)القاعدة الخامسة : إقحام صوت بين المتماثلات ، فيقال مثالا لذلك :

اِذْهَبْنَ + نّ ← اِذْهَبْنَانِّ

: حكم التخلص من المتماثلات

تقضي النظرة الفاحصة إلى أمثلة التخلص من المتماثلات إلى أنها على قسمين : أحدهما حكم التخلص فيه الوجوب ، والآخر حكم التخلص فيه الجواز. والواجب هو ما ورد فيه عن العرب طريقة واحدة هي طريقة التخلص أما الجائز فهو ما ورد فيه عن العرب طريقان فأكثر منها الإبقاء على المتماثلات دون تخلص وسوف نجمل المواضع من القسمين.

أولاً : التخلص الواجب

١)التخلص من تماثل العين واللام من الفعل الثلاثي المضعف بإدغامهما ، مثل : شَدَدَ← شَدَّ

٢)التخلص من التقاء الهمزتين من كلمتين : الأولى ساكنة والثانية متحركة ، وذلك بتخفيف إحداهما ، نحو : إقرأ آية ← إقرا آية.

٣)التخلص من الهمزتين : الأولى متجركة والثانية ساكنة بقلب الثانية مدة ملائمة لحركة الهمزة الأولى ، نحو : أَأْدَم ← آدم ، أُؤْوِبَ ← أُووِبَ ، اِئْتِ ← اِيتِ. وكذا كلّ أمر من الثلاثي فاؤه همزة ، ويستثنى من هذا ثلاثة الأفعال : (أَخَذَ ، أَكَلَ ، أَمَرَ) ، إذ يتخلص من الهمزتين ، بحذف فاء الفعل ، فلا يحتاج الفعل إلى همزة وصل.

٤)التخلص من الهمزتين في كلمة واحدة بقلب الهمزة واوًا ، نحو : ذَوائِب جمع ذُؤابة.

٥)التخلص من اجتماع همزتين في آخر الاسم بقلب إحداهما ياءً، نحو: جائئ ← جائي.

٦)التخلص من التقاء واوين في المضعف، كالفعل من (القوّة): قَوِوَ ← قَوِيَ.

٧)التخلص من اجتماع واوين في أول الكلمة والثانية ليست بمدّ، وذلك بقلب الأولى همزة، مثل: وواصل ← أواصل. وقد تقلب الأولى تاء: وَوْلَج ← تَوْلَج.

٨)التخلص من التقاء الياءات عند النسب إلى اسم ثلاثي مقصور ألفه ياء في الأصل، أو منقوص، وذلك بقلب لامه واوًا، نحو: هدَى ← هدَوِيّ، وعمٍ(عمِي) ← عَمَوِيّ.

٩)التخلص من التقاء الياءات في (حَيَيان) بقلب الثانية واوًا: حَيَوان.

١٠)التخلص من التقاء الياءات في (أَيَّة)وذلك بقلب الأولى ألفًا:آية، ومنه: حيْحيْت ← حاحيت.

١١)التخلص من التقاء الياءات في تصغير(عَشيّة) بقلب الوسطى شينًا، وذلك: (عُشَيْشِيَة).

١٢)إبدال أحد المضعفين ياءً وهو سماعي، نحو: قِرّاط ← قِيراط.

١٣)التخلص من التقاء همزة النقل وحرف المضارعة بحذف همزة النقل، نحو: أُأَكْرِمُ ← أُكْرِمُ.

١٤)التخلص من التقاء النونات في الأفعال الخمسة عند تأكيدها بالنون الثقيلة، وذلك بحذف نون الرفع، نحو: لَتَذْهَبَانِنَّ ← لَتَذْهَبَانِّ

١٥)التخلص من توالي أربع حركات، مثل: ذَهَبَتُ ← ذَهَبْتُ.

١٦)التخلص من لقاء واو مكتنفة بضمتين، بحذف ثاني الضمتين، نحو: عُوُر ← عُوْر.

١٧)التخلص من التقاء النونات في الفعل المسند لنون النسوة عند تأكيده بنون التوكيد الثقيلة، وذلك بإقحام الألف، نحو: اِخْشِيَنَانِّ.

١٨)التخلص من التقاء السينات في (سِتّ): سِدْس ← سِدْت ← سِتّ.

١٩)التخلص من التقاء الياءات عند النسب إلى اسم على وزن (فَعِيل) يائي العين، وذلك بحذف إحدى الياءين، نحو: سيّد ← سيْدِيّ، أسيّد ← أسيْدِيّ.

٢٠)التخلص من التقاء الياءات عند النسب إلى اسم ينتهي بياء مشددة بعد ثلاثة أحرف، وذلك بحذف الياء المشددة، نحو: مرمِيّ ← مرمِيّ.

٢١)التخلص من اجتماع ياءات بسبب التصغير، نحو: كساء ←كُسيّي ← كُسيّ.

٢٢)التخلص من اجتماع ياءات بسبب التثنية أو الجمع، نحو: ثُرَيّا ← ثُرَيّان/ ثُرَيّات.

ثانيًا: التخلص الجائز

١)التخلص من التماثل في مضارع المضعف والأمر منه بالإدغام على لغة تميم: لم يردّ/ ردَّ.

٢)التخلص من اجتماع النونين، على بعد، بإدغامهما في(لكن)إذا جاء بعدها الضمير (أنا): لكنّا.

٣)التخلص من اجتماع التاءات في الفعل على وزن (افْتَعَلَ) وعينه تاء، مثل: اِقْتَتَلَ، تدغم التاء في التاء: قَتَّلَ. ومثله اجتماع التاء والذال من اسم الفاعل على وزن(افْتَعَلَ) الذي عينه ذال، مثل:

مُعْتَذِرُون ← مُعَذِّرُون

٤)التخلص من اجتماع نون الرفع ونون الوقاية بإدغامهما، نحو:

يَضْرِبُونَنِي ← يَضْرِبُونِّي. ويجوز التخلص بحذف الآخِرة: يَضْرِبُونِي.

٥)التخلص من التقاء همزتين متحركتين من كلمتين، وذلك بإحدى وسيلتين: قلب الأولى ألفًا أو تخفيف الثانية إلى همزة بين بين. نحو: قَرَأَ أَبُوكَ ← قَرَا أَبُوكَ/ قَرَأَ اَبُوكَ.

٦)التخلص من التقاء واوين في أول الكلمة والثانية مدّ، نحو: وَوْعَد ← أَوْعَد، ومنه ما يتخلص منهما بقلب الأولى تاء ففي: (وَوْلَج) يجوز: تَوْلَج.

٧)التخلص من التقاء الياءات عند النسب إلى اسم ينتهي بياء مشددة، وذلك بقلب الياء واوًا إن كانت بعد حرف، ففي حيّة نقول: حَيِّيّ، ويجوز: حَيَوِيّ. وإن كانت بعد حرفين حذفت ياء وقلبت ياء، ففي أُمَيَّة: أُمَيِّيّ، ويجوز: أَمَوِيّ. أما الياء بعد حرفين فتقلب واوًا، ففي: ظَبْي نقول: ظَبْيِيّ، وظَبَوِيّ. أما الياء المسبوقة بألف فإنه يجوز قلبها همزة أو واوًا، ففي رَايَة، نقول: رايِيّ، ويجوز: رائِي، أو راوِيّ.

٨)التخلص من إحدى الياءين في بعض الجموع ، نحو : أَمَانِي ، أَثَافِي ، مَعَطِي.

٩)التخلص من التقاء الكسرة والياءات ، وذلك بقلب الكسرة فتحة ، فيجوز فتح عين المنسوب إليه ، تقول : تَغْلِبِيّ ، ويجوز : تَغْلَبِيّ.

١٠)التخلص من التقاء التاءين ، وذلك بإبدال التاء سينًا في (اِتَّخَذَ) ، يجوز القول : اِسْتَخَذَ.

١١)التخلص من اللامين ، مثل : لَعَلَّ ← لَعَنَّ.

١٢)التخلص من النونين ، مثل : عُنْوَان ← عُلْوان.

١٣)التخلص من المضعفين بإبدال أحدهما ياءً ، نحو : تَسَرَّرْتُ ← تَسَرَّيْتُ ، اِتَّصَلْتُ ← اِيتَصَلْتُ ، أَمَّا ← أَيْمَا ، دَهْدَهْتُ ← دَهْدَيْتُ.

١٤)التخلص من التقاء الهمزات في بعض أفعال الأمر من مهموز الفاء ، وذلك بحذف الفاء ، وهذه الأفعال هي : أَمَرَ ← مُرْ ، أَكَلَ ← كُلْ ، أَخَذَ ← خُذْ.

١٥)التخلص من التقاء نونين : نون الرفع ونون الوقاية ، وذلك بحذف نون الرفع في نحو : يُساعِدُونِي.

١٧)التخلص من التقاء النونات : نون الوقاية بعد الحروف : إنّ ، وأنّ ، ولكنّ ، وكأنّ. وذلك بحذف نون الوقاية ، ففي : إنّني ، يجوز : إنِّي.

١٨)حذف إحدى نوني (إنّ) وأخواتها المنتهيات بنون مشددة.

١٩)حذف التاء من الفعل (تخذ) على وزن (اِسْتَفْعَلَ) : اِسْتَتْخَذَ ← اِسْتَخَذَ.

٢٠)التخلص من إحدى التاءين في أول مضارع (تَفَاعَلَ ، وتَفَعَّلَ) : تَتَبَرَّجْنَ ← تَبَرَّجْنَ.

٢١)حذف إحدى نوني الفعل المضارع فاؤه نون وهو مسند إلى المتكلمين : نُنَزِّلُ ← نُزِّلُ.

٢٢)التخلص من التقاء الضمة والواو في آخر الكلمة في ضمير الجمع ، وذلك بحذف الواو ، نحو : عَلَيْكُمُو ، يجوز : عَلَيْكُمْ.

٢٣)التخلص من التقاء الكسرة والياء في آخر الكلمة في ضمير الجمع. وذلك بحذف الياء ، نحو : لَدَيْهِمِي ، يجوز : لَدَيْهِمْ.

٢٤)التخلص من التقاء الياءات في الكلمات التي على وزن (فَعْعِل)، وعينها ياء، وذلك بحذف إحدى الياءين، ففي: سَيِّد، يجوز القول: سَيْد.

٢٥)التخلص من الياءات في الفعل (اِسْتَحْيَى)، وذلك بحذف الياء، ففي استحيى نقول: اِسْتَحْيَيْتُ، ويجوز القول: اِسْتَحَيْتُ.

٢٦)التخلص من التقاء مضعفين، وذلك بحذف أحدهما، ففي: حسِسْتُ، يجوز أن نقول: حَسْتُ. ومن ذلك: رُبّ ← رُبَ، بَخّ ← بَخْ، أُفّ ← أُفْ، قَطّ ← قَطْ، حِرْح ← حِرْ، للهِ ← لاه. ومثل ذلك ما يضطر إليه شاعر، أو يخففه المثقفون. وقد يكون بقلب أولهما نونًا كما في لغة اليمن: حَظّ ← حَنْظ.

٢٧)حذف الضمة الثانية والكسرة الثانية عند توالي ضمتين أو كسرتين: عُنُق ← عُنْق، إبِل ← إبْل.

٢٨)التخلص من يائي الكلمات على وزن (فَعِيل) و(فُعَيْل) عند النسب، بحذف الزائد، وقلب اللام واوًا. ويجوز الإبقاء عليهما، نحو: عَدِيّ ← عَدَوِيّ، أو عَدِيّيّ، أُمَيَّة ← أُمَوِيّ، أو أُمَيِّيّ

٢٩)الفصل بين همزة الاستفهام وهمزة بعدها بالألف: أَأَنت ← آأَنت.

رابعًا: مسائل لهجية.

يهدف هذا القسم إلى إبراز أهمية الاختلافات اللهجية في تشكيل القواعد التي تحكم النظام اللغوي العربي، وبيان ما اكتسبه النظام من جراء ذلك من المرونة والاتساع، وهذا إجمال بالاختلافات اللهجية:

١- مضارع الفعل الثلاثي المضعف المجزوم يفك إدغامه عند أهل الحجاز وكذلك الأمر منه. ويبقى على الإدغام في لهجة تميم.

٢- يفك الإدغام في المضعف عند إسناده إلى نون النسوة في لغة العرب. وبعض من بكر بن وائل يبقون على الإدغام.

٣- إن اجتمعت همزتان من كلمتين خفف العرب إحداهما. وفي لغة شاذة لا يتخلص من اجتماعهما. وفي لغة الحجاز تقلب إحداهما ألفًا وتجعل الأخرى همزة (بين بين).

٤- الأمر من ثلاثة الأفعال (أَكَلَ، أَخَذَ، أَمَرَ) يكون بحذف الهمزة. وبعض العرب يبقي الهمزة ويقلبها مثل: أُوكِلْ. ونسمع العامة في نجد اليوم يقولون" كِل، خِذ، ولكن: أُومرْ.

٥- تقول العرب في النسبة إلى (صَعِق): صَعَقِيّ، ويقول بعضهم: صِعِقِيّ.

٦- تقول العرب: (اتّخذ)، ويقول بعضهم: (اسْتَخَذَ).

٧- يقول أهل الحجاز: (يَسْتَحْيِي)، وتقول تميم: (يَسْتَحِي).

٨- يقول الحجازي في (حَسِيْتُ): حَسِيتُ، وتميم تحذف: حَسْتُ، وسليم تحذف عين الثلاثي المضعف.

٩)قلب أحد المضعفين في لهجة تميم وقيس نحو: تظَنَّيتُ، وتقصَّيْتُ، وأَمْلَيْتُ، ودهْديْتُ. ولهجة اليمن تقلب أول المدغمين نونًا (حظّ: حنْظ).

١٠- حذف إحدى التاءين من أول المضارع في لهجة هذيل: تتلقَّون ← تَلقَّون.

١١- حذف إحدى الياءين من آخر الجمع في لهجة بلعنبر: أثافيّ ← أثافِيْ.

١٢- حذف إحدى الياءين من أول الفعل (يَيْئَس) طريقة لبعض العرب.

١٣- حذف عين الفعل الثلاثي المضعف لغة لسليم: همَمْتُ ← هَمْتُ.

١٤- المحافظة على الياء المشددة آخر المنسوب إليه لغة لسليم: أُمَيَّة ← أُمَيِّيّ.

١٥- لغة العرب في (أمّا) بالتشديد، ولغة كثير من بني عامر وتميم بإبدال الميم ياء: (أيْما).

١٦- تخفيف المضعف بحذف أحدهما مثل (رُبَ) في (رُبّ) لهجة هذلية.

١٧- بعض العرب يفصل همزة الاستفهام عن الهمزة بعدها بالألف تخلصًا من لقاء همزتين ومنهم تميم، أما أهل الحجاز فهم يفصلون بين همزة الاستفهام وهمزة بين بين المخففة. ومن العرب من لا يفصل بينهما.

المصادر والمراجع

الأخفش الأوسط ؛ أبوالحسن سعيد بن مسعدة (٢١٥هـ) :

معاني القرآن، تحقيق : فائز فارس (ط٢ ، الشركة الكويتية لصناعة الدفاتر/ الكويت، ١٩٨١م.)

الأزهري ؛ خالد بن عبدالله(٩٠٥هـ) :

شرح التصريح على التوضيح (دار إحياء الكتب العربية/ القاهرة).

الاستراباذي ؛ رضي الدين محمد بن الحسن(٦٨٦هـ) :

شرح الشافية، تحقيق : محمد نور الحسن ومحمد الزفزاف ومحمد محيي الدين عبدالحميد (مصورة دار الكتب العلمية/ بيروت، ١٩٧٥م.)

أنيس ؛ إبراهيم(١٩٧٧م) :

الأصوات اللغوية (ط٥ ، مكتبة الأنجلو/ القاهرة، ١٩٧٥م.)

ابن جني ؛ أبو الفتح عثمان(٣٩٢هـ) :

- التصريف الملوكي، عناية النعساني (ط١ ، مطبعة شركة التمدن/ القاهرة)
- سر صناعة الإعراب، تحقيق : حسن هنداوي(ط١ ، دار القلم/ دمشق، ١٩٨٥م.)
- المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، تحقيق : علي النجدي ناصف، وعبدالحليم النجار وعبدالفتاح إسماعيل شلبي (المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية/ القاهرة، ١٩٨٦م.)
- المنصف : شرح كتاب التصريف للمازني، تحقيق : إبراهيم مصطفى وعبدالله أمين (ط١ ، القاهرة، ١٩٥٤م.)

الجوهري ؛ إسماعيل بن حماد(٣٩٣هـ) :

الصحاح، تحقيق : أحمد عبدالغفور عطار (ط٢ ، دار العلم للملايين/ بيروت، ١٩٧٨م.)

حسن؛ عباس:

- النحو الوافي (ط٢، دار المعارف بمصر/ القاهرة، ١٩٦٨م.).

ابن حيان؛ أبوحيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف(٧٥٤هـ):

- ارتشاف الضرب من لسان العرب، تحقيق: مصطفى أحمد النماس (ط١، النسر الذهبي/ القاهرة، ١٩٨٤م.)

- تفسير البحر المحيط (مكتبة النصر الحديثة/ الرياض عن مطبعة السعادة/ القاهرة، ١٣٢٩هـ).

ابن خالويه؛ أبو عبدالله الحسين بن أحمد(٣٧٠هـ):

ليس في كلام العرب، تحقيق: أحمد عبدالغفور عطار (مكة المكرمة، ١٩٧٩م.).

الداني؛ أبو عمر عثمان بن سعيد(٤٤٤هـ):

التيسير في القراءات السبع، عناية: أوتوبرتزل (جمعية المستشرقين الألمانية/ استانبول، ١٩٣٠م.)

رضا؛ الشيخ أحمد(١٩٥٣م):

قاموس رد العامي إلى الفصيح (ط٢، دار الرائد العربي/بيروت، ١٩٨١م).

الزمخشري؛ أبو القاسم جار الله محمود بن عمر (٥٣٨هـ):

- الكشاف عن حقائق التنْزيل وعيون الأقاويل(دار الفكر/ بيروت).

- المفصل في صنعة الإعراب (ط٢، دار الجيل/ بيروت، عن طبعة النعساني ١٣٢٣هـ)

ابن السكّيت؛ أبويوسف يعقوب(٢٤٤هـ):

- إصلاح المنطق، تحقيق: أحمد محمد شاكر وعبدالسلام محمد هارون (ط٣، دار المعارف بمصر، ١٩٧٠م.)

- كتاب الإبدال، تحقيق: حسين محمد محمد شرف(مجمع اللغة العربية/ القاهرة، ١٩٧٨م.)

سيبويه؛ أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر(١٨٠هـ):

الكتاب، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون (ط٢، الهيئة المصرية العامة للكتاب/ القاهرة، ١٩٧٩م.)

السيرافي؛ أبوسعيد الحسن بن عبدالله بن المرزبان(٣٦٨هـ):

ضرورة الشعر، تحقيق: رمضان عبدالتواب (ط١، دار النهضة العربية/ بيروت، ١٩٨٥م.)

شاهين؛ عبدالصبور:

المنهج الصوتي للبنية العربية (ط١، مطبعة جامعة القاهرة/ القاهرة، ١٩٧٧م.).

الشمسان؛ أبوأوس إبراهيم:

- جوانب الدرس التصريفي للفظ(آية)، مجلة كلية الآداب، جامعة الاسكندرية، ١٩٩٧م.
- مساحة لغوية، نادي المدينة المنورة، كتاب العقيق، ع٢، ٢٠٠٠م.

الطوسيّ؛ أبوجعفر محمد بن الحسن بن علي بن الحسن(٤٦٠هـ):

تفسير البيان، تحقيق: أحمد حبيب قصير العاملي (مكتبة الأمين/ النجف الأشرف).

الطيب؛ عبدالجواد:

من لغات العرب: لهجة هذيل (جامعة الفاتح/ طرابلس).

عبد العال؛ عبدالمنعم سيد:

معجم الألفاظ العامية ذات الحقيقة والأصول العربية (ط٢، مكتبة الخانجي/ القاهرة، ١٩٧٢م).

عبده؛ داود:

ترتيب تطبيق القواعد الصوتية في اللغة العربية، المجلة العربية للدراسات اللغوية(معهد الخرطوم الدولي للغة العربية/ الخرطوم، أغسطس١٩٨٢م.)

العدناني؛ محمد:

معجم الأخطاء الشائعة (مكتبة لبنان/ بيروت، ١٩٧٣م.)

ابن عصفور؛ أبوالحسن علي بن مؤمن بن محمد بن علي(٦٦٩هـ):

ضرائر الشعر، تحقيق: السيد إبراهيم محمد (ط١، دار الأندلس/ بيروت، ١٩٨٠م)

ابن عقيل؛ بهاء الدين عبدالله بن عبدالرحمن(٧٦٩هـ):

المساعد على تسهيل الفوائد، تحقيق: محمد كامل بركات (ط١، جامعة أم القرى/مكة المكرمة، ١٩٨٤م.)

عمر؛ أحمد مختار وعبدالعال سالم مكرم:

معجم القراءات القرآنية (ط١، جامعة الكويت/ الكويت، ١٩٨٥م.)

آل غنيم؛ صالحة راشد غنيم:

اللهجات في الكتاب لسيبويه: أصواتًا وبنية (ط١، جامعة أم القرى/ مكة المكرمة، ١٩٨٥م.)

الفارسي؛ أبوعلي الحسن بن أحمد بن عبدالغفار بن أبان(٣٧٧هـ):

- المسائل البصريات، تحقيق: محمد الشاطر أحمد محمد أحمد (ط١، مطبعة المدني/ القاهرة، ١٩٨٥م.)
- المسائل المشكلة: البغداديات، تحقيق: صلاح الدين عبدالله السنكاوي (وزارة الأوقاف/ بغداد، ١٩٨٣م.)

الفراء؛ أبوزكرياء يحيى بن زياد(٢٠٧هـ):

معاني القرآن، تحقيق: عبدالفتاح إسماعيل شلبي (الهيئة المصرية العامة للكتاب/ القاهرة، ١٩٧٢م.)

الفيروزآبادي؛ مجد الدين محمد بن يعقوب(٨١٧هـ):

القاموس المحيط (مؤسسة الحلبي/القاهرة).

القرطبي؛ أبوعبدالله محمد بن أحمد الأنصاري(٦٧١هـ):

الجامع لأحكام القرآن (ط٣، دار القلم/ القاهرة، ١٩٦٦م.)

ابن مالك ؛ أبوعبدالله جمال الدين محمد(٦٧٢هـ) :

تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد، تحقيق : محمد كامل بركات (ط١ ، وزارة الثقافة/ القاهرة، ١٩٦٧م.)

ابن مجاهد ؛ أبوبكر أحمد بن موسى بن العباس(٣٢٤هـ) :

كتاب السبعة في القراءات، تحقيق : شوقي ضيف (ط١ ، دار المعارف بمصر/ القاهرة، ١٩٧٢م.)

المطلبي ؛ غالب فاضل :

لهجة تميم وأثرها في العربية الموحدة (وزارة الثقافة/ بغداد، ١٩٧٨م.).

المنصور ؛ وسمية عبدالمحسن :

صيغ الجموع في القرآن الكريم (ط١ ، مكتبة الرشد/ الرياض، ٢٠٠٤م.)

النحاس ؛ أبو جعفر أحمد بن إسماعيل(٣٣٨هـ) :

إعراب القرآن، تحقيق : زهير غازي زاهد (ط٢. عالم الكتب/ بيروت، ١٩٨٥م.)

ابن يعيش ؛ موفق الدين أبوالبقاء يعيش بن علي(٦٤٣هـ) :

- شرح المفصل (إدارة الطباعة المنيرية/القاهرة).
- شرح الملوكي في التصريف، تحقيق : فخرالدين قباوه (ط١ ، المكتبة العربية/ حلب، ١٩٧٣م.

التخلّص من المتماثلات خطًّا

أبوأوس إبراهيم الشمسان

الأستاذ في قسم اللغة العربية

كلية الآداب- جامعة الملك سعود

لا يخلو النظام الكتابي لأي لغة من مشكلات خاصة ؛ لأن النظام الكتابي ليس صورة مطابقة للغة المنطوقة بل هو تقريب لها يعين على حفظها وتعلمها واستخدامها. ومن المشكلات الملاحظة في نظام الإملاء العربي حذف بعض رموز الأصوات، وهو أمر متصل بنشأة الكتابة العربية وتطورها، وهذا البحث محاولة لرصد بعض من حالات الحذف التي يكون علتَها التخلص من المتماثلات التي تحدث في الرسم الإملائي.

تابعت العربية النبطية التي أخذت عنها الخط بأن مثلت الكسرة الطويلة بالياء، ومثلت الضمة الطويلة بالواو، أما الفتحة الطويلة فقد أهملت في وسط الكلمة، ولكنها مثلت بالألف في نهايتها. أما استعمال الألف لتمثيل الفتحة الطويلة في وسط الكلمة فهو إضافة عربية[1].

عرفت الكتابة العربية في الحجاز. وحين دوّن القرآن مثلت الهمزة بالألف[2]. والرسم العثماني جرى على لغة أهل الحجاز التي تسقط الهمزة في غير أول الكلمة، فلم تمثل الهمزة إلا في أوائل الكلمات حيث يرمز لها بالألف، أما في وسط الكلمة وآخرها فإن الواو أو الياء هي التي تحل محل الهمزة صوتًا وكتابة[3]. وقرأ الناس في الأمصار القرآن في مصاحف عثمانية فكانوا يحققون الهمزات

---

(١) رمزي بعلبكي، الكتابة العربية والسامية (ط١، دار العلم للملايين/ بيروت، ١٩٨١م.) ص ١٧٩.

(٢) غانم قدوري الحمد، رسم المصحف (ط١، بغداد، ١٩٨٢) ص ٥٧٥.

(٣) السابق، ص.ن.

دون التفات إلى أنها كانت مرسومة على لغة أهل التسهيل، واوًا أو ياءً أو ألفًا[١]؛ لأن اعتمادهم في تلقي القراءة على الرواية وإنما يعينهم النظر في المصحف على ذلك[٢]. قال ابن السراج: "إن القياس والأصل في الهمزة أن تكتب في كل موضع ألفًا كما أنها تكتب إذا كانت أول كلمة ألفًا لا اختلاف في ذلك، ولكنه لّما كان من العرب من يخفف الهمز ويبدل، كما ذكرت لك، تغيرت صورتها فاتفق الكتّاب على إبدالها في كثير من المواضع واختلفوا في بعض، قال البصريون: الهمزة لا صورة لها وإنما تكتب على تغيرات حركتها"[٣].

ونشأت الحاجة إلى تعيين الألفات والواوات والياءات التي تهمز من غيرها مما ليس من الهمز. وكان التمييز في أول الأمر بنقطة حمراء أو صفراء ثم اتخذت رأس العين (ء) رمزًا تكون فوق الألف أو الياء أو الواو ونُسي أن الألف هي الأصل في رمز الهمزة، ونسي أن المصاحف العثمانية كتبت على لغة من يسهلون الهمزة، ولم يغير محققو الهمزة تلك الرموز بل أضافوا لها العلامة المميزة[٤].

إذن يمكن القول إن الكتابة العربية أفضت إلى حدوث ازدواج في تمثيل بعض الأصوات العربية إذ جعل حرف الألف رمزًا للهمزة، ورمزًا للفتحة الطويلة - ألف المد- وجعل حرف الواو رمزًا للضمة الطويلة - واو المد- وجعل رمزًا لصوت الواو - غير الحركة أي: الصوت الصامت- وجعل رمزًا للهمزة التي تسهل واوًا. وجُعل الياء رمزًا للكسرة الطويلة - ياء المد- وجعل رمزًا لصوت الياء - غير الحركة، أي: الصوت الصامت- وجعل رمزًا للهمزة التي تسهل ياءً. وكان من نتائج هذه الازدواجية اجتماع المتماثلات في الرسم.

وعلى نحو ما كُره التماثل في اللفظ كُره التماثل في الخط أيضًا، فنجد أنهم يكرهون تجاور الألفات أو اللامات أو الواوات أو الياءات، وهذا ما يسعون إلى التخلص منه بالحذف. قال ابن

---

(١) غانم قدوري الحمد، رسم المصحف (ط١، بغداد، ١٩٨٢) ص ٥٧٥.

(٢) السابق، ص ٥٧٥- ٥٧٦.

(٣) ابن السراج، كتاب الخط، مجلة المورد، ج٥، ع٣: ١١٧.

(٤) الحمد، رسم المصحف، ص ٥٧٧.

درستويه مبينًا ما يحذف من الخط، ومعللاً سببه: "اعلم أن أكثر ما يحذف من الكتاب الحروف المكرّرة كراهية اجتماع الأشباه في الخط، كما يدغمون المضاعف في اللفظ استثقالاً للتضعيف أو حروف المد واللين لاعتلالها وثقلها وتعاور السكون والحركات والتنوين إياها، مع كثرتها في الكلام، وأنه لا يخلو من أحدها أو من الحركات كلمة، وإنما الحركات منها فيستخف بحذفها من الكتاب كما يفعل ذلك في اللفظ. وأكثر حروف اللين حذفًا الألف لضعفها، فإنها أكثر من غيرها في الكلام"[1].

أما الداني فذهب إلى أبعد من الناحية الشكلية حين أشار إلى أن اجتماع الألفات متعذر في اللفظ، فكأنّ الخط تابع لهذه المسألة، قال: "وقال بعض النحويين إنما لم يجمع بين ألفين في الخط من حيث لم يجمع بينهما في اللفظ"[2]. وهذا نظر جزئيّ إلى المسألة؛ إذ لا يفسر التخلص من الحروف التي تجتمع في اللفظ دون الخط مثل المدغمين ومثل الواوين والياءين.

وإن تكن الأصوات المدغمة يحذف إحداها في الخط فإن المتماثلات في الخط من غير المدغمة تحذف، ولكن ذلك ليس على إطلاقه، قال ابن السراج: "اعلم أنه ليس لك أن تحذف كل ما اجتمع صورتان من أي حرف كان، وإنما المكروه من ذلك اجتماع ألفين وواوين وياءين، فأما ما سوى ذلك من الحروف فلا يحذف إلا ما علمت أنه قد اصطلح على حذفه إلا الحرف المدغم في مثله من كلمة واحدة فإنهم مجمعون على كتبه بحرف واحد، نحو: كلّ، وشدّ"[3]. ويضع ابن درستويه قاعدة عامة تتناول هذه المسألة في قوله: "وأما ما يحذف لاجتماع الأشياء غير المدغمة فإن كل ألفين أو واوين أو يائين اجتمعا في كلمة حذف أحدهما وأثبت الآخر إلا أن يخاف لبس أو يحتاج إلى عوض أو يستخف

(١) ابن جعفر بن درستويه، كتاب الكتاب، ص ٦٤.

(٢) أبوعمرو عثمان بن سعيد الداني، المقنع في معرفة مرسوم مصاحف أهل الأمصار مع كتاب النقط، تحقيق: محمد أحمد دهمان (ط١، دار الفكر/ دمشق، ١٩٨٣م) ٢٦.

(٣) ابن السراج، كتاب الخط، ١٢٧.

شيء فلا يحذف. وكل ثلاث ألفات أو واوات أو ياءات اجتمعن في كلمة حذفت إحداهن وأثبتت اثنتان"[١].

أولاً:التخلص من المتماثلات المدغمة

الإدغام هو نطق صوتين متماثلين متتاليين لا يفصل بينهما حركة أو وقف[٢] ؛ وذلك بأن تجتمع أعضاء النطق لنطق أولهما ثم تنفرج عن نطق الثاني، وفي هذا تخفيف على أعضاء النطق ؛ إذ تلتقي مرة واحدة بدلاً من مرتين، والفرق بين لقائها لنطق الصوت الواحد ولقائها لنطق الصوتين معًا هو فرق كمّيّ من حيث زمن اللقاء، فكأنه من الناحية الصوتية صوت واحد أطيل له لقاء أعضاء النطق ولكنه من الناحية الوظيفية صوتان[٣].

ومن أجل أن الصوتين يظهران من الناحية الصوتية صوتًا واحدًا اكتفي برسم واحد يمثل الصوتين المدغمين، وهذا له فوائده التي تظهر في دفع الوهم أن أولهما متحرك.

قال ابن درستويه: "فممّا تحذف لاجتماع الأشباه كل حرفين ادّغما من كلمة واحدة فإنهما يكتبان حرفًا واحدًا، صحيحًا كان ذلك أو معتلاً، لأنهم كرهوا في الكتاب ما كرهوا في الكلام من التضعيف وذلك مثل: (دال) مدّ، و(راء) فرّ، و(ميم) محمّد الثانية، و(تاء) اتّزر. و(دال) ادّكر، ومثل: (واو) عدوّ، وسموّ، و(ياء) بختيٍّ، ومرميّ"[٤].

والادغام يقع للصوتين في كلمة صرفية واحدة، ويقع أيضا للصوتين من كلمتين صرفيتين بأن يكون أولهما نهاية الكلمة الأولى وثانيهما بداية الكلمة الثانية، قال ابن درستويه: "فإن وقع الادّغام في حرفين من كلمتين لم يجب الحذف لأن ذلك لا يلزمها في كل موضع ؛ إذ كانا قد يفترقان فكأنه لم

(١) ابن درستويه، كتاب الكتاب ٦٦- ٦٧.

(٢) أبوعلي الحسن بن أحمد الفارسي، التكملة، تحقيق: حسن الشاذلي فرهود (ط١، جامعة الرياض/ الرياض، ١٩٨١م.) ٢٧٣.

(٣) أبوأوس إبراهيم الشمسان، دروس في علم الصرف (ط١، مكتبة الرشد/ الرياض، ١٩٩٧م.) ٢: ١٢٦.

(٤) ابن درستويه، كتاب الكتاب، ٦٤- ٦٥.

تجتمع الأشباه، وذلك مثل لام التعريف إذا ادّغمت مع غير اللام كقولك السّلام والرّحمن والسّراط، فهذه اللام تثبت في الكتاب لأنها تفارق ما دخلت عليه ولأنها جاءت لمعنى لا يعلم إلا بها. وكذلك هي إذا ادّغمت في لام كقولك: الله والليل واللهو تثبت هنا كما تثبت في غير الادّغام في مثل: المال والخير"[1].

فعلى الرغم من تماثل لام التعريف واللام التي في بداية الاسم خطًّا فإنهم لم يكتفوا بلام واحدة لأن الإدغام بين صوتين من كلمتين، وهذا اللقاء مؤقت. واجتماع اللامين هنا من مواطن قبول المتماثلات خطًّا. ومثل اللامين الكافان في قوله تعالى: يدرككم الموت ، قال ابن درستويه: "لا يكتب ذلك إلا على البيان ولا يحذف لأن هذا الضمير يفارق الفعل فيكون مرة واوًا ومرة نونًا مثل: فعلوا وفعلن ولا يلزم، فحكمه حكم المنفصل"[2].

واستثنى ابن درستويه من هذه القاعدة ما تعمد كتابته برسم واحد لغرض نحويّ أو حكاية لغة مما لا يتبين المقصود به إلا بذلك الرسم مثل (هتّدنو) في قول الشماخ:

وظلّت بيمؤدٍ كأنّ عيونها إلى الشمس هتّدنو ركيٌّ نواكزُ

أي: هل تدنو. كتبت اللام المدغمة تاءً وكتبت مع ما أدغمت فيه وهما كلمتان منفصلتان؛ لأن هذا الإدغام لا يتبين للقارئ فهو غير مقيس.

ويدخل في قاعدة المدغمين ما يمكن أن يكون مخالفًا للقاعدة السابقة وهو كون المدغمين من كلمتين منفصلتين لا يحذف أحدهما، وذلك إذا كان بينهما من التلازم ما يجعلهما في منزلة الكلمة الواحدة، قال ابن درستويه: "فأما ما أجري في الخط من المدغم في كلمتين مجرى المدغم في كلمة واحدة: كهلا وإلاّ وعمّا وعمّن وممّا وممّن ولمّا وأمّا فقد مضى تفسيره"[3].

(١) ابن درستويه، كتاب الكتاب، ٦٤- ٦٥.

(٢) السابق، ص ٦٥.

(٣) السابق، ص ٦٦.

ثانيًا:التخلص من ا تماثلات غ ا دغمة

يتخلص الكتاب من المتماثلات خطًّا وما يشبه المتماثلات لأغراض مختلفة غير الإدغام منها خشية اللبس، ومنها كراهة التماثل نفسه، ولهم في ذلك طريقتان إحداهما حذف الحرف، والأخرى تغيير صورته.

الطريقة الأو : ا ذف

تحذف الألف أو الواو أو الياء أو ما اجتمع معها مما يشابهها في الخط. وقد يجتمع متماثلان أو أكثر. وهذه أشيع الطريقتين.

١/: حذف الألف وأشباهها

ويشمل هذا حذف الألف وهمزة الوصل أو القطع وكذلك اللام.

١/أ- الحذف مما أجتمع فيه ألفان

وهو يشمل الألف رمز المد أو رمز الهمزة .

١/أ- ١ : حذف الألف

تكتب الهمزة التي تسهل على صورة ما تسهل إليه[١] ، ومن ذلك الهمزة المتطرفة بعد ساكن إن كان الاسم منصوبًا منوّنًا، قال ابن السراج : "فإن كان في موضع يلحقه التنوين جعلت الهمزة ألفًا وأثبتت بعدها ألف النصب وذلك قولك : رأيت جزءًا، وإنما حذفوا أحد الألفين في الخط لئلا يجمعوا بين صورتين، وكذلك : برأت برءًا، أبدلت من الهمزة ألفًا ؛ لأن ألف النصب قد وقعت بعدها فصارت في حشو الكلام ولم تكن طرفًا"[٢] . ومن ذلك الهمزة التي تأتي بعد ألف، قال ابن السراج : "فإن كان قبلها ألف كتبتها ألفًا نحو : كساء، ورداء، وسقاء، وكان الأصل أن يكتب ألفين، ولكن حذفوا كيلا يجمعوا بين صورتين"[٣] . وقال الرضي : "وكذا يكتب الوسط الذي قبله ألف باعتبار

---

(١) ابن السراج، كتاب الخط، ١١٧.

(٢) السابق، ص.ن.

(٣) ابن السراج، كتاب الخط ، ١١٨.

حركته ؛ لأن تخفيفه باعتبارها فيكتب نحو سأل بالألف التساؤل بالواو وسائل بالياء"[١] ؛ ولكن أكثرهم يتجنبون اجتماع الألفات في الخط ، قال الرضي : "والأكثرون على ترك صورة الهمزة المفتوحة بعد الألف استثقالا للألفين ؛ فيكتبون ساءل بألف واحدة"[٢] . وقد سبق تصريح ابن السراج بذلك في قوله : "والمسألة والملأمة بألف واحدة كراهة اجتماع حرفين من صورة ، وكذلك سأله ، فإذا قالوا : يسائله كتبت بياء بعد ألف ، لأنه لا يجتمع ألفان ، وكذلك تساءلوا تساؤلاً ، لأنه لم يجتمع حرفان"[٣].

ولتوضيح أمثلة ابن السراج نكتبها بصورتيها :

المساألة ← المسألة

الملاأمة ← الملأمة

ساأله ← سأله

واللبس والإشكال ظاهر في هذا الرسم.

ومثّل لحذف الألف ابن درستويه في قوله : "فمن ذلك إحدى الألفين في مثل : آدم ، وآخر ، وآمر ، وآئب[٤]. وفي مثل : البراءة والقراءة والفجاءة. وفي مثل : ألاف وأجام وأبار. ومثل : الاسأر مصدر أسأرت ، وقوله : (يسألون عن أنبائكم) ، وهما يقرآن"[٥].

وليس التخلص من اجتماع الألفين على إطلاقه بل لهذه القاعدة استثناءات يدعو إليها اللبس فعند مخافة اللبس يلتزم بالأصل. ويمكن أن نفصل هذه الأمثلة في هذا الجدول :

---

(١) الرضي ، شرح الشافية ، ٣/٣٢١.

(٢)السابق ، ص.ن.

(٣)ابن السراج ، كتاب الخط ١٢١.

(٤) هكذا في المطبوع ولعله خطأ مطبعي صحته : أدم ، أخر ، أمر ، أئب. والدليل ورود الكلمات بعد ذلك بهمزة بألف واحدة دون علامة المد.

(٥) ابن درستويه ، كتاب الكتاب ، ص ٦٧. و(الاسأر) هكذا في المطبوع والصواب(الإسأر) ، و(يقرآن) لعلها : يقرأن.

قبل الحذف	بعد الحذف	الإيضـــاح
أ ادم ، أ اخر	أدم[آدم] ، أخر[آخر]	كل اسم أوله همزة بعدها ألف منقلبة
أ امر ، أ ائب	أمر[آمر] ، أئب[آئب]	كل اسم أوله همزة بعدها ألف مزيدة
البراأة القراأة الفجاأة	البراءة القراءة الفجاءة	كل اسم منته بهمزة قبلها ألف
أ الاف أ اجام أ ابار	ألاف [آلاف] أجام [آجام] أبار [آبار]	كل اسم أوله همزة بعدها ألف منقلبة
إسأار	إسأر [إسآر]	كل اسم عينه همزة بعدها ألف مزيدة
أنبا أ	أنباء	كل اسم منته بهمزة قبلها ألف
يقرأ ان	يقرأن[يقرآن]	المضارع لامه همزة مسند لألف اثنين مرفوع

يفسر لنا حذف الألف في نهاية الكلمة جانبًا من علة التعدد في شكل رسم الهمزة، وهو تعدد يجد المتعلمون فيه عنتًا، قال الرضي: "وكان قياس نحو السماء والبناء أن تكتب همزته بالألف؛ لأن الأكثر قلب مثلها ألفًا كما مرّ في الوقف في باب تخفيف الهمزة[1]؛ لكنه استكره صورة ألفين، كما

(١) أشهر حالات الوقف إنما هو بالسكون فإذا سكنت الهمزة المسبوقة بألف قلبت ألفًا ولا إشكال في هذا إذ الألف تحتمل هذا فهي تعد بمقدار ألفين، ويجوز حذف إحداهما فتظهر الألف مدًّا طبيعيًّا. أما إذا كانت منونة منصوبة فإنها غير متطرفة لذا لا تقلب ألفًا بل يقلب التنوين بعدها ألفًا. (الرضي، شرح الشافية، ٤٤/٣).

مرّ، ولذا لم تكتب في نحو قولك: علمت نبئًا ؛ صورة للهمزة"[١]. وهذا إيضاح قول الرضي:

قبل الحذف	بعد الحذف	الإيضـــاح
السـما أ	السـماء	اسم منته بهمزة مسبوقة بألف
البنا أ	البناء	اسم منته بهمزة مسبوقة بألف
نبأ ا	نبئًا	اسم منته بهمزة وهو منصوب منون

ومما قد يحذف، الهمزة بعد همزة الاستفهام. قال ابن السراج: "فإذا أدخلت ألف الاستفهام على إبراهيم وإسماعيل فزعم الكسائي أنهم قد يحذفون الهمزة، وإن كانت مكسورة أو مضمومة إذا كانت في اسم معلوم"[٢].

١/أ- ٢: حذف همزة الوصل

تدخل همزة الوصل على فعل الأمر من الثلاثي، فإن كان مما فاؤه همزة قلبت الهمزة الثانية حرف علة ملائمًا لحركة همزة الوصل، فمن الفعل (يأتي) تقول: ايت، ومن الفعل (يأجر) تقول: اوجر؛ وذلك تخلصًا من اجتماع المتماثلات[٣]لفظًا. فإذا أدخلت الواو أو الفاء على الفعل ارتفعت الحاجة إلى همزة الوصل فلم تذكر في اللفظ، فنطقت الهمزة دون إعلال لتخلف سببه. ولما كانت الكتابة معتمدًا فيها شكلها عند البدء بها أبقوا على رسم همزة الوصل؛ غير أنهم حذفوه حين تجاور ألفان: همزة الوصل والهمزة التي هي فاء الفعل، قال ابن درستويه: "ويحذف ألف الوصل أيضًا من كل فعل أوّله همزة إذا وقع قبلها حرف لا ينفرد كالفاء والباء ولام القسم وذلك قولك: زيدًا فأتمن، وعمرًا فأمر. لما سقطت ألف الوصل كتبت الهمزة ألفًا لأن ما قبلها لا ينفرد وهي تتبع حركة ما

(١) الرضي، شرح الشافية، ٣/٣٢١- ٣٢٢. والقياس في كتابة (نبئا) هو (نبأا).

(٢) ابن السراج، كتاب الخط: ١٢٧- ١٢٨.

(٣) الرضي، شرح الشافية، ٣/٣٢١- ٣٢٢. والقياس في كتابة (نبئا) هو (نبأا).

قبلها"[١]. وقال ابن مالك: "إلا إنها إن كانت همزة وصل حذفت بين الفاء أو الواو وبين همزة هي فاء"[٢].

١/أ- ٣: حذف همزة القطع

تدخل همزة الاستفهام على لفظ أوله همزة قطع مفتوحة فيجتمع من ذلك تماثل لفظي وخطّيّ، وقد اختلفوا في أمر هذا التماثل الخطي فمنهم من أبقاه ومنهم من تخلص منه، قال ابن السراج: "فإن بعض الكتّاب يثبتها جميعًا لتدل على الاستفهام نحو قول الله عزّ وجلّ أأَنت قلت للناس [١١٦- المائدة]، أأَنذرتهم [٦- البقرة]. ألا ترى أنك لو كتبت: أنت قلت للناس، بألف واحدة لم يكن بين الاستفهام والخبر فرق، وبعضهم يقتصر على واحدة، وينبغي لمن فعل ذلك أن يعلم علامة تدل على سقوط الألف"[٣].

١/أ- ٤: الألف بعد ألف النداء:

أورد ابن السراج قول أحمد بن يحيى، قال: "وإذا جاءوا بألف بعد ألف النداء مثل يابراهيم وياسماعيل، وياسحق وما أشبهه، خفيفة كانت أو ثقيلة، ألف وصل كانت أو غير وصل فإنهم لا يجمعون بين ألفين فيحذفون الثانية، فإن شئت قلت: اكتفوا بالصورة من الصور وإن شئت قلت أرادوا لأن يخلطوا الذي بعدها بالاسم مثل: ياسحق ويابراهيم"[٤].

١/أ- ٥: حذف الألف بعد(ها) التنبيه:

جاء عند ابن السراج: "قال الكسائي في (هانتم[٥] وهانا) حذفوا ألف (ها) قال: وليس هذا بشيء، إنما حذفوا الهمز، والدليل على أنهم لم يحذفوا (ها) أنهم يقولون: (ها نحن نقول ذاك)

---

(١) ابن درستويه، كتاب الكتاب: ٧٧.

(٢) ابن مالك، تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد، ص ٣٣٥.

(٣) ابن السراج ، كتاب الخط، ص١٢٢.

(٤) ابن السراج، كتاب الخط: ١٢٨.

(٥) وردت في النص المطبوع (هاشم) وهو خطأ طباعي والصواب ما أثبت.

فيثبتون ألف (ها) فدل على أن الهمزة مع (أنا وأنتم) هي المحذوفة لا الأولى"(١). يستثنى من ذلك ما بعد (أيّها) قال: "ويكتبون أيّها الرجل، وأيّها الأمير، بألف وقد كتبت في المصحف بألف وبغير ألف"(٢).

١/ب- حذف ما اجتمع فيه ثلاثة أشباه:

إن يكن حذف الحرف يكون لاجتماع مثلين فإن حذفه لاجتماع ثلاثة أولى.

١/ب- ١ حذف الألف:

جاء عند ابن السراج: "وكذلك إن كانت ثلاث ألفات كقولك: سواء عليّ آمنت أم لم تؤمن، لم يعلقوا عليه إلا ألفًا واحدة، كما حذفوا من آخر الكلام من عطاء، وكساء، في النصب"(٣). مثّل لذلك ابن درستويه في قوله: "وأما ما اجتمعت فيه ثلاثة أشباه فيحذف منها واحد، فمثل الألفات في (القراءات والبراءات والفجاءات)، وقد جاءا كلاهما وشاءا ولن يشاءا، ومثل الممدود كله إذا نُصب ونُوّن كقولك: ماءً ولبست رداءً وأعطيته إعطاءً، ومثل الهمزتين يفصل بينهما بألف كقوله: آأنت أم أمّ سالم"(٤). وهذا جدول يبين أمثلة ابن درستويه:

(١) ابن السراج، كتاب الخط: ١٢٨.

(٢) ابن السراج، كتاب الخط: ١٢٨.

(٣) ابن السراج، كتاب الخط: ١٢٧.

(٤) ابن درستويه، كتاب الكتاب: ٦٨- ٦٩. وانظر ابن السراج، كتاب الخط: ١١٨.

قبل الحذف	بعد الحذف	الإيضـــــاح
القراأات البراأات الفجاأات	القراءات البراءات الفجاءات	المجموع بألف وتاء مفردة ممدودة
جاأا شاأا لن يشاأا	جاءا شاءا لن يشاءا	فعل لامه همزة قبلها ألف مسند إلى ألف اثنين
ما أً ا	ماءً	اسم منصوب لامه همزة قبلها ألف
ردا أً ا إعطا أً ا	رداءً إعطاءً	اسم ممدود منصوب
أ ا أنت	آ أنت	همزتان فصل بينهما بألف

ويفسر هذا الحذفُ بعضَ القضايا الإملائية ؛ فمن المعروف أن كل اسم منصوب منون ينتهي بألف بعد التنوين ؛ لأن الوقف على التنوين يكون بقلبه ألفًا ، واستثنى من رسم هذه الألف الكلمات المنتهية بهمزة قبلها ألف فإن التنوين يكون على الهمزة ولا ألف بعدها ، والعلة كما هو مبين هنا هي كراهة اجتماع الألفات.

١ /ت: ما حذف لاجتماع ما كأنه ثلاثة أشباه في كلمة :

قال ابن درستويه : "وقد يشبه بالأشباه ما قاربها وبحروف اللين ما ليس منها في بعض المواضع فتجرى مجراها في الحذف"[١] .

---

(١)ابن درستويه ، كتاب الكتاب ، ص ٦٩.

١/ت- ١ حذف الألف

قال ابن قتيبة: "والألف مع اللام اللتان للتعريف إذا أدخلت عليهما لام الجر حذفتها فقلت هذه للقوم وللغلام وللناس"[١].

وابن قتيبة في النص السابق يصف الظاهرة دون تعليل لحدوثها، وعلتها ما نقله ابن السراج عن الفراء قال: "قال الفراء: كرهوا أن يجيئوا بلام، ألف، لام، فيكون كأنها قد اجتمعت ثلاث لامات؛ لأن الألف كصورة اللام"[٢].

وقال ابن درستويه، قال: "لأنها تقارب اللام في النسبة. وهي حرف وصل وكثيرة الاستعمال وذلك قولك: لَلمرءُ أفضل من المرأة، ولِلمرءِ على المرأة فضل. فكأن لامي القسم والإضافة ها هنا مشبهتان بهمزة الاستفهام في قول الله عزّ وجلّ الله أذن لكم ونحوه. وكذلك ألف الوصل في (ايم الله وايمن الله)؛ لأنها مفتوحة كألف اللام وهي كثيرة الاستعمال فتجري مجراها فيكتب (ليم الله وليمن الله)"[٣].

ويلفت ابن السراج الانتباه إلى علة أخرى لحذف همزة الوصل، قال: "والكلام البين في هذا أنهم لو أثبتوا الألف في الخط لوجب أن يكتبوا للرجل، لا أَلرجل فيصير مثل لا لرَّجلٍ[٤]إذا نفيت فيلبس فحذفوا اللبس"[٥]. وأضاف علة أخرى قال: "ولأن القياس يوجب أن تحذف هذه الألف مع

---

(١) ابن قتيبة، أدب الكاتب، ص ٢٣٩.

(٢) ابن السراج، كتاب الخط١٢٢. وهو ينقل علة أخرى عن المبرد وهي علة تناسب تفكير النحوي لا مستخدم اللغة قال: "قال محمد بن يزيد: فأما كتبهم: لله وللرجل بوصل اللام وإسقاط الألف وكتبهم بالله بإثبات الألف وكذلك كالرجل فإنما جعلوا اللام مع ما بعدها كالشيء الواحد لأنها بدل من الإضافة، ألا ترى أنك تقول: هذا غلام زيد فيصيران اسمًا واحدًا، كما تقول هذا زيد.. وإنما تقديره: غلام لزيد، فيدخل كل مضاف على عبارة اللام، فلذلك كانت مع ما بعدها بمنزلة الشيء الواحد ألا ترى أنك تقول: هذا غلامك، فتصير كأنها من بعض حروف الغلام من أجل الإضافة". ص١٢٦.

(٣) ابن درستويه، كتاب الكتاب، ص ٦٩- ٧٠.

(٤) هكذا في النص المطبوع ولعل الصواب: لالرجل فيصير مثل لا لرجلٍ.

(٥) ابن السراج، كتاب الخط، ١٢٢.ولعلها (للبس).

جميع الحروف المتصلة بها التي لا تتفرد بأنفسها"[١]. ولعله يعني أن الأصل في الألف المتوسطة في الكلمة أنها تحذف إن كانت بعد غير الأحرف الخمسة وهي الدال والذال والراء والزاء والواو.

وهذا جدول يشرح أمثلة ابن درستويه:

قبل الحذف	بعد الحذف	الإيضـــــاح
لالمرء	للمرء	اسم معرف بأل دخلت عليه لام توكيد
لالمرء	للمرء	اسم معرف بأل دخلت عليه لام الجر
أالله	آلله	همزة استفهام دخلت على (أل)
لايم الله	ليم الله	لام التوكيد دخلت على (ايم)
لايمن الله	ليمن	لام التوكيد دخلت على (ايمن)

وهذا الحذف مقصور على الألف الواقعة بين اللامين إذ لا تحذف الألف بعد أي حرف من الحروف التي توصل بالكلمة لأن ذلك لا يؤدي إلى تشابه في الشكل. قال ابن قتيبة: "فإن أدخلت عليها باء الصفة لم تحذفها فكتبت بالقوم وبالغلام وبالناس"[٢].

وهو أيضا مقصور على الألف من (أل التعريف) "فإن جاءت ألف ولام من نفس الحرف وليستا للتعريف نحو الألف واللام اللتين في: التقاء والتفات والتباس ثم أدخلت عليهما لام الصفة وباء الصفة أثبت الألف نحو قولك بالتقائنا ولالتقائنا ولالتباس الأمر علي وبالتباسه؛ لأنهما من نفس الحرف وليستا بزائدتين"[٣].

---

(١) ابن السراج، كتاب الخط، ١٢٢.

(٢) ابن قتيبة، أدب الكاتب، ص ٢٣٩. وانظر ابن السراج، كتاب الخط، ص١٢٢.

(٣) ابن قتيبة، أدب الكاتب، ص ٢٣٩.

وقد نقل ابن الدهان هذا عن ابن قتيبة بأمثلته المذكورة آنفا[١].

وبيّن ابن قتيبة أن الهمزة في مثل تلك الألفاظ لا تحذف إن دخلت عليها (أل التعريف)، نحو: الالتقاء، والالتباس، والالتفات، والالتجاء، والالتهاء، والالتياع.

وقد تدخل اللام على هذه الأسماء المعرفة فتحذف همزة (أل) قياسا فيقال: للالتقاء[٢].

١/ت- ٢ حذف (أل):

قال ابن درستويه: "واعلم أنه إذا دخلت الألف واللام على كلمة أوّلها لام ودخلت عليهما إحدى لامي القسم والإضافة حذفت مع ألف الوصل لام، وهي التي في أول الكلمة لأن ذلك عندهم كاجتماع أربعة أشباه فحذفوا اثنين كقوله لله على الناس. وللذين يولون من نسائهم وللّيل أخفى للويل. ويستوي التثنية والجمع المذكر والمؤنث في هذا الموضع في الذي كقولك: للذي وللتي، وللذَين وللذين وللتين لا فرق بين ذلك إلا بالشكل"[٣].

وهذا جدول يشرح أمثلة ابن درستويه:

قبل الحذف	بعد الحذف	الإيضـــاح
لالله	لله	لام دخلت على ألف بعدها لامان
لالليل	للّيل	
لاللذي	للّذي	
لاللتي	للّتي	
لاللذّين	للذَين	
لاللتَين	للتين	

(١) ابن الدهان، باب الهجاء، ص ١٣.

(٢) ابن قتيبة، أدب الكاتب، ص ٢٣٩- ٢٤٠.

(٣) ابن درستويه، كتاب الكتاب، ص ٧٠.

١/ث: ما حذف لاجتماع ما كأنه أشباه في كلمتين

١/ث- ١ حذف الألف:

قال ابن درستويه: "ومما يشبه باجتماع الأمثال في كلمة وإن كان في كلمتين فيجري مجرى ذلك في الحذف كل كلمة كانت في أولها ألفان ولحقتها همزة الاستفهام مثل: أآمنتم له قبل أن آذن لكم، وقولك: أآمر أنت أم ناه، وأآخذ أنت أم معط. ولا يكتب ذلك إلا بألفين، ومنه كلمة أولها ألف وصل ولحقتها همزة الاستفهام فحذفت الصلة كما تقدم تفسيره في باب الهمزة"[1].

وهذا جدول يبين أمثلة ابن درستويه:

قبل الحذف	بعد الحذف	الإيضـــــاح
أأامنتم	أآمنتم	همزة استفهام دخلت على همزة بعدها ألف منقلبة
أأامر أأاخذ	أآمر أآخذ	همزة استفهام دخلت على همزة بعدها ألف زائدة

والمتأمل في هذه الأمثلة يجد أنها من قبيل حذف الألف لاجتماع ألفين لا ثلاثة لأن الحذف سابق على دخول همزة الاستفهام.

أما دخول همزة الاستفهام على كلمة تبدأ بهمزة وصل فمثاله:

أ+ انطلق ← أنطلق

(١) ابن درستويه، كتاب الكتاب، ، ص ٧١.

١ /ث- ٢ حذف ألف حرف النداء:

قال ابن درستويه: "ومنه حرف النداء فإنه يحذف ألفه إذا وقعت بعدها كلمة أولها همزة قطع وتخلفها صورة الهمزة مكانها كقوله: ياأبت[١]لا تعبد الشيطان ، وكقولهم: يأمتا ويأُخيّ ويأخي بالتصغير والتكبير وياؤلا ويأيها الرجل ويأيتها المرأة"[٢].

وهذا جدول يشرح أمثلة ابن درستويه:

قبل الحذف	بعد الحذف	الإيضـــاح
يا أبت	يأبت	
يا أمتا	يأمتا	ألف حرف النداء بعده همزة
يا أخيّ	يأخي	
يا أخي	يأخي	
يا أولا	يأولا	

١ /ث- ٣ حذف همزة الوصل بعد حرف النداء

قال ابن درستويه: "وإن وقعت بعدها ألف وصل أثبتت ألف (يا) وحذف ألف الوصل لأن الزائد بالحذف أولى كقولك: يا بن الأكرمين ويامرأة فلان.

وكقوله: (ألا ياسجدوا لله)، وكقولك: يالله في لغة من وصل[٣]. ولأنها تسقط من اللفظ أيضا كقول الراجز:

(١) هكذا في المطبوع ولعلها الصورة قبل الحذف أما بعد الحذف (يأبت).

(٢) ابن درستويه، كتاب الكتاب، ص ٧١.

(٣) ذكر سيبويه أن الاسم المحلى بـ (أل) لا ينادى واستثنى من ذلك لفظ الجلالة (الله)؛ لملازمتها له كأنها جزء منه فهي خلف من الهمزة المحذوفة، الكتاب، ص ١٩٥. وقال ابن جني: "إلا أنهم قالوا: يا الله، اغفر لي - بقطع الهمزة ووصلها- فجاء هذا في اسم الله تعالى خاصة، لكثرة استعماله، ولان الألف واللام صارتا فيه بدلا من همزة (إلاه) في الأصل"، اللمع في العربية، تحقيق: فائز فارس (دار الكتب الثقافية/ الكويت، ١٩٧٢)، ص ١١٢.

إني إذا ما لمم ألـمّا   أقول ياللهمّ ياللهمّا

ومن ذلك قول الشاعر:

من اجلك يالتي تيمت قلبي   وأنت بخيلة بالود عنّـي

وقول ذي الرمّة:

ألا يا سلمي يا دار ميّ على البلى   ولا زال منهلاً بجرعائك القطر

كأنهم فعلوا هذا لاجتماع الألفين مع كثرة الاستعمال، ولم يريدوا إجراء هذا مجرى همزة الاستفهام؛ لأن تلك على حرف واحد وهذه حرفان بمنزلة (ها) في التنبيه، فإذا حذف أحدهما خلفه الآخر ودلّ عليه"[١].

قبل الحذف	بعد الحذف	الإيضـــاح
يا ابن يا امرأة	يابن يامرأة	ألف (يا) دخلت على اسم يبدأ بهمزة وصل.
يا اسجدوا	ياسجدوا	ألف (يا) دخلت على فعل يبدأ بهمزة وصل.
يا الله يا اللهمّ يا التي	يالله ياللهمّ يالتي	ألف (يا) دخلت على اسم يبدأ بهمزة وصل (أل).
يا اسلمي	ياسلمي	ألف (يا) دخلت على فعل يبدأ بهمزة وصل.

١/ث- ٤ حذف ألف (ها) التنبيه

(١) ابن درستويه، كتاب الكتاب، ص ٧١- ٧٢.

قال ابن درستويه: "وتحذف الألف من حرف التنبيه إذا وقعت بعدها همزة من أول اسم مضمر أو ألف وصل لكثرة استعمال التنبيه معها ولاجتماع المثلين وذلك قولك: هأناذا هـآك [هكذا في النص المطبوع] في قول من مدّ وفتح، وهآنتم ولا هآلله ذا، والمحذوفة ههنا ألف الوصل"[١].

وهذا جدول يشرح أمثلة ابن درستويه:

قبل الحذف	بعد الحذف	الإيضـــــاح
ها أنا ذا ها أنتم	هأنا ذا هأنتم	ألف حرف التنبيه بعدها همزة ضمير
ها الله ذا	هألله ذا	ألف حرف التنبيه بعدها همزة وصل

١/ث- ٥ حذف صورة الهمزة من (أن) في (لئلا)

علل ابن الحاجب هذا الحذف بغير علة منها كراهة صوره؛ أي لو كتب على هذه الصورة (لأ لا)[٢].

١/ج: ما حذف شذوذًا تشبيهًا باجتماع الأشباه

ذكر ابن درستويه طائفة من الألفاظ حذف منها على جهة الشذوذ إذ لا نظير لذلك الحذف، ومن ذلك:

- الاسمان: إله، و(الله)، قال ابن درستويه: "ألف إله التي بعد اللام إنما هو في اللفظ (إلاه) كما ترى، وكذلك نفعل إذا لحق الاسم الألف واللام فيكتب (الله) وهو في اللفظ (اللاه)"[٣].

- (العالمين)، قال ابن درستويه: "ومنه ألف العلمين التي بعد العين، وإنما فعل ذلك لما كان في أول الاسم ألف ولام وفي آخره واو ونون فطال وكثر استعماله مع ذلك حتى عرف، وقاربت

(١) ابن درستويه، كتاب الكتاب، ص ٧٢.

(٢) الرضي، شرح الشافية، ٣/٣٢٤.

(٣) ابن درستويه، كتاب الكتاب، ص ٧٢- ٧٣.

الألف اللام في الصورة وكثرت الأشباه فيه ولم يلبس حين حذف.... وعلى هذا القياس حذف من كل صفة كثيرة الاستعمال من أسماء الفاعلين إذا اجتمع فيها ما اجتمع في العالمين كالصلحين وهو شاذ لا يقاس عليه"[١].

- (السماوات)، قال ابن درستويه: "وقد كتبوا: السموات بحذف الألف وهي أبعد لأن بين الألفين واوًا وإن كان في أولها ألف التعريف، وفي آخرها علامة الجمع"[٢].

- (الملائكة): وعلى هذا حذفوا الألف من الملئكة بعد اللام لأنها جمع أيضًا وفي آخرها تأنيث وكثر استعمالها"[٣].

- (السلام): وكذلك (سلم عليك) في صدور الكتب؛ و(السلم عليك) لكثرة الاستعمال، وأن الألف كاللام في الصورة فحذفت في التحية"[٤].

- (الثلاثاء): قال ابن درستويه "ومما أجري هذا المجرى من أسماء الأيام: الثلثاء، لكثرة الألفات واللامات فيه مع اجتماع علامة التعريف والتأنيث فحذفت منه الألف التي بين اللام والثاء[٥].

- (الآلاف)، قال ابن درستويه: "ومن ذلك حذف الألف (الآلاف) جمع ألف، إذ كان العدد مضافًا إليها؛ لأن ما قبل العدد يوضح المعنى، وذلك ثلثة ألف وأربعة ألف إلى العشرة. فإن لم يضف إليها العدد ثبتت فيها الألف واللام وكتبت: هي الآلاف التي تعرف، وهذه الافك لئلا تلبس بالواحد"[٦].

---

(١) ابن درستويه، كتاب الكتاب، ص ٧٣.

(٢) ابن درستويه، كتاب الكتاب، ص ٧٣.

(٣) السابق، ص.ن.

(٤) السابق، ص.ن.

(٥) السابق، ص.ن.

(٦) ابن درستويه، كتاب الكتاب، ص ٧٣.

- (ثلاث/ثلاثة، ثلاثون): قال ابن درستويه: "ومنه (ثلث) في العدد إذا أضيفت إلى المعدود حذف منها الألف فكتب (ثلث نسوة وثلثمائة)؛ لأن ما بعدها يوضحها، فإن أفردت أثبتت الألف لئلا تشبه (الثلث) الذي هو بعض الشيء.... وإن كانت صفة حذفت أيضا كقولك: النسوة الثلث والقوى الثلث. فأما (ثلثة) فحذف منها الألف مفردة ومضافة، وكذلك (ثلثون)؛ لأن في لفظها علامة تأنيث وجمع، وإنما حذفوا ذلك لكثرة استعمال العدد وكراهية اجتماع ما أشبه المثلين مع أن معناه معروف"[١]. وهذا جدول يشرح الأمثلة السابقة:

قبل الحذف	بعد الحذف	الإيضـــاح
إلاه	إله	ألف بعد همزة قطع ولام.
اللاه	الله	ألف بعد لامين وهمزة وصل.
العالمين الصالحين	العلمين الصلحين	ألف بين (أل) ولام.
السماوات	السموات	ألف بعدها ألف مفصولة عنها بحرف.
الملائكة	الملئكة	ألف بين لام وهمزة.
سلام عليك السلام عليك	سلم عليك السلم عليك	ألف بعد لام.
الثلاثاء	الثلثاء	ألف بعد لام وبعدها ألف.
الآلاف	الآلف	ألف بعد لام وألف.
ثلاث ثلاثة ثلاثون	ثلث ثلثة ثلثون	ألف بعد لام.

(١) ابن درستويه، كتاب الكتاب، ص ٧٤.

٢/: حذف الواو

٢/أ: حذف إحدى الواوين

وعلى نحو ما كره اجتماع الألفات في الخط كره أيضًا اجتماع الواوات، سواء كانت واوات في اللفظ، أم إحداها رمز للهمزة، قال ابن السراج: "فأما الواو فنحو: مقروء، وكان الأصل أن يكتب بواوين ولكن كره لاجتماع الصورتين"(١). وعند الإضافة إلى ضمير "قلت في مقروء: هذا مقرؤك، ومقرؤه، وتكتب بواو واحدة كما كتبت قبل الإضافة"(٢). ومثّل له ابن درستويه في قوله: "وأما إحدى الواوين في مثل: داود، وطاوس ومؤنة وشؤن ورؤس ومسؤل وشاؤا وجاؤا جميعًا، وهم يجيئون، ويسيئون(٣) ويقرؤن ويستون ويجتون وهم مجتون ولم يستوا؛ حذفوا كل ذلك لاجتماع الواوين وانضمام إحداهما"(٤). وذكر ابن السراج أن الأقيس في حذف إحدى الواوين إذا ضمت الواو الأولى، وذكر أن منهم من يكتب نحو الأمثلة المذكورة بواوين(٥). وذكر أنهم أوجبوا الكتابة بواوين إذا انفتحت الواو الأولى، نحو: احتوَوا واستوَوا، واكتوَوا(٦)، وعلل ذلك بقوله: "وإنما فعلوا ذلك لأن بين الواوين حرفًا قد سقط وهو الألف، كان الأصل: احتوى واستوى، واكتوى، فلما دخلت الواو حذفت الألف، فلهذا جمعوا بين الواوين"(٧). وذكر ابن درستويه مواضع يجمع فيها بين الواوين وعلل ذلك(٨).

---

(١) ابن السراج، كتاب الخط: ١١٨.

(٢) السابق: ١١٨- ١١٩.

(٣) هكذا في المطبوع ولعلها: يجيؤن، ويسيؤن. وقد نسبه على خطأ بعض الكاتبين أبو تراب الظاهري، انظر: لجام الأقلام (ط١، تهامةجدة، ١٩٨٣)، ص ١٦. وانظر: ص ٢٤ وفيه نقل نص تخطئة الأمير في حاشيته على المغني لمن يكتب الهمزة ياء مثل (مسئول).

(٤) ابن درستويه، كتاب الكتاب: ٦٧.

(٥) ابن السراج، كتاب الخط: ١٢٧.

(٦) السابق، ص.ن.

(٧) السابق، ص.ن.

(٨) ابن درستويه، كتاب الكتاب: ٦٧.

وهذا جدول بتفصيل ما أجمله ابن درستويه :

قبل الحذف	بعد الحذف	الإيضــــاح
داوود طاووس	داود طاوس	الاسم المتضمن واوين متجاورتين
مؤونة شؤون رؤوس مسؤول	مؤنة شؤن رؤس مسؤل	الاسم فيه همزة مضمونة بعدها واو
شاؤوا جاؤوا يجيؤون يسيؤون	شاؤا جاؤا يجيؤن يسيؤن	الفعل مهموز اللام مسند لواو الجماعة
يقرؤون يجتوون	يقرؤن يجتون	فعل لفيف عينه واو مسند لواو الجماعة
مجتوون	مجتون	جمع مذكر سالم لمنقوص لامه ياء
لم يستووا	لم يستوا	فعل لفيف عينه واو مسند لواو الجماعة

والتقت الأمثال في هذا الجدول إما بسبب أن الهمزة رسمت على واو لأنها تؤول إلى الواو عند التسهيل وجاء بعدها واو ، وهذا في مثل رؤوس ، وإما لأن الكلمة بنيت على تجاور واوين مثل :

داوود، وإما لأن الكلمة حذف منها حرف لالتقاء الساكنين فتجاورت واوان بعد حذف ما كان حائلا بينهما مثل: يستوي+ون ← يستوون ← يستون

وذكر ابن السراج أنهم اختلفوا في شؤون ورؤوس فكتبه بعضهم بواو واحدة وبعضهم بواوين[١].

٢/ب: حذف إحدى ثلاث الواوات

مثّل له ابن درستويه بقوله: "ومثل الواوات في الموؤدة ويسوؤن وجوههم وينوؤن بالأعباء"[٢].

قبل الحذف	بعد الحذف	الإيضـــاح
الموؤودة	الموؤدة	اسم على (مفعول) فاؤه واو وعينه همزة
يسوؤون	يسوؤن	فعل عينه واو ولامه همزة مسند لواو الجماعة
ينوؤون	ينوؤن	

٣/: حذف الياء

٣/أ: حذف إحدى الياءين

أشار الرضي إلى أن الأكثر في الياء أنها لا تحذف؛ لأن صورتها ليست مستقلة كالألف أو الواو وبيّن أن هذا هو معنى قول ابن الحاجب أن الياء قد تكتب[٣]. ومع هذا نجدهم قد يحذفون الياء كراهة اجتماع المثلين. قال ابن السراج عن كتابة الهمزة: "وكذلك التي قبلها ياء ساكنة تكتبها ياء واحدة نحو: النشئ لئلا يجمع بين صورتين، لأن الذين يخففون يقولون: النشئ[٤]، فيبدلون"[٥].

---

(١)ابن السراج، كتاب الخط: ١٢٠.

(٢) ابن درستويه، كتاب الكتاب، ص ٦٩.

(٣) الرضي، شرح الكافية، ٣: ٣٢٤.

(٤) كذا في المطبوع ولعل صوابه: النشي.

(٥) ابن السراج، كتاب الخط: ١١٨.

فالأصل في كتابة الكلمة إذن: النشيئ فإذا سهلت الهمزة صارت: النشيي؛ ولذلك حذفت الياء. وقال ابن السراج: "ويكتب مثل: جائي، وشائي بياء، وتجعل الياء بدلاً من الهمزة، لئلا يجمع بين شكلين"[١].

وقد مثّل له ابن درستويه في قوله: "وإحدى اليائين في مثل: الجائي، واللائي والمقرئين والمستهزئين للجميع تحذف لما قلنا"[٢].

وذكر مواقع أخرى يبقى فيها على اجتماع اليائين وعلل لذلك كله[٣]. وذكر ابن السراج اختلافهم في (لئيم، ورئيس) فكتبه بعضهم بياء واحدة وكتبه بعضهم بيائين[٤].

وهذا جدول يوضح أمثلة ابن درستويه:

قبل الحذف	بعد الحذف	الإيضـــاح
الجائي	الجائ	المنقوص قبله همزة مكسورة
اللائي	اللائ	اسم منته بياء مد قبلها همزة مكسورة
المقرئين المستهزئين	المقرءين المستهزءين	جمع مذكر سالم غير مرفوع لمفرد منته بهمزة مسبوقة بكسرة

٣/ب: حذف إحدى ثلاث الياءات

مثل له ابن درستويه في قوله: "ومثل الياءات في الياءات في النبيين والعليين وتجئين وتفئين"[٥].

---

(١) ابن السراج، كتاب الخط: ١٢٠.

(٢) ابن درستويه، كتاب الكتاب، ص ٦٨. ولعل الأمثلة هنا قبل حذف الياء.

(٣) ابن درستويه، كتاب الكتاب، ص ٦٨.

(٤) ابن السراج، كتاب الخط ١٢٠- ١٢١.

(٥) ابن درستويه، كتاب الكتاب، ص ٦٩.

ويبين هذا الجدول أمثلة ابن درستويه :

قبل الحذف	بعد الحذف	الإيضـــاح
النبيين العليين	النبيّين العليّين	جمع مذكر سالم منصوب مفرده منته بياء مشددة
تجيئين	تجئين	فعل أجوف يائي مهموز اللام مسند لياء مخاطبة

والحق أن المثالين الأول والثاني لا يعدان من قبيل حذف الياء لاجتماع ثلاث ياءات إذ الحذف سابق على وجود الياء الثالثة ؛ فالياء تحذف في حال الرفع ، والسبب في الحذف هو الإدغام الذي يكتفى فيه برسم حرف واحد للصوتين المثلين المدغمين في كلمة واحدة.

الطريقة الثانية: تغير صورة ا رف

١ : كتابة الهمزة واوًا

من وسائل التخلص من اجتماع الألفين خطًّا ما أورده ابن السراج : "فإذا قالوا : ياوخي كتبوه بواو لأنهم لم يجمعوا بين ألفين"[(١)].

٢ : كتابة الياء ألفًا مشالة :

تكتب الألف إن كانت رابعة فأكثر ياءً، قال النحاس : "فإن كان هذا يجاوز ثلاثة أحرف كتب بالياء فيما جاوز ثلاثة أحرف ، لأن الياء أخف من الواو ، فلما زاد على ثلاثة أحرف ثقل فحملوه على الأخف ، وقيل لأنه يرجع في المستقبل إلى الياء ، وكذلك كتبوا : "يُغْزى" بالياء اتباعًا للماضي

(١) ابن السراج ، كتاب الخط : ١٢٨.

على هذا القول، وعلى القول الآخر لأنه قد جاوز الثلاثة"[١] ؛ ولكن يستثنى من تلك القاعدة الجامعة التي فصّلها النحاس الألف التي تسبقها الياء، فإنهم لا يكتبونها بالياء ؛ وذلك تجنبًا لاجتماع الياءات في الخط، قال النحاس: "ومما أجمعوا عليه مما كتب بالألف، وإن كان من ذوات الياء في موضع ما كان قبل آخره ياء كراهة الجمع بين ياءين، من ذلك نحو: (خطايا وزوايا) إذا كانت جمع خطيئة"[٢].

ويصار إلى التخلص من المتماثلات ما لم يحدث لبسًا، فإن أحدث لبسًا التزم بالرسم الممثل للقاعدة العامة، ومثال هذا رسم العلم (يحيى) فقد كتبوه بالياء إذا كان علمًا فجمعوا بين يائين[٣]، وهو يجعل هذا قاعدة، فما انتهى بألف قبلها ياء يكتب بالألف المشالة، فإن نقل للعلمية كتب بالياء، "قال أبو جعفر: والقياس في هذا مستمر أنك إذا سميت بـ(يحيى) أو بـ(خطايا) أو بـ(زوايا) كتبت هذا كله بالياء، وجمعت بين يائين فرقًا بين التسمية وغيرها. فإن قلت: فلان يحيا حياة طيبة، كتبته بالألف لا غير"[٤]. والحقيقة أنه لا لبس بين العلم وما ليس بعلم فالسياق كفيل بالتفريق بينهما.

خا ة

تبين لنا من استعراض المتماثلات الخطّيّة أنّ علة وجودها مردّه إلى أمرين، أما أحدهما فهو التماثل الصوتي في الكلمة الواحدة أو الكلمتين المتجاورتين، والآخر ازدواجيّة الرمز الخطّيّ ؛ إذ جعلت العربية الألف والواو والياء رموزًا للمدود والصوامت. ورأينا أن موقف الكتّاب مختلف فمنهم من احتمل اجتماع المتماثلات الخطّيّة، ومنهم من تخلص منه وإن أدّى هذا إلى اللبس، على أن قاعدة التخلص لم تكن مطّردة.

---

(١) النحاس، صناعة الكتّاب، ص ١٣٤.

(٢) السابق، ص ١٣٥.

(٣) السابق، ص.ن.

(٤) السابق، ص١٣٦.

ونجد أن كتب الإملاء الحديث استمرت في نقل ما ورد عند القدماء؛ لذلك تعددت أشكال الكتابة.

أما مجمع اللغة العربية فله غير قرار يتعلق بالهمزة، الأول في ١٥/١/١٩٦٠م (الدورات ١-٢٨)، ويتبين من هذا القرار أن المجمع لم يتابع تجنب بعض المتماثلات الخطية سعيًا منه إلى تسهيل كتابة الهمزة، من ذلك كتابة الكلمات: قرؤوا، شؤون، يبدؤون. ولكن المجمع في قراره الثاني في الدورة (٤٦) قرر أنه إذا ترتب على كتابة الهمزة توالي الأمثال كتبت الهمزة على السطر، مثل: يتساءلون، رءوس، إلا أن يوصل ما قبلها بما بعدها فإنها تكتب على نبرة مثل: بطئًا، شئون، مسئول.

وقد تنبه بعض المهتمين بقضية الإملاء إلى المشكلة التي تواجه الكتابة العربية فناقشوا المسألة واقترحوا بعض الاقتراحات المفيدة، ولعل من الخير أن نذكر هنا ما يتصل بالتخلص من المتماثلات خطًّا.

عقد عبدالعليم إبراهيم في كتابه (الإملاء والترقيم في الكتابة العربية) فصلا ناقش فيه قواعد الإملاء. ومنها كتابة الكلمة المبدوءة بهمزة فهي ترسم على ألف وإن اتصل بالكلمة حرف كالواو أو السين، أما إن دخلت عليها همزة الاستفهام عدَّت همزتها عندهم متوسطة؛ ولذلك يتخلص من ألفها وترسم حسب حركتها فقد ترسم واوًا أو ياءً. وهو يتعجب من هذه القاعدة ويتساءل عن الفرق بين همزة الاستفهام وغيرها من الحروف[1]، وتساؤله إنكاري لا استفهامي؛ إذ لعله يعلم أن التماثل الخطي هو علة التخلص من الألف. ويبين بعد ذلك ما يتولد من صعوبات هذا الإجراء منها إكثار القواعد، وإرباك المتعلم لتغير صورة الكلمة، والخلط بين الكلمات الصرفية؛ إذ قد يعتقد المتعلم أن همزة الاستفهام جزء من الكلمة التي دخلت عليها. وبين أن الصعوبة تتضح إذا كان في الكلمة أكثر

---

(١) عبدالعليم إبراهيم، الإملاء والترقيم في الكتابة العربية (مكتبة غريب/ القاهرة، ١٩٧٥م) ص١١٣.

من واو مثل (أأُؤَوّل ← أؤُؤَوّل)[١]. وينتهي إلى إيثار اطراد القاعدة وعدّ همزة الاستفهام كغيرها لا تغير ما دخلت عليه من همز[٢]. وهو مصيب في مذهبه فإن الفرار من تماثل خطّيّ أدى إلى تماثل آخر في المثال المذكور.

ومثل ذلك دخول (لام الجر) على (أنْ) فالقاعدة أن تكتب (لئلا)، ودخول (لام القسم) على (إنْ الشرطية) فهي تكتب (لئن). ويرى أن تكتب الكلمتان هكذا: (لألاّ)، (لإنْ). ويؤيد مذهبه بأنه لا فرق بين (فإنْ) و(لئنْ)، ولا بين (إنّ) و(إنْ)؛ ومع ذلك لم تكتب (إنّ) بعد اللام هكذا: (لِئنّ) كما كتبت (إنْ)، بل كتبت (لإنّ)[٣].

والحق أنه يجب التفريق؛ فالأدوات المركبة تختلف عن الأسماء والأفعال التي يعرض لها دخول الحروف عليها؛ ذلك أن المتعلم قد يميل إلى عدّ الأداة كلمة واحدة لفظًا وخطًّا، وقد يعسر عليه تحليل أداة مثل (لئن) إلى (لام جر) و(إن). ولذلك قد يحسن معاملة الهمزة على أنها داخلية.

ويعالج الهمزة المتطرفة المفتوح ما قبلها، فقد يسند الفعل المهموز إلى ألف الاثنين فلا يتغير رسم الهمزة مثل: يبدأ ← يبدأان. أما الأسماء إذا ثنيت اكتفي بألف عليها رمز المد، مثل: مبدأ ← مبدأان ← مبدآن. ويتساءل مستنكرًا عن الفرق لفظًا بين: يبدأان، ومبدآن[٤]. ولعله يعلم أنهم فرقوا بين ما هو فاعل وبين ما هو علامة إعرابية؛ فهم حكموا أمرًا آخر غير اللفظ. وهو يرى تعميم القاعدة فيقال: يبدأان، مبدأان.

أما إن توالت وسط الكلمة همزة فألف فإنه يرى حذف الألف والإشارة إليها برمز المد مثل: (مأاكل ← مآكل) وقد وهم فعد من ذلك (منشآت) والصواب على شرطه أن ترسم (منشأات)[٥].

---

(١) إبراهيم، الإملاء والترقيم، ص١١٣- ١١٤.

(٢) السابق، ص ١١٤.

(٣) السابق، ١١٥.

(٤) السابق، ١١٦.

(٥) السابق، ص.ن.

ويجمل رأيه في الهمزة آخر الكلمة بقوله: "ويفهم من هذا الاقتراح أنني أميل إلى عدم اعتبار الهمزة في آخر الفعل المسند إلى ضمير، أو في آخر الاسم المتصلة به علامات التثنية أو الجمع، همزة متوسطة، بل يدور اقتراحي حول اعتبارها همزة متطرفة، تظل على صورتها قبل الضمائر وقبل علامات العدد"[١]. ولذلك يدعو إلى كتابة الفعل (يقرأ) دون تغيير عند إسناده إلى واو الجماعة أو ياء المخاطبة، فيكتب: (يقرأون، وتقرأين). ولكنه يخالف قاعدته باستثناء ما أضيف إلى ياء المتكلم فهو يرى أن تكتب همزته بالياء. مثل (مبدأي > مبدئي). وحجته ملازمة الهمزة للكسر[٢]. وهي حجّة ضعيفة.

أما الهمزة المضمومة بعدها واو مدّ فيرى الإبقاء على الأصل فيها أي أن ترسم على واو وتليها واو المد، مثل: رؤوس[٣]. فهو لا يرى بأسًا في الجمع بين المتماثلين خطًّا.

أما الهمزة المتطرفة فلا يرى بأسًا من كتابة الألف بعدها وإن سبقت بألف، مثل: (سماءًا)، ولا يرى بأسًا من رسم ألف بعد همزة منصوبة على ألف، مثل: (خطأًا)[٤].

ويقف على الحروف المحذوفة فيرى الإبقاء على الألف في: هذا وهذه وهذان وهذين وذلك وهؤلاء، وألف لكن والسموات وإله، وألف يا النداء في يأيها ويأيتها ويأهل ويأحمد وأمثاله[٥]. والحق أنه يجب التفريق بين هذه الألفات فمنها ما ورد في متلازمات محفوظة الرسم وهي قليلة، ومن اليسير رسمها بدون ألف. ومنها ما ليس من قبيل التلازم مثل ألف (يا) فليس من الخير حذفها. ومثلها (السموات) يحسن رسمها: (السماوات).

---

(١) إبراهيم، الإملاء والترقيم، ١١٨.

(٢) السابق، ١١٩.

(٣) السابق، ١٢١.

(٤) السابق، ١٢٢.

(٥) السابق، ١٢٣.

وأخيرًا أقول إني مع الأستاذ عبدالعليم في كثير من مذاهبه وإن خالفته في بعض ما ذهب إليه ، والذي أراه أنّ الكتابة يجب أن تصور الملفوظ ما أمكن ذلك ، ولا بأس عندي من التماثل الخطّيّ إن كان في ذلك خدمة لتسهيل الكتابة. ولذلك أرى :

١)أن يكتب المتماثلان المدغمان بحرف واحد مميز بالشدة ، مثل : عدّ.

٢)يحذف من المتماثلات الخطية ما يلبس إثباته ، مثل : لـ+البيت ← للبيت.

٣)يحذف ما توالى من اللامات أو الألفات فوق اثنتين ، لـ+ الليل ←لالليل ← لليل.

٤)تكتب أمثال رؤوس وشؤون بواوين.

٥)تكتب الكلمات التي تبدأ أو تنتهي بهمزة دون احتساب ما اتصل بها قبلها أو بعدها ، فالكلمتان : (أُخذ ، قرأ) تكتبان على النحو الذي كتبتا به قبل اللاصقة ، مثل :

أ+ أُخذ ← أأُخذ؟

قرأ ← قرأوا

أبناء ← جاء أبناءُكم ، رأيت أبناءَكم ، مررت بأبناءِكم.

خطأ ← خطأان / خطأين

جزء ← جزءان/ جزءين

مبدأ+ي ← مبدأي

وقد يجابه مثل هذا القول بشيء من الرفض والإنكار بسبب إلف الأوضاع السابقة ، وبحجة أن هيئة كتابة الكلمة في نهايتها ذات علاقة بالموقع الإعرابي ؛ لأنها تصور حال الاسم من حيث الرفع والنصب والجر ، وهذا قول صحيح ولكن الكتابة في المقام الأول اصطلاحية يمكن أن نغير من مفردات ما تواضعنا عليه بالكيفية التي نراها تخدم غرضنا من استعمال اللغة وتعلمها وتعليمها وقد شهدت مسيرة الرسم العربي سلسلة من التغيرات التي صبت في مصلحة هذا الرسم وهذا يقوي العزم نحو المضي في سبيل الإصلاح في الرسم ، إذ المشاهد أن كثيرًا من أخطاء الناس في استعمال اللغة إنما مردها

إلى الرسم فغياب الحركات من الرسم يكاد يذهب من استعمال الناس البناء (يُفْعِل) إذ كثير استعمالهم هذا البناء مفتوح ياء المضارعة وهذا يرتد به من الزيادة إلى التجرد. وأما علامات الإعراب فهي الحركات أو ما ناب عنها وليست هيئة الهمزة ويمكن أن نستأنس بأصل رسم الهمزة في وسط الكلمة حين رسمت في هيئتها الغالبة على الحرف الذي يؤول إليه تسهيلا فإن تسهل إلى واو رسمت على واو وإن تسهل إلى ألف رسمت على ألف وإن تسهل إلى ياء رسمت على نبرة ، أما في مثل أبناء فإنها لا تسهل مرفوعة إلى الواو ولا إلى الألف منصوبة ولا إلى الياء مجرورة ؛ ولذلك من الخير أن تبقى على شكلها قبل إلصاق شيء بها.



ا صادر وا راجع

إبراهيم ؛ عبدالعليم :

الإملاء والترقيم في الكتابة العربية (مكتبة غريب/ القاهرة، ١٩٧٥م).

ابن بابشاذ ؛ طاهر بن أحمد (٤٦٩هـ) :

شرح المقدمة المحسبة، تحقيق : خالد عبدالكريم (ط١ ، المطبعة العصرية/ الكويت، ١٩٧٦م.)

بعلبكي ؛ رمزي :

الكتابة العربية والسامية (ط١ ، دار العلم للملايين/ بيروت ، ١٩٨١م).

ابن جني ؛ أبو الفتح عثمان(٣٩٢هـ) :

اللمع في العربية ، تحقيق : فائز فارس (دار الكتب الثقافية/ الكويت ، ١٩٧٢).

الحمد ؛ غانم قدوري :

رسم المصحف : دراسة لغوية تاريخية (ط١/ العراق ، ١٩٨٢م).

الداني ؛ أبوعمرو عثمان بن سعيد(٤٤٤هـ) :

المقنع في معرفة مرسوم مصاحف أهل الأمصار مع كتاب النقط ، تحقيق : محمد أحمد دهمان (ط١ ، دار الفكر/ دمشق ، ١٩٨٣م)

ابن درستويه ؛ عبدالله بن جعفر (٣٤٧هـ) :

كتاب الكتاب ، تحقيق : إبراهيم السامرائي وعبدالحسين الفتلي (ط١ ، دار الكتب الثقافية/ الكويت ، ١٩٧٧م.)

ابن الدهان ؛ أبومحمد سعيد بن المبارك(٥٦٩هـ) :

باب الهجاء ، تحقيق : فائز فارس (ط١ : مؤسسة الرسالة ودار الأمل/بيروت ، ١٩٨٦م.)

الرضي ؛ محمد بن الحسن الاستراباذي(٦٨٦هـ) :

شرح الشافية ، عناية : محمد نور الحسن ومحمد الزفزاف ومحمد محيي الدين عبدالحميد (دار الكتب العلمية/ بيروت، ١٩٧٥م.) .

ابن السراج ؛ أبوبكر محمد بن السري (٣١٦هـ) :

كتاب الخط ، تحقيق : عبدالحسين محمد ، مجلة المورد (وزارة الإعلام/بغداد، ١٩٧٦)ج٥ ،ع٣.

سيبويه ؛ أبوبشر عمرو بن قنبر(١٨٠هـ) :

الكتاب ، تحقيق : عبدالسلام محمد هارون (الهيئة المصرية العامة للكتاب/ القاهرة ، ١٩٦٦ .)

الشمسان ، أبوأوس إبراهيم :

دروس في علم الصرف (ط١ ، مكتبة الرشد/ الرياض ، ١٩٩٧م.)

الظاهري ؛ أبو تراب :

لجام الأقلام (ط١ ، تهامة/ جدة ، ١٩٨٢م)

الفارسي ؛أبوعلي الحسن بن أحمد(٣٩٩هـ) :

التكملة ، تحقيق : حسن شاذلي فرهود (ط١ ، جامعة الرياض/ الرياض ، ١٩٨١م.

ابن قتيبة ؛ أبومحمد عبدالله بن مسلم (٢٧٦هـ) :

أدب الكاتب ، تحقيق : ماكس قرونرت (مطبعة بريل/ ليدن ، ١٩٠٠م.)

ابن مالك ؛جمال الدين محمد(٦٧٢هـ) :

تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد ، تحقيق : محمد كامل بركات (دار الكاتب العربي للطباعة والنشر/ القاهرة ، ١٩٩٦٧م.)

النحاس ؛ أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل(٣٣٨هـ) :

صناعة الكتّاب ، تحقيق : بدر أحمد ضيف (ط١ ، دار العلوم العربية/ بيروت ، ١٩٩٠م.) .

من علماء العربية

محمد عبدالخالق عضيمة

١٣٢٨هـ-١٤٠٤هـ

أ. د. تركي بن سهو بن نزّال العُتيبي
الأستاذ في قسم النحو وفقه اللغة
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

الحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ، والصلاةُ والسَّلامُ على خيرِ المرسلينَ، أمَّا بعدُ:

فقد رغبَ إليَّ أخي وصديقي الوفيُّ الأستاذُ الدكتورُ / أبو أوسٍ إبراهيم الشَّمسان أن أسهمَ في الكتابِ المهدَى إلى الأستاذِ الجليلِ والعالمِ الفاضلِ الأستاذِ الدكتور حسن الشاذلي فرهود، فأجبتُ طلبَه، وكنتُ أزمعُ أن أعطيَه واحداً من النصوصِ التي حقَّقتُها، وعرضتُ النصَّ عليه، فاستحسنَه، لكنَّه ما لبثَ أن عادَ إليَّ وطلبَ أن تكونَ الكتابةُ عن أستاذي وشيخي الأستاذِ الدكتورِ الشيخ محمدِ عبدِالخالق عضيمة، فلم أستطعْ ردَّ رغبتِه، وإن كنتُ قد كبحتُ جماحَ النفسِ في الكتابةِ عن شيخي زمناً طويلاً، إلا أنَّني أمامَ هذه الرغبةِ الأكيدةِ من أخي أبي أوسٍ لم أجدْ مسوِّغاً للامتناعِ عنها وصادفَتْ هوىً في النفسِ، فعزمْتُ على الأمرِ، وتوكلْتُ على اللهِ، وقدَّمْتُ هذا المختصرَ، وتوخَّيْتُ فيه أن يضيءَ جانِباً مشرقاً من حياةِ الشيخِ، فعلاقتي به امتدَّتْ من عام ١٣٩٩هـ حتى توفَّاه اللهُ سبحانَه وتعالى، ولن أتحدَّثَ حديثاً شخصياً، وإنَّما جمعتُ بعضَ المهمِّ الذي يمكنُ توثيقُه، ويكونُ في تدوينِه تصويرٌ للجانبِ العلميِّ الرحبِ من حياةِ الشيخِ، وهناكَ أمورٌ كثيرةٌ، منها ما هو غيرُ مدوَّن، ومنها ما دوِّنَ ولم أتمكنْ من توثيقِه، فأعرضْتُ عن تقييدِهما في هذا المختصرِ، وربما أعودُ إلى ذلكَ في وقتٍ أوسعَ، ومجالٍ أرحبَ.

أشكرُ الأخَ الفاضلَ د. إبراهيمَ الشمسانَ على حسنِ ظنِّه بي؛ إذ حملنِي على الكتابةِ عن شيخِي، مهدىً إلى شيخٍ جليلٍ يستحقُّ الثناءَ والإشادةَ، فلهما منِّي جزيلُ الشكرِ، وعظيمُ الامتنانِ، والدعاءُ بأن يوفقَهما اللهُ ويمدَّ في عمريهما، وأن يزيدَهما من فضلِه.

وصلَّى اللهُ على سيِّدِنا ونبيِّنا محمَّدٍ وعلى آلِه وصحبِه وسلَّمَ.

* * *

سوفَ يكونُ الحديثُ عن الأستاذِ الدكتورِ / محمَّدِ عبدِالخالقِ عضيمة مقسَّماً على فقراتٍ، تتناولُ مختصراً عن حياتِه، وإليكَ ما دونت. وبالله التوفيق وعليه التكلان.

ا ه:

هو الأستاذُ الدكتورُ / محمّدُ بنُ عبدِالخالقِ بنِ عليٍّ بنِ عضيمة ؛ وكانَ – رحمَه اللهُ تعالى – يكتبُ اسمَه دائماً: محمدُ عبدِالخالقِ عضيمة، فيظنُّ من لا يعرفُ الشيخَ أنَّ اسمَه مركَّبٌ من محمدٍ وعبدِالخالقِ، كما جرَتْ عادةُ بعضِ المعاصرينَ من إضافةِ اسمِ محمَّدٍ إلى أسمائِهم تبرُّكاً، وكانَ الشيخُ يضيقُ بمن يكاتبُه باسمِ الشيخِ عبدِالخالقِ عضيمة، فيحذفُون محمَّداً ظنّاً منهم أنَّ هذا الأمرَ منطبقٌ عليه، - رحمَه اللهُ تعالى -.

مولده:

أشارَت الأوراقُ الرسميَّةُ إلى أنَّ الشيخَ ولدَ في تاريخِ ١/٤ /١٣٢٨هـ الموافق ١٥/١/١٩١٠م، وذكر معاصرُه ورفيقُ دربِه أستاذي د. أحمدُ كحيل أنَّه ولدَ في قريةِ (خبَّاطة) من قرى طنطا[(١)].

---

(١) انظر: مجلة كلية اللغة العربية؛ العددين ١٣، ١٤ ص ٧٥٣، وانظر أيضاً: إتمام الأعلام ٣٧٨.

وأشارَتِ الباحثةُ التي أعدَّتْ رسالة ماجستيرٍ عن الشيخ إلى أنَّها قريةٌ كانَتْ من أعمالِ مديريةِ الغربيةِ، وأنَّها الآنَ من قرى محافظةِ كفرِ الشّيخ[١].

تعلم الشيخ وبعض شيوخِه:

درسَ الشيخُ محمّدُ عبدِالخالق عضيمة – رحمَه اللهُ تعالى – في القريةِ، وحفظَ القرآنَ الكريمَ، وأتمَّ تعليمَه الأوليَّ فيها، وهو ما أهَّلَه للالتحاق بمعهدِ طنطا الأزهريِّ[٢] وأنهى الدراسة فيه عامَ ١٩٣٠م[٣].

بعدَها التحقَ بكليةِ اللغةِ العربيةِ في الأزهرِ، وتخرَّجَ فيها عامَ ١٩٣٤م[٤].

التحقَ بالدِّراساتِ العليا التي أنشئت في ذلكَ الوقتِ، وحصلَ على شهادةِ التخصُّصِ، وهي الماجستيرُ في الأعرافِ الأكاديميّةِ الآن عام ١٩٤٠م، وكانَ بحثُه بعنوانِ (المشترك في كلام العربِ).

حصلَ على العالميّةِ العاليةِ الدكتوراه (تخصص المادةِ) عام ١٩٤٣م، وكانَت رسالتُه بعنوانِ (أبو العباس المبرّدُ وأثرُه في علومِ العربيةِ).

لقد بذلَ جهداً كبيراً مضاعَفاً في هذه الرسالةِ غيرِ ما دوَّنَه فيها، فلم يدوِّنْ فيها إلا ما اقتضَتْه خطَّةُ البحثِ، أمَّا الجهدُ الآخرُ فيصوِّرُه معاصرُه د. كحيل فيقولُ: "وفي يومِ مناقشةِ الرسالةِ دخلَ إلى لجنةِ المناقشةِ يحملُ الرسالةَ وبعضَ المراجعِ، ودخلَ خلفَه أحدُ أقربائِه يحملُ حقيبةً كبيرةً، وفي أثناءِ تقديمِه للرسالةِ فتحَ الحقيبةَ، وأخرجَ منها لفائفَ البطاقاتِ، ووضعَها أمامَ اللجنةِ، وقالَ: هذه آراءُ المبرّدِ مستخرجةٌ من كتابِ المقتضبِ، وهذه آراؤه مستخرجةٌ من الكاملِ، وهذه آراؤه مستخرجةٌ من خزانةِ الأدبِ للبغداديِّ، وهذه آراءٌ يذهبُ فيها مذهبَ سيبويهِ مقرونةً بنصوصِ سيبويهِ، والحقُّ أنَّه بهرَ اللجنةَ؛ إذ لم ترَ طالباً قبلَه يعتمدُ على نفسِه، ويطّلعُ على هذه المراجعِ، وبعدَ مناقشةٍ طويلةٍ ظهرَ للجنةِ ذكاؤُه وسرعةُ بديهتِه وفهمِه لكلِّ جزئيةٍ من جزئياتِ

---

(١) انظر: الشيخ عضيمة وجهوده اللغوية ص٧. (رسالة ماجستير، كلية اللغة العربية - جامعة أم القرى).
(٢) انظر: مجلة كلية اللغة العربية؛ العددين ١٣، ١٤ ص ٧٥٣.
(٣) انظر: الشيخ عضيمة وجهوده اللغوية ص٧.
(٤)انظر: الشيخ عضيمة وجهوده اللغوية ص٧.

الرسالةِ، فتمنحُه اللجنةُ الشهادةَ العالمية (الدكتوراه) بدرجةِ ممتازٍ، وكانَ أوَّلَ من أخذَ درجة امتيازٍ"[١].

هذه شهادةُ د. أحمد حسن كحيل، الذي شهدَ المناقشة، ثم استضافَ الشيخَ عضيمة بعدها ؛ ليكون شريكه في سكنه، وقد حكى د. كحيل واقعاً متميِّزاً، آذن في وقتِه ببزوغ شمس عالمٍ جليلٍ، تحكي سيرتُه الرائعةُ مثلاً يحتذَى.

شيوخه:

قالَ د. أحمد كحيل – رحمَه الله تعالى -: "والتحقَ بكليةِ اللغةِ العربيةِ، وكانَ يحاضرُ في الكليةِ صفوةٌ من العلماءِ المبرِّزينَ في اللغةِ، مثلُ الشيخ إبراهيمَ الجبالي، والشيخ سليمان نوار والشيخ محمَّد محيي الدّينِ والأستاذِ أحمد نجاتي والأستاذِ عليٍّ الجارم، والدكتورِ عبدِالوهاب عزّام، فتلقَّى العلمَ عن هؤلاءِ الصفوةِ في النحوِ والصرفِ والأدبِ والتاريخ"[٢].

ومن شيوخه الذين ذكر د. عضيمة أنه قرأ عليهم الأستاذ محمد نور الحسن، وأشار إلى أنه كان يقرأ عليه في منزله[٣].

حياته الاجتماعية:

بعدَ حصولِ الشيخ على الشهادةِ العالميةِ أوفدَ إلى مكّة المكرمةِ، وبعدَ مدةٍ قصيرةٍ من إيفاده تزوّجَ بمصر، ورحلَ بزوجتِه إلى مكّة المكرمةِ.

أنجبَ الشيخُ ثمانيةً من الولدِ، ثلاثةُ أبناءٍ؛ هم: صفيُّ الدينِ وبه يكنى، فكنيةُ الشيخ أبو صفيٍّ، وأيمنُ والمعتزُّ باللهِ، وخمسُ بناتٍ؛ هنَّ: صفيةُ وسوسنُ وسعادُ وآياتُ وهناءُ.

---

(١) انظر: مجلة كلية اللغة العربية؛ العددين ١٣، ١٤ ص ٧٥٣.
(٢) مجلة كلية اللغة العربية العددين الثالث عشر والرابع عشر ٧٥٣.
(٣) انظر: الأستاذ محمود شاكر: كيف عرفته. للشيخ عضيمة (ضمن دراسات عربية وإسلامية مهداة إلى أبي فهر) ٤٥٣.

وقد عملَتْ ابنتُه د. صفيةُ في المستشفى المركزيِّ في الشميسيِّ بالرياضِ بعدَ وفاةِ والدِها بسنتين، وكانَ زوجُها يعملُ في مستشفى الأطفالِ بالسليمانيّةِ في الرياضِ أيضاً، إلى وقتٍ قريبٍ.

رحلات الشيخ:

كانَت أولُ رحلةٍ رحلَها الشيخُ إلى مكّة المكرَّمَةِ، وفيها بدأ العملَ في كتابِه: (دراساتٍ لأسلوبِ القرآنِ الكريمِ)، وكانَتْ في شهرِ صفرِ عامَ ١٣٦٦هـ، يناير عام ١٩٤٧م(١).

أمَّا الرحلةُ الثانيةُ فكانَتْ إلى ليبيا، إلى مركزِ الدراساتِ العليا في واحةِ جغبوب، وبقِيَ حتى قيامِ ثورةِ الفاتحِ من أيلول(٢).

أمَّا الرحلةُ الثالثةُ فكانَتْ إلى الرياضِ حتىّ توفَّاه اللهُ، وكانَتْ ما بينَ عامي ١٣٩٢هـ حتَّى عام ١٤٠٤هـ.

مؤلفات الشيخ:

أولاً: الكتب:

١- أبو العبَّاسِ المبرّدُ وأثرُه في علومِ العربيّةِ:

هذا هو العملُ الذي نالَ به درجة الدكتوراه، وقد طبعتْه مكتبةُ الرشدِ بعدَ وفاةِ الشيخِ – رحمَه اللهُ تعالى -، وقبلَ أن يعيدَ الشيخُ النظرَ فيه، ولم تتسنَّ مراجعتُه كما ينبغي، ولم تصنعْ له الفهارسُ التي كانَتْ من ديدنِ صاحبِ العملِ – رحمَه الله تعالى - .

ولا بدَّ هنا من الإشارة إلى أن هذا المطبوع يمثل جزءاً من الرسالة، ولم يكن يمثل الرسالة كلها، فقد أشرت سابقاً إلى كلام د. كحيل الذي وصف مناقشة أستاذي

(١) أشار إلى هذا في بحث دراسات لأسلوب القرآن الكريم. انظر:مجلة كلية اللغة العربية؛ العدد الخامس ص٨٧.
(٢) انظر: إتمام الأعلام ٣٧٨.

عضيمة لرسالة الدكتوراه، وذكر أن هناك آراءً للمبرِّد كثيرة كانت مادة هذه الرسالة مقفسمة إلى أنواع متعددة، وأنهالم تدون في المطبوع الذي قدمه للمناقشة، وطبع لاحقاً، ولذا ظهرت رغبة الشيخ – رحمه الله تعالى – في إعادة النظر في بحثه عن المبرِّد، وتأنيه في نشره.

٢- دراساتٌ لأسلوبِ القرآنِ الكريمِ:

وهو عملٌ علميٌّ ضخمٌ يقعُ في ثلاثةِ أقسامٍ في أحدَ عشرَ مجلّداً؛ قالَ عنه الأستاذُ محمود شاكر – رحمَه اللهُ تعالى -: "فماذا يقولُ القائلُ في عملٍ قامَ به فردٌ واحدٌ، لو قامَتْ عليه جماعةٌ لكانَ لها مفخرةٌ باقيةٌ ؟ فمنَ التواضعِ أن يسمَّى هذا العملُ الذي يعرضُه عليكَ هذا الكتابُ ((معجماً نحوياً صرفياً للقرآنِ العظيمِ)).

فمعلومٌ أنَّ جلَّ اعتمادِ المعاجمِ قائمٌ على الحصرِ والترتيبِ.

أمَّا هذا الكتابُ فالحصرُ والترتيبُ مجرَّدُ صورةٍ مخطَّطةٍ يعتمَدُ عليها.

أمَّا القاعدةُ العظمَى التي يقومُ عليها فهي معرفةٌ واسعةٌ مستوعبةٌ تامَّةٌ لدقائقِ علمِ النحوِ وعلمِ الصرفِ وعلمِ اختلافِ الأساليبِ"[١].

زمنُ تأليفِ الكتابِ:

إنَّ التأريخَ لهذا العملِ الكبيرِ يعطيكَ ميزةَ العملِ الدؤوبِ، وينبئُكَ عن عزمِ الرجلِ الذي لا يكلُّ ولا يملُّ، بل واصلَ عملَه طيلة هذه السنين، حتَّى تحقَّقَ له مبتغاه، وهو أمرٌ ليسَ صعباً على من عرفَ الشيخَ وتتبعَ آثارَه العلميَّة، يمكنُ هذا من خلالِ ما تحدَّثَ به الشيخُ عنه في مؤلفاتِه أو مقالاتِه، مما قالَه أو وعدَ به، وأرادَ الله سبحانه وتعالى أن يتمَّه له.

إنَّها مواقفُ إذا تدبّرَها العاقلُ أيقنَ بصدقِ الرجلِ في توجهه، وتوفيقِ اللهِ له.

وحتى يكونَ للتاريخِ الزمنيِّ قيمةٌ، فإنّني سوفَ أسجِّلُ هذه الظواهرَ التي مرَّ بها هذا العملُ حسب السنين مبتدئاً بها، حتى تكون الصورة التي مر بها العمل بها واضحة، منذُ كان فكرةً حتى نجزَ كتاباً ضخماً، ليكون مثالاً حياً على صدق الرجل وتوفيق الله سبحانه له.

---

(١) تصدير بقلم الأستاذ محمود شاكر؛ دراسات لأسلوب القرآن الكريم القسم الأول الصفحات جـ - د.

١٣٦٦هـ:

كانتِ البدايةُ لهذا العملِ، وفي مكةَ المكرّمةِ، بلدِ اللهِ الحرامِ، يقولُ الشيخُ – رحمَه اللهُ تعالى -: "قدمْنا مكةَ المكرَّمةَ في صفر سنة ١٣٦٦هـ يناير ١٩٤٧م، وتسلَّمْنا أعمالَنا ووجدتُني مكلَّفاً بدراسةِ كتابِ (الدروسِ النحويَّةِ) للأستاذِ حفني ناصفٍ وزملائِه، كنتُ أجلسُ في الحرمِ من العصرِ إلى العشاءِ، فرأيتُ أنَّه لا بدَّ لي من قراءةٍ تصلُني بمادّتي التي تخصَّصْتُ فيها، وانقطعْتُ لها، وإلا فقدْتُ كثيراً من معلوماتِ النحوِ، شأنُ كلِّ العلومِ النظريَّةِ، إذا لم يكنْ صاحبُها على صلةٍ بها بالقراءةِ فَقَدَ كثيراً من مسائلِها.

ومَرَّ بخاطري أنَّ كثيراً من النحويينَ ألَّفُوا كتبَهم بمكة:

أبو القاسمِ الزجاجيُّ ألَّفَ كتابَه (الجملَ) بمكة، وكانَ كلما انتهى من بابٍ طافَ حولَ البيتِ.

ابنُ هشامٍ ألفَ كتابَه (مغني اللبيبِ) لأولِ مرةٍ في مكة، ثمَّ فُقِدَ منه في منصرفِه إلى القاهرةِ، ولمَّا عادَ إلى مكَّةَ ثانيةً ألَّفه للمرَّةِ الثانيةِ.

لم يكن لديَّ تخطيطٌ عن دراسةٍ معيَّنةٍ، ولا كتابٍ معيَّنٍ، وإنما تمنيتُ أن تكونَ هذه الدراسةُ لها صلةٌ بالقرآنِ الكريمِ، ليكونَ ذلك أليقَ وأنسبَ بهذا الكتابِ المقدَّسِ.

خطرَ ببالي خاطرٌ، هو أن أنظرَ في استعمالِ القرآنِ لبعضِ حروفِ المعاني، فمثلاً (إلا) الاستثنائيةُ لها وجوهٌ كثيرةٌ في كلامِ العربِ، فهل استعملَ القرآنُ هذه الوجوهَ كلَّها أو بعضَها دونَ بعضٍ"[١].

من هنا مكاناً وزماناً بدأت فكرةُ هذا العملِ الموسوعيِّ، وبدأ صاحبُها في العملِ منذ ذلك التاريخِ.

١٣٧٥هـ:

يخبرُ الشيخُ أنّه ينوي إخراجَ كتابٍ يتناولُ دراسةَ أسلوبِ القرآنِ، بعد أن خطا خطواتٍ في هذا العملِ، واتضحَ الهدفُ عنده، وقرَّر أن تكونَ دراستُه للقرآنِ دراسةً تعتمدُ على الاستقراءِ، فيقولُ: "وفي النيَّةِ – إن كانَ في العمرِ بقيَّةٌ[٢] – أن أخرجَ كتاباً يتناولُ دراسةَ أسلوبِ القرآنِ الكريمِ دراسةً تعتمدُ على الاستقراءِ، أرجو اللهَ أن يوفِّقني في إتمامِه، ويعينَني على إخراجِه، إنَّه نعمَ المولى ونعمَ النصيرُ. ٢٢

(١) دراسات لأسلوب القرآن الكريم؛ مجلة كلية اللغة العربية العدد الخامس ٨٧.

(٢) كان هذا الكلام كما ترى في التاريخ المدوَّن عام ١٣٧٥ هـ، وعاش الشيخ بعده تسعة وعشرين عاماً، وذلك فضلٌ من الله سبحانه.

ربيع الأول سنة ١٣٧٥هـ - ٧ نوفمبر ١٩٥٥ م"[١].

وقد حقَّق الله له أمنيته، ومدَّ في عمره كما سترى من التتبع التاريخي التالي.

١٣٩٥هـ:

في هذا العامِ يخبرُ الشيخُ أنَّه أمضَى أكثرَ من خمسةٍ وعشرين عاماً يعمَلُ في هذا الكتابِ، ولم ينجزْ إلا دراسةَ جانبٍ واحدٍ؛ هو الحروفُ والأدواتُ، قالَ – رحمَه الله تعالى -: "فهذا العنوانُ (دراساتٌ لأسلوبِ القرآنِ الكريمِ) إنَّما هو عنوانٌ لبحثٍ تناولَ بالدراسةِ جانِباً من جوانبِ الدراساتِ القرآنيةِ، وهو الجانبُ النحويُّ، أقمتُ على دراسةِ هذا الجانبِ أكثرَ من خمسةٍ وعشرين عاماً، وما فرغتُ إلا من جانبٍ واحدٍ من جوانبِ الدراسات النحويةِ، وهو دراسةُ الحروفِ والأدواتِ في القرآنِ"[٢].

عمل الشيخ في الكتاب وتفرَّغ له بعد أن عكف سنين طويلة جداً على جمع مادته وتبويبها، ومراجعة كثير من مسائلها على كتب النحو التي فهرسها، واعتمد عليها في التصنيف والتقسيم، وتتبع النحويين، وجمع أشتات المسائل، وواصل ليله بنهاره، حتى تمَّ له ما أراد بفضل الله سبحانه، فأنجز الجانبين الآخرين، هما الجانب النحوي والجانب الصرفي، فجاء القسم الثاني دراسة الجانب الصرفي في أربعة أجزاء، والقسم الثالث دراسة القسم النحوي في أربعة أجزاء أيضاً، بعد القسم الأول وهو قسم الحروف الذي أخرجه في ثلاثة أجزاء، بها تم الكتاب في أحد عشر مجلداً، كما سيأتي بعد.

١٤٠١هـ:

في العام تمَّ إنجازُ الكتابِ كامِلاً تأليفاً وطباعةً ؛ في أحدَ عشرَ مجلّداً، تزيدُ صفحاتُ كلِّ مجلدٍ عن ستمائةٍ صفحةٍ، وبعضها تجاوز سبعمائة صفحة، وبعضها الآخر تجاوز ثمانمائة صفحة.

قالَ – رحمَه اللهُ تعالى - في آخرِ الكتاب في المجلدِ الرابعِ من القسمِ الثالثِ:"كانَتْ طباعةُ القسمينِ الثاني والثالثِ بالقاهرةِ، وكانَ عملِي في الرياضِ، ولذلكَ وقعَتْ بعضُ الأخطاءِ المطبعيّةِ، وقد نبَّهْتُ على المهمِّ منْها، وتركْتُ الباقي لفطنةِ القارئ، على أنّي أقولُ كمَا قالَ الإمامُ الشافعيُّ رحمَه اللهُ:

وعينُ الرّضَا عن كلِّ عيبٍ كليلةٌ   كما أنَّ عينَ السخطِ تبدِي المساويا

---

(١) مقدمة: المغني في تصريف الأفعال ٦.

(٢) دراسات لأسلوب القرآن الكريم؛ مجلة كلية اللغة العربية، العدد الخامس ٨١.

ولستُ أزعمُ أني لا أخطِئُ، فإنَّ العصمة للهِ وحدَه، ولكنِّي أقولُ كما قالَ شاعرُ النيلِ حافظُ إبراهيم:

إذا قيسَ إحسانُ امرئٍ بإساءةٍ   فأرْبى عليها فالإساءةُ تغفرُ

والله أسألُ أن يجعلَه عملاً خالصاً لوجهه تعالى، بريئاً من الرياءِ والسمعةِ والزهْو، إنّه سميعٌ قريبٌ مجيبُ الدّعاءِ. ٢٥ شوال ١٤٠١هـ ٢٥ أغسطس ١٩٨١م. محمد عبدالخالق عضيمة حلوان: ٤٧ شارع محمد سيد أحمد"[١].

١٤٠٢ هـ:

أعلَنَتِ الأمانةُ العامَّةُ لجائزةِ الملكِ فيصلٍ العالميّةِ للدراساتِ الإسلاميّةِ موضوعَ الجائزةِ للعامِ القادمِ في مجالِ الدراساتِ الإسلاميّةِ هو الدراساتُ القرآنيةُ.

وبناءً على هذا رشحتْ كليةُ اللغةِ العربيةِ بجامعةِ الإمامِ محمّدِ بن سعودٍ الإسلاميةِ كتابَ (دراساتٍ لأسلوبِ القرآنِ الكريمِ) لمؤلِّفه الشيخ محمد عبد الخالق عضيمة، لنيل الجائزةِ.

١٤٠٣هـ:

تعلنُ الأمانةُ العامةُ لجائزةِ الملكِ فيصلٍ العالميةِ فوز الشيخ محمد عبدالخالق عضيمة بجائزةِ الملكِ فيصلٍ العالميةِ للدراساتِ الإسلاميةِ لعامِ ١٤٠٣هـ.

١٤٠٤هـ:

ينتقلُ صاحبُ العملِ إلى رحمةِ ربِّه، غفرَ اللهُ له، وأسكنَه فسيحَ الجنانِ.

وقفة: (وهكذا كتاب ومؤلف من عام ١٣٦٦هـ إلى عام ١٤٠٤هـ)

ولعلَّ اللهَ سبحانَه وتعالى أرادَ أن يكافئَ صاحبَ هذا العملِ في حياتِه بإتمامه أولاً، وبإنجازِ طباعتِه ثانياً، كما تمنى أن يراه مطبوعاً تاماً كاملاً، ثم يمنُّ الله عليه بفوزه بجائزةٍ عالميَّةٍ ثالثاً، في وقت لم يخطرْ ببالِه أنّه سيكمِلُ الكتابَ، لكن نجز ذلك كله بفضل الله، ولك أن تنظر حاله عام ١٣٧٥هـ لما قال: إن كان في العمر بقية، ثم لما عنَّ له أن يدعوَ بالدعاءِ السابقِ الذي جعلَه ختامَ كتابِه، ثم ما أراد الله له أن يكونَ الختامُ منحه جائزةَ الملكِ فيصلٍ – رحمَه اللهُ تعالى – العالميةِ للدراساتِ الإسلاميةِ في حياته، ثم ينتقل بعد هذا إلى رحمة الله في العام التالي لهذا مباشرة.

---

(١) دراسات لأسلوب القرآن الكريم ٦٤٩/٤/٣

سقتُ التواريخَ موثَّقةً لأبيِّنَ المراحلَ الزمنيّةَ لهذا العملِ ولصاحبِ العملِ، ويغفرُ اللهَ سبحانَه وتعالى للجميعِ.

أقسام الكتاب:

قسَّمَ الشيخُ - رحمَه اللهُ تعالى – الكتابَ ثلاثة أقسامٍ؛ هي:

القسمُ الأوّلُ: الحروفُ والأدواتُ، ويقعُ في ثلاثةِ أجزاءٍ.

الجزء الأول يقع في ستمائة وخمس عشرة صفحة.

الجزء الثاني يقع في سبعمائة وتسع صفحات.

الجزء الثالث يقع في ستمائة واثنتين وأربعين صفحة.

القسمُ الثاني: دراسةُ الجانبِ الصرفيِّ، ويقعُ في أربعةِ أجزاءٍ.

الجزء الأول يقع في سبعمائة وتسع صفحات.

الجزء الثاني يقع في سبعمائة وسبع وثمانين صفحة.

الجزء الثالث يقع في ستمائة وتسع وخمسين صفحة.

الجزء الرابع يقع في ثمانمائة وثلاث وثلاثين صفحة.

القسمُ الثالثُ: دراسةُ الجانبِ النحويِّ، ويقعُ في أربعةِ أجزاءٍ.

الجزء الأول يقع في سبعمائة وثمان وستين صفحة.

الجزء الثاني يقع في ثمانمائة وأربع وأربعين صفحة.

الجزء الثالث يقع في ستمائة واثنتين وثمانين صفحة.

الجزء الرابع يقع في ستمائة وتسع وأربعين صفحة.

٣- فهارس كتاب سيبويه:

هذا العملُ الضخمُ يقعُ في إحدى عشرةَ وتسعِمائةِ صفحةٍ، وهو أكبر عملٍ لفهرسة كتاب نحو، وقالَ الشيخُ في باعثِه على العملِ: "ولمَّا أخرجْتُ المقتضبَ للمبرّدِ صنعْتُ له فهرساً مفصَّلاً ظفرَ بإعجابِ كثيرٍ من الباحثين، وطلبَ مني كثيرٌ من الأصدقاءِ أن أصنعَ لكتابِ سيبويهِ فهرساً مفصَّلاً على غرارِ فهرسِ المقتضبِ، ولمَّا أمكنتني الفرصةُ اهتبلتُها، وشرعْتُ في تحقيقِ هذه الأمنيّةِ"[١].

طبعَ هذا العملُ في طبعتِه الأولى عام ١٣٩٥هـ، في مطبعةِ السعادةِ في القاهرةِ، وبعدَ هذا أعطى الشيخُ – رحمَه الله تعالى - حقوقَ الطبعِ على ما أذكرُ الأستاذَ عبدَالله

---

(١) فهارس كتاب سيبويه ٥.

العوهليَّ صاحبَ مكتبةِ دارِ العلومِ الذي اشترَى منه حقوقَ الطبعِ، مع جملةِ الفهارسِ الآتي ذكرُها.

٤- فهارسُ المخصّصِ والاقتضابِ وأدبِ الكاتبِ:

هذه فهارسُ صنعَها الشيخُ لهذه الكتبِ، على غرارا فهارس الكتاب وفهارس المقتضب، جاءَت فهارسُ المخصَّصِ في مجلدين، والاقتضابِ وأدبِ الكاتبِ كلٍّ واحدٍ منهما في مجلَّدٍ واحدٍ، وقد اشترى حقوقَ الطبعِ بالإضافة إلى فهارسِ كتابِ سيبويهِ الأستاذُ الفاضلُ / عبدُالله العوهلي صاحبُ مكتبةِ دارِ العلومِ[١]، ودفعَ الحقوقَ الماليَّةَ كاملةً، وكانَ المبلغُ كبيراً في ذلكَ الوقتِ، سلمه للشيخِ مقدَّماً، وكانَ العوهليُّ – والحقُّ يقالُ- كريمَ النفسِ حسنَ التعاملِ رحبَ الصدرِ، وليسَ هذا غريباً عليه، كما أنَّ الشيخَ يستحقُّ هذا وأكثرَ، فصحَّحَ الشيخُ التجربةَ الأولى، وسلَّمها إلى المكتبةِ، ولكنَّ المنيةَ عاجلته، ولم تزلِ الكتبُ حتّى الآنَ تحتاجُ من يقيلُ عثرتَها، ويعينُ صاحبَ دارِ العلومِ على أن تخرجَ في أحسنِ حالٍ، فهو حريصٌ كلَّ الحرصِ على إتقانِ الكتبِ التي تخرجُها الدارُ، فللهِ درُّه من رجلٍ ما أطولَ صبرَه، وأكرمَ خلقَه.

٥- فهارسُ مسائلِ النحوِ والصرفِ في معاني القرآنِ للفرّاءِ:

نشرَ في العددِ الثالثَ عشرَ والرابعَ عشرَ من مجلةِ كليّةِ اللغةِ العربيةِ بالرياضِ، وسيأتي ذكرُه هناك بإذنِ اللهِ تعالى.

٦- اللبابُ من تصريفِ الأفعالِ:

طبعَ عدَّةَ طبعاتٍ، وخرجَتِ الطبعةُ الخامسةُ في شعبان سنة ١٣٩١هـ في مطبعةِ السعادةِ في مصرَ، وهو كتابٌ متوسِّطٌ في تصريفِ الفعلِ.

٧- المذكّرُ والمؤنّثُ لابنِ الأنباريِّ ؛ دراسةً وتحقيقاً.

نشرتْه لجنةُ إحياءِ التراثِ في المجلسِ الأعلى للشؤونِ الإسلاميَّةِ في مصرَ، وخرجَ منه الجزءُ الأوَّلُ عامَ ١٤٠١هـ، ووقعَ من الشيخِ موقعاً سبَّبَ له ألماً، ويمكنُني إرجاعُ ذلك إلى ثلاثةِ أمورٍ، هي:

---

(١) لم أنشرْ هذا الكلامَ حتَّى استأذنْتُ أخي الكريمَ الأستاذَ / عبدالله العوهلي فيه، وقرأتُه عليه كاملاً، فأضاف أنَّ الشيخَ رحمه الله تعالى لم يشترط قيمة، وإنما هو الذي قدَّرها، وأن الشيخ استكثر المبلغ وبخاصة أنه دفع مقدَّماً، فوفاءً للرجلين الشيخ والعوهليِّ أثبت هذا للتاريخ، وكان اتصالي بالأستاذ عبدالله العوهلي صباح يوم الأحد الثاني عشر من شهر صفر الخير من هذا العام ١٤٢٧هـ، لأستأذنه في نشر ما كتبته عنه إن لم ير مانعاً من ذلك.

الأوَّلُ: أنَّ لجنة إحياءِ التراثِ تصرَّفَتْ في عملِ الشيخِ – رحمَه اللهُ تعالى – في ضوءِ المنهجِ الذي اختطَّتْه لنفسِها، فاجتزأتْ بعضَ الحواشي المطوَّلةِ، واكتفَتِ بالإشارةِ إلى المراجعِ المختلفةِ للمسألةِ الواحدةِ.

الثانيةُ: أنَّ الكتابَ خرجَ وفيه استدراكاتٌ على الشيخِ وتعقُّباتٌ لم يرَها إلا بعدَ نشرِ العملِ، واستغربَ وجودَها في عملِه، انظر: الصفحات ٥هـ١، ٩هـ١، ١٠ هـ١، ١١هـ١، وغيرَها من الصفحاتِ التي جاءَ في هوامشِها مثل هذا.

الثالِثةُ: أنَّ د. رمضانَ عبدَالتوّابِ استدركَ عليه بعضَ تخريجاتٍ للشواهدِ، وأضافَها في طبعةِ الشيخِ، ووضعَ بينَ قوسينَ (رمضان) إشارةً منه إلى أنها من عملِه، انظر: ص٦٥هـ٥، وص٨٧هـ٢ مثلاً، وهو لم يشاركِ الشيخَ في التحقيقِ، ويرى الشيخُ أنّه ليسَ من حقِّ أحد أن يضيفَ إلى عملِه دونَ علمِه.

كلُّ هذا سبَّبَ إزعاجاً للشيخِ، ومعَ هذا لم يؤثِّرْ على علاقتِه بالدكتورِ رمضانِ عبدِالتوَّابِ، فلمَّا زارَ د. رمضانُ عبدِالتوَّابِ الرياضَ، استقبلَه الشيخُ استقبالاً حَسَناً، ولم يُبْدِ له تبرُّمَه، ولكنَّه طلَبَ منه أن يتابِعَ معَ المجلسِ الأعلى صدورَ الجزءِ الثَّاني. وتوفي الرجلانِ، ولم يظهرْ باقي الكتابِ حتى الآنَ.

٨- المغني في تصريفِ الأفعالِ:

هذا الكتابُ كما قالَ الشيخُ: "ثمرةُ دراسةٍ مستوعبةٍ نفضتُ لها ما وصلَ إليَّ من كتبِ النحوِ والصرفِ ؛ أرجو أن يكونَ فيها غناءٌ في دراسةِ تصريفِ الفعلِ".

وقد نشرَ هذا الكتابُ لأوَّلِ مرةٍ عامَ ١٣٧٥هـ، ثم نشرَ بعدَ ذلك عدةَ مراتٍ، وقد خصَّصَه لتصريفِ الفعلِ، واستوعبَ مسائلَه وختمَه بنماذجَ من أسئلتِه لطلابِ كليّةِ اللغةِ العربيةِ في الأزهرِ عام ١٩٥٧م، وعام ١٩٥٨ م، وعام ١٩٥٩م.

٩- المقتضبُ للمبرّدِ، دراسةً وتحقيقاً:

نشرتْه لجنةُ إحياءِ التراثِ الإسلاميِّ في المجلسِ الأعلى للشؤونِ الإسلاميّةِ في مصرَ.

وأنجزَ الشيخُ تحقيقَ هذا العملِ الكبيرِ في ستةِ أشهرٍ فقط، وأشارَ إلى هذا فقالَ: "فهرسْتُ كتابَ سيبويه فهرساً مفصَّلاً، حوى مسائلَه مرتّبةً ترتيبَ أبوابِ النحوِ، كما رتّبْتُ شواهدَه باعتبارِ القافيةِ[1]، وقد أسعفني هذا الفهرسُ في تحقيق (المقتضبِ) إذ قد

---

(١) على عادة الشيخ في فهرسة ما يقرأ.

ألزَمْتُ نفسي بعقدِ الصلةِ بينَ كتابِ سيبويهِ والمقتضبِ، وقد اشترطَتِ اللجنةُ[١] في تعاقدِي لإخراجِ المقتضبِ أن يتمَّ تسليمُ الكتابِ في مدَّةٍ لا تتجاوزُ ستة أشهرٍ"[٢]. وقدْ أنجزَ ما وعدَ – رحمَه اللهُ تعالى -.

يقعُ الكتابُ في أربعةِ أجزاءٍ كبارٍ، ختمَه بفهارسَ رائعةٍ لمسائلِ النحوِ والصرفِ في الكتابِ، سهَّلَتِ الوصولَ إلى مسائلِه وقضاياه بيسرٍ وسهولةٍ.

وقد نشرَ د. أمينُ علي السيد الأستاذُ في قسمِ النحوِ والصرفِ في ذلكَ الوقتِ، وعميدُ دارِ العلومِ بعدَ ذلكَ نقداً لعملِ الشيخِ نشرَه في مجلةِ الكليّةِ العددُ الحادي عشرَ الصفحات ٢٤١ – ٢٥٠، مخالِفاً الشيخَ في ترتيبِ المقتضبِ، وما ارتآه أنه إصلاحٌ له.

لم يعقِّبِ الشيخُ على المقالةِ بشيءٍ، ولم يغيرْ من منهجِه شيئاً فقد نشرَ المقتضبُ بعدَ المقالةِ، بل في العامِ نفسَه نشرةً ثانيةً عام ١٤٠١هـ، واستدركَ على نفسِه ما رأى إصلاحَه.

١٠- هادي الطريق إلى ذخائر التطبيق:

أشارَ الشيخُ – رحمَه اللهُ تعالى – في مقالتِه التي عنوانُها: النحوُ بينَ التجديدِ والتقليدِ إلى محاولتِه في هذا الكتابِ تيسيرَ النحوِ وتحدَّثَ عنها حديثاً طويلاً، أفاضَ فيه، ومما قالَه: "إنَّ إيماني بهذه الفكرةِ[٣] قديمٌ،وقد سنحَتْ ليَ الفرصةُ منذ خمسة عشرَ عاماً[٤]، فأخرجْتُ كتاباً يحملُ هذه الفكرةَ، ويسيرُ على ضوئِها، فكانَ بحقٍّ خطوةً على هذا الطريقِ.

كانَ منهجي في هذا الكتابِ أن أعرضَ القواعدَ التي نحتاجُ إليها في استقامةِ ألسنتِنا، وسلامةِ أقلامِنا في عبارةٍ موجزةٍ واضحةٍ، أمَّا الحديثُ عن المسائلِ التي لا صلة لها باستقامةِ الأساليبِ فقد تجاوزتُه ولم أشرْ إليه.

هذا الكتابُ غطّى نحواً من ثلثِ النحوِ ؛ من المبنيِّ والمعربِ إلى بابِ ظنَّ وأخواتِها، تركتُ الحديثَ فيه عن وجوهِ شبهِ الاسمِ بالحرفِ حينَ البناءِ، والحديثِ عن (أل) وأقسامِها، ورافعِ المبتدأ والخبرِ، هذا هو أهمُّ ما تركْتُ الحديثَ عنه.

---

(١) هي لجنة إحياء التراث الإسلامي في المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية في مصر.

(٢) فهارس كتاب سيبويه ٤، وقد أشار في مقدمة تحقيقه للمقتضب إلى أن فهارس كتاب سيبويه أعانته على إنجاز التحقيق، ولم تكن هذه الفهارس قد طبعت آنذاك.

(٣) يعني تيسير النحو.

(٤) كان حديثه هذا عام ١٣٩٦ هـ، ويعني به خروج كتابه هادي الطريق الذي أنهاه وكتب مقدمته في ١٤من شهر شعبان ١٣٨١هـ.

لم أعتمدْ على كتابٍ واحدٍ، وإنَّما تحدَّثتُ عن كلِّ ما له صلةٌ باستقامةِ الأساليبِ، لو كانَ هذا الحديثُ مذكوراً في غيرِ كتبِ النحوِ، وأمثِّلُ لذلكَ:

١- فائدةٌ: يجوزُ في (قليلٍ) و (كثيرٍ) جمعهما جمعَ مذكَّرٍ سالمٍ[١]...."[٢]

ثم استمرَّ الشيخُ - رحمَه اللهُ - يسردُ منهجَه، ويصفُ عملَه في الكتابِ، وقد استغرقَ ما يقاربُ سبعَ عشرةَ صفحةً[٣] من ذلك البحثِ.

طبعَ هذا الكتابُ في مطبعةِ الاستقامةِ في القاهرةِ ١٣٨١هـ، ويقعُ في مائةٍ واثنتينِ وسبعينَ صفحةً.

المقالات:

هذه جملةُ مقالاتٍ نشرَها الشيخ – رحمه الله تعالى -، منها ما هو منشورٌ في مجلةِ كليةِ اللغةِ العربيةِ بالرياضِ من العددِ الثالثِ، وهي السنةُ التي قدمَ فيها إلى الرياضِ، ودرَّس في الكليّةِ، حتّى توفَّاه اللهُ، وكان العددُ الثالثَ عشرَ والرابعَ عشرَ – وهما في مجلَّدٍ واحدٍ - في المطبعةِ، وقد نشرَ الشيخُ في هذا العددِ الأخيرِ بحثينِ، وللهِ الأمرُ من قبلُ ومن بعدُ، وهذه المقالاتُ هي:

١- الأحنف بن قيس[٤].
٢- أسلوب الاستثناء في القرآن الكريم[٥].
٣- تجربتي في تحقيق التراث[٦].
٤- تجربتي مع كتاب سيبويه[٧].
٥- أبو حيان وبحره المحيط[٨].
٦- جموع التكسير في القرآن الكريم[٩].
٧- دراسات لأسلوب القرآن الكريم[١٠].

---

(١) انظر هذه الفائدة في: هادي الطريق إلى ذخائر التطبيق ١١.
(٢) النحو بين التجديد والتقليد؛ مجلة كلية اللغة العربية؛ العدد السادس ٨٨-٨٩.
(٣) انظر: المجلة؛ المصدر السابق: الصفحات من ٨٨ – ١٠٤.
(٤) انظر: مجلة كلية اللغة العربية؛ العدد العاشر ص٣٣١ - ٣٥٣.
(٥) انظر: مجلة كلية اللغة العربية؛ العددين الثالث عشر والرابع عشر ص١١-٢٩ .
(٦) انظر: مجلة كلية اللغة العربية؛ العدد الحادي عشر ص١٥٧-١٧٨.
(٧) انظر: مجلة كلية اللغة العربية؛ العدد الرابع ص٣٥ -٥٣.
(٨) انظر: مجلة كلية اللغة العربية؛ العدد السابع ص ١٣ - ٥٠.
(٩) انظر: مجلة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية في الأحساء العدد الثاني ٣٤٩.
(١٠) انظر: مجلة كلية اللغة العربية؛ العدد الخامس ص ٨١-١٠٠.

٨- فهارس مسائل النحو والصرف في معاني القرآن للفراء[١].
٩- القلب المكاني في القرآن الكريم[٢].
١٠- لمحات عن دراسة السين وسوف في القرآن الكريم[٣].
١١- لمحات عن دراسة العدد في القرآن الكريم[٤].
١٢- مع أساليب القرآن الكريم[٥].
١٣- النحو بين التجديد والتقليد[٦].
١٤- نظرات في أبنية القرآن الكريم[٧].

وقد نشرَ مقالةً بعنوان: (ردٌّ على مقالِ: لماذا احتقرَ النحويّون المرأةَ ؟)، وهي ردٌّ على د. عدنان رشيد، الذي كتبَ مقالةً في جريدةِ الجزيرةِ تحملُ هذا العنوانَ، فما كانَ من الشيخ إلا أن ردَّ عليه بهذه المقالةِ، وختمَها بقولِ الشَّاعرِ:

ما لمنْ ينصِبُ الحبائلَ في الأرض ومرجَاه أن يصيدَ الهلالا[٨]

جهوده في الدراسات العليا:

كان للشيخ – رحمه الله تعالى – جهودٌ كبيرةٌ في الدراسات العليا تمثلت في تدريسِه مقرر الصرف في السنة التمهيديةِ طيلة عقده بالإضافة إلى تدريسه مقرر الصرف في السنتين الثالثة والرابعة في كلية اللغة العربية، وكان مثالاً للجدِّ والحزم، لم يتأخر عن محاضرة، ولم يتوان في إيضاح ما يتصدَّى لتدريسه بصورة رائعة.

وكنت من طلابه في السنوات الثلاث، بالإضافة إلى إسهامه الكبير معي في رسالتي للماجستير وعنوانها هشام بن معاوية الضرير حياته وآراؤه ومنهجه، فقد كان – رحمه الله تعالى – يحرص على معرفة آراء الكوفيين، ويردد مقولته: إن آراء

(١) انظر: مجلة كلية اللغة العربية؛ العددين الثالث عشر والرابع عشر ص١٨٧-٢١٦ .
(٢) انظر: مجلة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية العدد الأول ص٢٧٣ -٢٨٤.
(٣) انظر: مجلة كلية اللغة العربية؛ العدد الثالث ص٦٥-٧٠.
(٤) انظر: مجلة كلية اللغة العربية؛ العدد الثاني عشر ص ١١-٥٦ .
(٥) انظر: مجلة كلية اللغة العربية؛ العدد التاسع ص١٣-٢٧ .
(٦) انظر: مجلة كلية اللغة العربية؛ العدد السادس ص١١-١٠٦.
(٧) انظر: مجلة كلية اللغة العربية؛ العدد الثامن ص ١٣- ٥٢ .
(٨) انظر: الجزيرة العدد ٣١١٨، الجمعة ٢٣/ عبدالعليم إبراهيم، الإملاء والترقيم في الكتابة العربية (مكتبة غريب/ القاهرة، ١٩٧٥م) ص١١٣. عبدالعليم إبراهيم، الإملاء والترقيم في الكتابة العربية (مكتبة غريب/ القاهرة، ١٩٧٥م) ص١١٣,٤/١٤٠١هـ

الكوفيين لم تصلنا عن طريق الكوفيين، ولو وصلت عن طريق الكوفيين لتغيرت نظرتنا نحوه.

بالإضافة إلى التدريس كان – رحمه الله تعالى يسهم في الإشراف على رسائل الماجستير والدكتوراه، ومن هذه الرسائل في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية الآتي:

أولاً: الماجستير:

أشرف على رسائل الماجستير الآتية:

١- آراء أبي عمرو بن العلاء النحوية واللغوية ؛ جمعها ودراستها؛ تقدم بها المعيد حسن بن محمد الحفظي، وكان من المناقشين زميل د. عضيمة الدكتور أحمد حسن كحيل، ونوقشت هذه الرسالة يوم ١٤٠٢/١/٢٩هـ

٢- الزجاج ومذهبه في النحو ؛ أنجزها المعيد عبدالرحمن بن صالح السلوم، ونوقشت بتاريخ ١٤٠٢/٢/٢٠هـ.

٣- تحقيق القسم الأول من كتاب سفر السعادة وسفير الإفادة لعلم الدين السخاوي، وتقدم بها محمود سليمان عبيدات (أردني الجنسية)، واشترك في مناقشتها د. أحمد كحيل، ونوقشت يوم ١٤٠١/٥/٥هـ.

٤- دراسة نحوية لكتاب إعراب القرآن لمكي بن أبي طالب، وتقدم بها يحيى بشير مصري، (سوري الجنسية)، واشترك في مناقشتها أيضاً د. أحمد كحيل، ونوقشت يوم ١٤٠١/١/١هـ، ومن طرائف الشيخ عضيمة في هذه المناقشة بعد أن أنهى المناقشان ملحوظاتها على الرسالة أشار إلى أنه من حق المشرف أن يناقش الطالب فيما اختلف فيه معه، ولم يلتزم الطالب بتعديله، وناقش الرسالة كأنه عضو مناقش، وكانت مناقشة قوية مستفيضة، أبان الشيخ عضيمة عن خلق العلماء والتجرد للعلم، وهي أول مرة تحدث في الكلية، وقد تكررت بعد ذلك في قسم آخر غير قسم النحو والصرف وفقه اللغة.

٥- أثر اختلاف اللهجات العربية في النحو ؛ تقدم بها يحيى بن علي صالح، وأشرف عليها الشيخ عضيمة بالاشتراك مع د. عبدالغفار حامد هلال، ونوقشت مساء يوم ١٤٠٢/٨/١٣هـ.

ثانياً: رسائل الدكتوراه:

أشرف على عدد من رسائل الدكتوراه، ومنها عدد من الرسائل أوشك أصحابها على النهاية، لكن حالت منية الشيخ عن إتمام الإشراف عليها، فأحيلت إلى مشرفين

آخرين، ومن الرسائل الدكتوراه الرسالة التي أنجزها د. عبدالله بن سالم الدوسري، وعنوانها: (سيبويه في لسان العرب) ونوقشت يوم ١٤٠٣/٦/١٦هـ.

علاقات الشيخ:

كانَ الشيخُ – رحمَه اللهُ تعالى - له علاقاتٌ كثيرةٌ واسعةٌ حسنةٌ، ويجيبُ عن جميعِ الرسائلِ التي تأتيه، ولم يتوانَ في الردِّ على رسائلِه، مهما كانَتْ، ومن أيِّ جهةٍ جاءت، كانت له مراسلاتٌ مع عددٍ غيرِ قليلٍ من أساتذة الجامعة في عدد من البلدان العربية.

ومن أبرزِ الأشخاصِ الذين للشيخِ بهم علاقةٌ تقديرٍ من غيرِ منسوبي الكليّةِ التي عملَ بها الأستاذُ الدكتورُ حسنُ شاذلي فرهود؛ الذي كانَ يزورُ الشيخَ في سكنه شمالَ جامعِ الرياضِ الكبيرِ، وغيرُه كثيرٌ من السعوديّين على وجهِ الخصوصِ، وكان الشيخ عضيمة يثني على علم د. حسن فرهود، ويعجبُه عملُه في تحقيق التكملةِ كثيراً.

أشرتُ عند حديثي عن المقتضبِ إلى أن د. أمين علي السيد كتبَ نقداً لعملِ الشيخ في ترتيبِ المقتضبِ، ونشرَه في مجلةِ كليةِ اللغةِ العربيةِ التي ينتميان إليها، ولما قابلَ الشيخُ د. أمينَ السيد لم يظهرْ عليه أثرٌ لتلك المقالةِ، أو أن يسودَ علاقتَهما فتورٌ، بل بقيتِ العلاقةُ على ما كانت عليه.

وأشرْتُ عندَ حديثي عن المذكّرِ والمؤنَّثِ إلى ما صنعَه د. رمضان عبدالتواب في عملِ الشيخ، بل إنّ الاختصاراتِ كانَ التوقُّعُ يشيرُ إلى أنّها من فعلِه – عفا الله عنه -، وجاء د. رمضان أستاذاً زائراً لكليةِ اللغةِ العربيةِ، وقابلَ الشيخَ في الكليةِ، وألحَّ الشيخُ عليه بدعوتِه إلى منزلِه، وفعلاً زارَه د. رمضان، وكنْتُ حاضِراً تلك الزيارةَ، وقد احتفَى به الشيخُ أيما حفاوةٍ، وقدّرَه تقديراً رائعاً.

وفي تلك الزيارةِ جرى حديثٌ بينهما عن تحقيقِ د. عبدِالسلامِ هارون لكتابِ سيبويهِ، فذكرَ الشيخُ أنَّ له على العملِ ملحوظاتٍ كثيرةً، فعرَضَ عليه د. رمضان أنْ يعيدَ تحقيقَ الكتابِ، فاعتذرَ الشيخُ بأنَّه لا داعيَ له ما دامَ أنَّ الكتابَ خرجَ محقَّقاً، فطلبَ منه أن ينقدَ تحقيقَ عبدالسلام هارون، فأطرقَ الشيخُ قليلاً ثم قالَ: هارونُ أحسنَ في تحقيقِ كثيرٍ من كتبِ التراثِ، ولم يوفَّقْ في تحقيقِ الكتابِ، فنحن نغفرُ له هذه من أجلِ تلكَ.

أما العلاقةُ التي كانتْ مبنيةً على إعجابٍ متبادلٍ بين الرجلين فهي علاقته بالأستاذ محمود محمد شاكر، وقد قدّم الأستاذ محمود شاكر لكتاب الدراسات، وكتبَ الشيخُ عضيمة مقالة رائعة بعنوان: (الأستاذ محمود محمد شاكر: كيف عرفته) ونشرت ضمن كتاب دراسات عربية وإسلامية مهداة إلى فهر بمناسبة بلوغه السبعين ص٤٥٣ـ ٤٥٥[١].

وفاته:

بقيَ الشيخُ في كليةِ اللغةِ العربيةِ بالرياضِ أكثرَ من عشرِ سنواتٍ، جرتْ عادتُه - رحمه الله تعالى – طيلة السنوات الماضية أن يقضي إجازة نصف العام – وهي أسبوعان – الأسبوع الأول في مكة المكرمة، ويسكنُ في أحدِ الفنادقِ القريبةِ من الحرمِ، ثم يسافرُ إلى المدينةِ المنوّرةِ ليقضيَ فيها الأسبوعَ الثاني قريباً من المسجدِ النبويِّ.

وفي عام ١٤٠٤هـ وقبل بدء الامتحاناتِ قدَّم طلباً إلى عميدِ الكلية آنذاك الشيخ ناصر بن عبدالله الطريم، وقالَ في الطلبِ: إنّه بقيَ في المملكةِ أكثرَ من عشرِ سنواتٍ، لم يسافرْ خلال إجازة نصف العام إلى مصر، ويطلبُ الإذنَ له بالسفر، ومثلُ الشيخ لا يردُّ طلبه، فوافقت الكليةُ، وتمَّ الأمر، وكانت إجازةُ نصفِ العامِ تبدأُ بنهايةِ دوامِ يومِ الأربعاءِ ١٤٠٤/٤/٨هـ، إلا أنّ الشيخَ رغبَ في تقديم سفره لظروفِ الحجزِ والطيران، فسافرَ يومِ الثلاثاء ١٤٠٤/٤/٧هـ تصحبُه زوجتُه.

وبعد وصولِه القاهرةَ استقبله ابنه المعتز، ووقعَ لهم حادثُ سيارةٍ، ووصفت الباحثةُ التي كتبَت عن الشيخِ رسالتها قائلةً: "وحينَ وصلَ وزوجُه إلى مطارِ القاهرة كان في استقبالهما ابنهما محمد المعتز بالله، وقد جلسَ الشيخُ في المقعد الأمامي في السيارةِ، وبادرت الزوجةُ والابنُ بوضع الحقائب فيها حين أقبلَت سيارةٌ كبيرةٌ فاصطدمت بسيارتهم، ولم تلحقْ بهم إصاباتٍ بيدَ أن الشيخ أصيبَ بالإغماءِ، وفقدَ وعيُه، فنقلَ إلى مستشفىً قريبٍ، ولكنه ظلّ مغمىً عليه إلى إن انتقلَ إلى رحمةِ الله بعد نحو ثمان وأربعين ساعة في ١٤٠٤/٤/٩هـ الموافق ١٨٤/١/١٢م رحمه الله رحمة واسعة"[٢].

---

(١) كدت ألا أذكر هذه المقالة حتى نبهني أخي د. هشام عبدالعزيز الشرقاوي عليها، فجزاه الله خيراً.
(٢) الشيخ عضيمة وجهوده اللغوية١٢-١٣.

هذا ما قالته الباحثةُ، وأثبتته في رسالتها، والروايةُ التي سمعتُها وقت الحادثة والتي نقلت إلى الدكتور أحمد كحيل وهو الذي نقل الخبرَ، وسمعتُه أيضاً من عددٍ من الزملاء المصريين ربما يختلفُ بعضَ الشيء، فبعد وصولهما استقلا السيارة الخاصة، وبعد خروجِهم من المطارِ بمسافةٍ ليست بعيدةً حانت التفاتةٌ من السائق، فانحرفت السيارةُ عن الطريق، واصطدمَت بعمودِ كهرباءَ، وأصيبَ الشيخُ الذي كان يجلس في المقعد الأمامي بضربةٍ في الجبهةِ وأعلى الأنفِ، مما سبّبَ دخولَه في غيبوبةٍ طيلة يومي الثلاثاء والأربعاء، وجاءه أولادُه وبناتُه، وهو ما زالَ في غيبوبةٍ، وأفاقَ بعدَ العشاءِ، وسألَ عن ابنتيه هناء وآيات، وطلبَ أن يراهما، وبقيَ مستفيقاً مدةً ليست طويلةً وانتهت الزيارةُ، فلما جاءَ الأبناء صباحَ اليوم التالي وهو يوم الخميس أفادَ المستشفى أنَّ الشيخ توفي في الليل، يعني ليلة الخميس ١٤٠٤/٤/٩هـ.

رحمه اللهُ رحمةً واسعةً، وغفرَ له، وأسكنه فسيحَ جنته، وألحقه بالصدّيقينَ والشهداءِ وحسنَ أولئك رفيقاً.

بعض أقوال الشيخ:

للشيخ – رحمه الله تعالى - أقوالٌ كثيرةٌ، تجسِّدُ منهجَه في الحياةِ والبحثِ والتعاملِ معَ الآخرين، وله نظرتُه الثاقبةُ، وآراؤه الدقيقةُ، أمّا في العلمِ فقد بناها على درسٍ وتمحيصٍ وتدقيقٍ، أما في الحياة فقد أملاها ذكاؤه وبصرُه بالناس، ولن أزيد على هذا، وإنما اخترتُ نصوصاً من أقوالِه مسندةً إلى أعماله موثّقاً جميع ما نقلتُ.

قالَ - رحمه الله تعالى -: "إذا قرأَ النَّاسُ القرآنَ الكريمَ للتدبُّرِ والعبرةِ ونيلِ الثوابِ فلا يشغلُني في قراءةِ القرآنِ إلا الجانبُ النحويُّ، تشغلُني دراسةُ هذا الجانبِ عن سائرِ الجوانبِ الأخرى.

أهوى قراءةَ الشعر، وأحرصُ على حفظِ الجيِّد منه، ولكنَّ جيِّدَ الشعر الذي يصلح لأن يحلَّ محلَّ شواهدِ النحو له تقديرٌ خاصٌّ في نفسي.

ورحمَ الله ثعلباً فقد قالَ: اشتغلَ أهلُ القرآنِ بالقرآنِ ففازوا، واشتغل أهلُ الحديثِ بالحديثِ ففازوا، واشتغلَ أهلُ الفقهِ بالفقهِ ففازوا، واشتغلت أنا بزيدٍ وعمرٍو، فيا ليت شعري ماذا تكونُ حالي في الآخرةِ"[(١)].

---

(١) النحو بين التجديد والتقليد؛ مجلة كلية اللغة العربية العدد السادس ٨٢.

قـال - رحمـه الله تعـالى-: "وفـي رأيـي أنَّـه لا يجمـلُ بالمتخـصِّص فـي مادَّتِـه العـاكفِ علـى دراستِها أن تكـونَ طبعـاتُ كتابِـه صـورةً واحـدةً لا أثـر فيهـا لتهـذيبٍ أو قراءاتٍ جديدةٍ، فإن القعودَ عن تجديدِ القراءةِ سمةٌ من سماتِ الهمودِ، ولـونٌ من ألـوانِ الجمودِ"(١).

وقال – رحمه الله تعالى -: "وليس من غرضي في إخراج المقتضب أن أزهوَ به، وأحطَّ من قدر سواه، فإنِّي أكرمُ نفسي عن أن أكون كشخصٍ كلَّما ترجم لشاعرٍ جعله أشعرَ الشعراءِ"(٢).

قال – رحمه الله تعالى -:"فحديثي اليوم إنما هو وحيٌ هذه التجربة، وثمرة تلك الممارسة والمعاناة، ولكلِّ إنسانٍ تجربته، فإذا كان لغيري تجربـةٌ أخرى، أو رأيٌ آخر يخالف ما أذكرُه أو استفسارٌ فليكتب لي عن ذلك بعد الفراغ من المحاضرة، وعلم الله أنِّي لا أضيقُ بالرأي المخالفِ، وفي يقيني أنَّ المناقشة تنضجُ الرأيَ وتهذِّبَه"(٣).

وقـال – رحمـه الله تعـالى -: "لقد سجَّلت كثيراً مما فـاتَ النحويين، ولـيسَ من غرضـي أن أتـصيَّد أخطـاءهم، وأردَّ عليهـا، ولـسْتُ أزعـم أنَّ القرآنَ قد تـضمَّن جميـعَ الأحكامِ النحويةِ، فالقرآنُ لم ينزل ليكونَ كتـابَ نحوٍ، وإنَّمـا هو كتـابُ تشريعٍ وهدايـةٍ، وإنَّما أقولُ: ما جاءَ في القرآن كانَ حجّةً قاطعةً، وما لم يقعْ في القرآنِ نلتمسُه في كلامِ العربِ، ونظيرُ هذا الأحكامُ الشرعيةُ ؛ إذا جاءَ الحكمُ في القرآن عُملَ بـه، وإن لـم يـرد به نصٌّ في القرآنِ التمسناه في السنَّةِ وغيرها"(٤).

أمثلة من اختياراته واستدراكاته وأقواله:

لن أطيلَ الحديثَ عن تعقباتِ الشيخِ للسابقين، واستدراكاتِه في النحوِ والصرفِ، وإنّما سوف أكتفي ببعضِ الأمثلةِ، ومنها على سبيلِ المثالِ:

---

(١) المغني في تصريف الأفعال ٤.
(٢) المقتضب ١٢٦/١ (ط: الثانية).
(٣) النحو بين التجديد والتقليد؛ مجلة كلية اللغة العربية العدد السادس ٨٢-٨٣.
(٤)النحو بين التجديد والتقليد؛ مجلة كلية اللغة العربية العدد السادس، ٩٥.

استدركَ على السهيليِّ استقباحَه تقدُّمَ معمولِ الفعلِ المقترن بالسينِ عليها، ووافق المبردَ والرضيّ وأبا حيان، ولم يشر هؤلاء الجلّةُ إلى الدليل من السماع، ووقف الشيخ على هذا التقديم في القرآنِ الكريم، وأورد شاهداً عليه(١).

اشترطَ الزمخشريُّ في خبر (أنَّ) الواقعةِ بعد (لو) أن يكونَ خبرها فعلاً، واستدرك عليه الشيخ أن خبرها جاء اسماً جامداً، واسماً مشتقاً في القرآن الكريم.

منع ابنُ الطراوةِ أن يقعَ المصدرُ المؤوّلُ من (أن) والفعل مضافاً إليه، واستدركَ عليه الشيخُ أنَّ المصدرَ المؤول من (أن) والفعل جاءَ مضافاً إليه في ثلاثةٍ وثلاثين موضعاً من القرآن.

منع النحويُّونَ وقوعَ الاستثناءِ المفرَّغ بعد الإيجابِ، وعلّلوا ذلك بأنّ وقوعَه بعد الإيجابِ يتضمّنُ المحالَ والكذبَ، واستدركَ عليهم الشيخُ أنه جاء في القرآن ثماني عشرة آية وقع الاستثناءُ المفرَّغُ بعدَ الإثباتِ، وفي بعضِها كان الإثباتُ مؤكّداً مما يبعد تأويلَه بالنفي(٢).

ويكفي من القلادةِ ما أحاطَ بالعنق.

خاتمة:

هذه السيرةُ المختصرةُ كتبتُها في مدةٍ قصيرةٍ من الزمنِ، وهناك أمورٌ كثيرةٌ، ونصوص مختلفة من كتابات متعدِّدة رغبت في تسجيلها لكن ربما يكون من العذرِ ضيق الوقت، وأمور أخرى لم أسجِّلها، وهناكَ أحداثٌ مسجّلةٌ، ووقائع مختلفة منها الخاصُّ، ومنها العام جرت في حياة الشيخ وعايشت فصولها، تدخل في السيرة الذاتية ولم أسجلها هنا، ولعلَّ أهم توجيه تلقيته منه هو نصيحته لي شخصياً ألا أقبل عملاً إدارياً مهما كان حتى أنهي جميع المراحل التي تتطلب بحوثاً وأعمالاً علمية، وأنها هي الأوْلى من الأعمال الإدارية.

وأخيراً لعلَّ فيما قدمت مكنةً لمن أرادَ أن يعرفَ سيرةَ علمٍ أفنى عمره، وتمنى أن يكون في العمر بقيّةٌ، فحقّق اللهُ له ذلك، وامتدت هذه البقية حتى أنهى الكتابَ الذي نصَّبَ نفسَه للعملِ فيه، وأنهى طباعتَه ومراجعتَه، وأسهمتْ جامعةُ الإمام محمد بن سعود

---

(١) انظر: السين وسوف في القرآن الكريم؛ مجلة كلية اللغة العربية العدد الثالث ٦٩.

(٢) انظر هذا وأكثر منه بالتفصيل في بحث: دراسات لأسلوب القرآن الكريم؛ مجلة كلية اللغة العربية العدد الخامس ٢٩-٩٣.

الإسلامية في إعانتها له بتحملِ نفقاتِ الطباعةِ، ثم يريدُ الله سبحانه وتعالى أن يتمَّ جميعُ ذلك في حياةِ الشيخِ، وأن تسهمَ الجامعةُ مرةً أخرى في خدمةِ صاحبِ الكتابِ كما أسهمت في خدمةِ الكتابِ طباعةً ونشراً فرشّحَتِ المؤلفَ لنيل جائزةٍ عالميةٍ؛ وهي جائزة الملك فيصل –رحمه الله تعالى – فيفوز بها، ليلقى ربّه بعد ذلك في العام التالي كما أسلفت، والله كريم يمنُّ على عباده، ويجزي المتقين، فجزى الله شيخي أحسنَ الجزاءِ، وغفرَ له، وأكرمَ نزلَه، ورفعَ مقامَه، وجزى الله جامعة الإمام خيرَ الجزاءِ على جهودِها في خدمةِ العلمِ، والعنايةِ بالعلماءِ.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

تيسير تعليم النحو

الضعف اللغوي – أسبابه وعلاجه

أ. د. عوض بن حمد القوزي
قسم اللغة العربية-كلية الآداب
جامعة الملك سعود-الرياض

قبل الحديث عن "تيسير تدريس النحو" يحسن أن نطرح هذين السؤالين، ونجيب عليهما بصدق وموضوعية:

١ - هل الصعوبة التي نشكو منها تتمثل في النحو نفسه -قوانينه- وأبوابه وموضوعاته وقضاياه.

٢ - أو هل مصدر الصعوبة راجع إلى اللغة العربية نفسها -نظامًا ومعنى، إفرادًا وتركيبًا، وأصواتًا-؟!.

فإذا كانت الشكوى تومئ إلى النحو فهي أزلية نشأت بنشأته، ولم يخل زمان من التعرض لها، وحسبنا تذمرّ بعض الدارسين من صعوبة فهمه، وإطلاق ألسنتهم بالهجاء تارة لحملته، وتارة للعلم نفسه، وهو وإن عُدَّ من قبيل الظرف، إلا أنه يعكس معاناة أصحابه وينبه إلى بعض مكامن الشكوى، فهذا أحدهم يستصعب باب العدد فيقول:

في النَّحْوِ لاَ يَقْهَرُنِي إلاَّ تَفَاصِيلُ العَدَدْ

وثان يستعصي عليه باب "إضمار أنْ" فيتوجه إلى المازني ويشكو إليه صعوبة هذا الباب قائلاً:[١]

(١) إنباه الرواة على أنباه النحاة، ج٢، ص٥-٦.

تَفكَّرتُ في النَّحوِ حَتَّى مَلِلْت ... وأتْعَبْتُ نَفْسِي بِهِ والبَدَنْ
وأتْعَبْتُ بَكْرًا وأصْحَابَهُ ... بطُول المَسَائِلِ في كُلِّ فَنّ
فَمِنْ عِلْمُهُ ظَاهِرٌ بَيِّنٌ ... ومِنْ عِلْمُهُ غَامِضٌ قَدَ بَطَنْ
فَكُنْتُ بِظَاهِره عَالِمًا ... وكُنْتُ بِبَاطِنِهِ ذَا فِطَنْ
خَلاَ أنَّ بَابًا عَلَيْهِ العَفَا ... ءُ للفَاءِ يَا لَيْتَهُ لَمْ يكُنْ
ولِلْوَاوِ بَابٌ إلَى جَنْبِه ... مِنَ المَقْتِ أحسَبُه قَدْ لُعِنْ
إذَا قُلْتُ: هَاتُوا لمَاذَا يُقَا ... لُ: لَسْتُ بِآتِيْكَ أوْ تَأتِيَنْ
أجِيبُوا لمَا قِيْلَ هَذَا كَذا ... عَلى النَّصْبِ؟ قَالُوا:بإضْمَارِ أنْ
وَمَا إن رَأيتُ لَهَا مَوْضِعًا ... فَأعْرِفَ مَا قِيْلَ إلاَّ بِظَنّ
فَقَدْ خِفْتُ يا بَكْرُ مِنْ طُولِ مَا ... أُفَكِّرُ فِي أمْرِ (أنْ) أنْ أُجَنّ

وآخر يسمع المشتغلين بالتصريف فيومئ إليهم مغاضبًا: "لإن كنتم تصلحون اللغة إنكم أول من أفسدها".

وقال بعض الأعراب:[(١)]

مَازَالَ أخْذُهُمُ فِي النَّحْوِ يُعْجِبُنِي ... حَتَّى سَمِعْتُ كَلاَمَ الزِّنْجِ والرُّوْمِ
لَمَّا سَمِعْتُ كَلاَمًا لَسْتُ أفْهَمُهُ ... كَأنَّهُ زَجَلُ الغِرْبَانِ والبُومِ
تَرَكْتُ نَحْوَهُمُ والله يَعْصِمُنِي ... مِنَ التَّقَحُّمِ فِي تِلْكَ الجَرَاثِيْمِ

وقال بعض الأعراب:[(٢)]

مَاذَا لَقِيتُ مِنَ المُسْتَعْرِبِينَ وَمِنْ ... تَأْسِيْسِ نَحْوِهُمُ هَذَا الَّذِي ابْتَدعُوا
إنْ قُلْتُ قَافِيَةً فِيهِ يَكُونُ لَهَا ... مَعْنًى يُخَالِفُ مَا قَاسُوا وَمَا وَضَعُوا
قَالُوا لَحَنْتَ، وهَذَا الحَرْفُ مُنْخَفِضٌ ... وَذَاكَ نَصْبٌ، وهَذَا لَيْسَ يَرْتَفِعُ
وَحَرَّشُوا بَيْنَ عَبْدِ اللهِ واجْتَهَدُوا ... وَبَيْنَ زَيْدٍ، وَطَالَ الضَّرْبُ والوَجَعُ

إلى أن قال:

---

(١) الإمتاع والمؤانسة، ج٢، ص١٣٩.
(٢) المصدر السابق، ج٢، ص١٤٠.

مَا كُلُّ قَوْلِيَ مَعْرُوفٌ لَكُمْ، فَخُذُوا مَا تَعْرِفُونَ، وَمَا لَمْ تَعْرِفُوا فَدَعُوا
كَمْ بَيْنَ قَوْمٍ قَدِ احْتَالُوا لِمَنْطِقِهِمْ وآخَرِيْنَ عَلَى إعْرابِهِمْ طُبِعُوا
وَبَيْنَ قَوْمٍ رَأَوْا شَيْئًا مُعَايَنَةً وَبَيْنَ قَوْمٍ رَوَوْا بَعْضَ الَّذِي سَمِعُوا

فإذا ما دققنا النظر في مصطلحاتنا وجدنا أن الشكوى من النحو لا تعني النحو نفسه، بقدر ما تعني صعوبة قوانينه وقواعده، وما ذلك إلا أن حقيقة النحو إنما هي "انتحاء سمت كلام العرب في تصرفه..."[١] وحُمل على ذلك ما قيس على كلام العرب فهو عندهم من كلام العرب[٢] وليس ثمة صعوبة في هذا الانتحاء، لأننا نرى كثيرًا ممن يخالط الشعوب العربية لا يلبث قليلاً إلا وهو يتكلم بلسانهم، يفهم ما يقولون ويستطيع نقل ما يريد نقله إليهم، مع تفاوت في درجات الإتقان، ومحصولهم من الفصاحة لكنهم على كل حال يستطيعون التعبير عن مقاصدهم ويعون جل ما يلقى عليهم، وهم في ذلك يعكسون اللغة المسموعة المحكية، ومحصولهم منها محدود، لأنه لا يتجاوز حدود التعبير المتصل بخدماتهم، فإذا ما انتقل إلى مجال آخر رأيته يتخبط في الفهم والإفهام، لاختلاف المفردات التي تطرق سمعه تبعًا لاختلاف الوسط الجديد عن سابقه، وهذا عن طريق المشافهة ثابت لا يحتاج إلى براهين أو أدلة.

ومن الثابت أن الذي سيكون ثقيلاً على غير العربي إنما هو تعلم نحو اللغة العربية وصرفها وعلومها الأخرى، لأنه سينتقل من السماع والمحاكاة إلى استخدام قوانين وقوالب ربما لا يستخدمها العرب أنفسهم، بل لا نغالي إذا قلنا إنه ربما استعصى فهمها على بعض معلمي العربية أنفسهم فضلاً عن تلامذتهم، فهي قوانين مجردة، لا تخضع للقياس على اللغة المحكية، لأنها إنما تقاس على فصيح الكلام الذي لا يراه خاضعًا للاستعمال إلا قليلاً، ولو حاوله لوجده صعب المنال، لأن الملكة القائمة لديه لا تلبي حاجته كلها، ولذا تراه يقف عاجزًا أمام إلقاء خطبة، أو كتابة ظلامه أو شكوى، وربما وجد الصعوبة عند كتابة رسالة تتطلب الارتقاء بالأسلوب وبالإعراب.

من هنا نبادر بالقول: إن تعلم اللغة العربية ليس صعبًا، ولعل الصعوبة تظهر عند طلب قوانينها البعيدة عن الاستعمال، المفرطة في التجريد، المتجاوزة إلى الافتراض والتأويل، أما أصولها وقوانينها النحوية والصرفية القائمة على القياس غير المعقد، فإنها سهلة المنال، ولا يستعصي فهمها على طالب العربية إن بذل في ذلك أدنى جهد، يقول

(١) الخصائص، ج١، ص٣٤.
(٢) المصدر السابق، ج١، ص١٤٥.

المستشرق الفرنسي وليم مارسيه: "إن من السهل جدًا تعلم أصول العربية، فقواعدها الصرفية التي تظهر معقدة لأوَّل مرة هي قياسية ومضبوطة بشكل عجيب لا يكاد يصدق، حتى إن صاحب الذهن المتوسط يستطيع تحصيلها بأشهر قليلة، وبجهد معتدل، ويضيف هذا المستشرق قائلاً: "إن الفعل العربي هو لعبة أطفال إذا قيس بالفعل اليوناني أو بالفعل الفرنسي، فليس هناك صعوبة في الاشتقاق، أما النحو فبسيط لا تعقيد فيه مطلقًا"[١].

وهذه شهادة أخرى من مستشرق آخر هو الفرنسي (هنري لوسيل) الذي يقول: "وتقدم العربية أيضًا نسقًا من قواعد الإعراب بسيطًا، وفيه قدر كبير من المرونة، كما تقدم أساليب من تركيب الكلام تجمع بين السذاجة والدقة، ونسقًا من الأفعال يتسم بالبساطة..." [٢].

ناهيك عن امتداحهم لجرسها الموسيقي الذي لا نكاد نرى له مثيلاً في كثير من لغات العالم، فيا ليت شعري كيف يشهد بيسر هذه اللغة وسهولتها وجمالها قوم يفترض منهم الشكوى؟!. في الوقت الذي يشتكي صعوبتها قوم يفترض منهم الحياء -على الأقل- من المجاهرة بالشكوى.

إن الشكوى التي يرددها كثير من أبناء العرب وغيرهم، إنما هي صدى لدعوات مغرضة أطلقها المستعمرون في وقت مضى، عندما حاولوا الدخول إلى معقل قوة الأمة، وضربها في ثقافتها من الداخل، بخلخلة ثوابتها، وإبعادها عن مكمن قوتها ووحدتها، وظلت تلك الأصداء تتردد على أسماع الناشئة حتى ظنوها حقًا، وتخيلوها واقعًا ملموسًا عندما قيل لهم بثنائية الفصحى والعامية، ولمسوا ميل الناشئة إلى اللغات الأجنبية التي حسَّن لهم الاستعمار وجهها وغرس في روعهم أن الفصحى لم يعد لها مكان إلا في بطون الكتب الصفراء، وأن الحضارة الحديثة تدعو إلى التخلص من مثل تلك الاستعمالات التي لا يُرى فيها غير التقعر بالإعراب، أو لفظ قد مات من الاستعمال، وأصبح مقبورًا بين الكتب وحسب، حتى إن ناشئتنا صارت تستغرب الكلام المُعْرب، وربما استهزأت من صاحبه أو هجرته.

وفي هذا السياق يحضرني بعض الأمثلة الميدانية مما عايشته بنفسي في الجامعة. ففي الفترة التي خدمت في معهد اللغة العربية بجامعة الملك سعود عميدًا، وكان طلابه

---

(١) تيسير مباحث النحو والصرف، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، مج٧٣، ج٤، ص٩٠٣- ٩٠٤.
(٢) المصدر السابق نفسه، ص٩٠٤.

ولا يزالون من غير العرب، اشتكى إليّ بعض الطلاب الوافدين من عدم قدرتهم على التفاهم مع الطلاب السعوديين في الجامعة، وظننت الأمر طبيعيًا يتصل بضعف سيطرة هؤلاء الوافدين على زمام العربية، وأنه سيأتي يوم غير بعيد لتكون لهم القدرة على الفهم والإفهام، لكنهم أردفوا القول: إن الطلاب السعوديين يتكلمون معنا بلهجة أو لهجات محلية، خارجة عن نظام العربية الذي نفهمه، وهي لهجات لا تخضع للإعراب ولا لقياس الفصحى التي تعلمناها، ولذلك فإننا لا نتعلم العربية من أبناء العروبة بقدر ما نتعلمها من زملائنا الوافدين من الأقطار الأخرى، ولقد أصبح من الظواهر في تجمعاتنا الطلابية أن ترى الصيني يجلس مع الأفريقي أو مع الأوروبي والآسيوي، ويتفاهمون بالعربية -على القدر الذي تعلموه- ولا يأنسون بالجلوس مع رفاقهم أبناء الجزيرة العربية في الكليات، لأن لهجاتهم التي يتحدثون بها تبدو وكأنها رطانة جديدة، فلا يفهمها غير أصحابها هذا شيء محزن، والأشد منه حزنًا أن ترى الطالب العربي -الذي يفترض فيه الغيرة على لغته- يهزأ من الطالب الوافد الذي يكلمه بالعربية الفصحى، وربما تدعوه المجاملة إلى التخاطب مع ذلك الوافد بلغة ملحونة يمعن هو في الإسفاف بها إلى مستوى العجمة ظنًّا منه بأنها لغة التخاطب التي يجب عليه أن يتوصل بها إلى المستوى المعرفي لمخاطبة غير العربي، فيتجلى بلغة لا تحترم الذوق ولا الإدراك، ولا تقوم على أي أساس من المنطق اللغوي، كما أنها لا تستند على القياس الذي قامت عليه العربية أول ما قامت.

وبالتجربة فإن كثيرًا من أبنائنا العرب أصبح يخجل من القراءة في الكتاب أمام هؤلاء الأعاجم، لا سيما أولئك الذين أحرزوا تقدمًا في التحصيل اللغوي، وحسبك أن تسمع من الطالب الأفريقي أو الصيني أو غيرهما لغة سليمة في التخاطب والحوار، ولغة معربة رشيقة وهو يتسابق مع الخطباء في المسابقات التي تعقد في الخطابة وقراءة الشعر بله حفظ كتاب الله العظيم، وهذا يدعونا إلى التفكير في دعوى المقدسي بأن أصح العربية يتكلم بها في المشرق، أي في الأقليم اللغوي الفارسي لأنهم يتكلفونها تكلفا ويتعلمونها تلقفا[١].

أعود لأقرر أن هذه السلبية التي تظهر على لغة شبابنا لا تفسير لها غير الانهزام الذاتي، وعدم استشعار العزة التي كان يعيشها أسلافنا، حيث كانوا يعتزون بعروبتهم ويستهجنون العجمة ومن لهج بها، أما الجيل الحاضر فلا غرو أنه يقدم احترامه لمن مزج العربية الملحونة ببعض الألفاظ الأجنبية لا سيما الغربية منها، من إنجليزية أو

---

(١) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص٣٢.

فرنسية أو ألمانية، ليدل على سعة ثقافته، ومدى تحضره، وأظنه لن يقابل بالاحترام لو لهج بلكنة هوساوية أو أوردية، أو حتى صينية، لأنه لا يرى في هذه اللغات دليل تحضر يضفي إلى شخصيته هالة الاحترام الذي تضفيه عليها اللغات الغربية، فليت شعري كيف يستبدلون بالعزة الذل، ليتهم يعلمون مدى تقدير المثقفين الغربيين وغيرهم لهذه اللغة، يقول المستشرق فيشر: "باستثناء الصين، لا يحق لشعب أن يفخر بلغته غير العرب"[١].

إننا نفخر ببناء هذه اللغة وطرائق نظمها اللفظي، ونفخر بالفكر الذي حملته عبر السنين، والنسق الناصح الذي تحملها الألفاظ، فهي سهلة التأليف، سليمة المراد، عالية الرونق رقيقة الحواشي، تسابق السمع إلى النفس، لا تحوج مستعملها إلى تأويل، ولا تشق عليه بغموض[٢].

إلا أن معرفة العربية، سليقة وطبعًا، تختلف عن فهمها صناعة وقانونًا، ونحن اليوم إنما نحاول معرفة مواطن الصعوبة في هذه اللغة أفي اللغة نفسها هي أم في قوانينها وصناعتها؟!

ومن أجل ذلك يجمل بنا أن نقرر أن الصعوبة التي يشتكي منها المشتكون إنما هي في النُّظم والقوانين التي استخرجها علماء العربية بالاستقراء والسماع، واستنتجوها بالممارسة والحكمة، وتنافسوا في حذقها والتعليل لها، وصارت مدارسهم في هذا الميدان معروفة مشهورة، وليست الصعوبة في ملكه اللسان العربي، ولا اللغة من حيث هي تركيب ونظم وبناء ومخارج أصوات وأداة تعبير، ووسيلة إفهام، ورونق فكرة، أو حمل رسالة - فاكتساب ملكة اللسان العربي هي غير صناعة العربية، وأن هذه الملكة مستغنية عن تلك الصناعة بالجملة- كما يقرر ابن خلدون[٣].

ولكي نعرف هذه الحقيقة ينبغي أن نفرق بين اللغة ملكة وسليقة واللغة صناعة وقوالب مقننة.

يقول ابن خلدون: "صناعة العربية إنما هي معرفة قوانين هذه الملكة ومقاييسها خاصة فهو علم بكيفية لا نفس كيفية، فليست نفس الملكة وإنما هي بمثابة من يعرف صناعة من الصنائع علمًا، ولا يحكمها عملاً...، وهكذا العلم بقوانين الإعراب مع هذه الملكة في نفسها، فإن العلم بقوانين الإعراب إنما هو علم بكيفية العمل، ولذلك نجد كثيرًا

---

(١) المعجم الكبير، ص٢ المقدمة.
(٢) انظر: الإمتاع والمؤانسة، ج٢، ص١٤١- ١٤٢.
(٣) انظر: مقدمة ابن خلدون، ص٥٦٠.

من جهابذة النحاة المهرة في صناعة العربية المحيطين علمًا بتلك القوانين إذا سئل في كتابة سطرين إلى أخيه، أو ذي مودّته، أو شكوى ظلامة، أو قصدًا من قصوده أخطأ فيها عن الصواب، وأكثر من اللحن، ولم يُجد تأليف الكلام"[١].

وبالمقابل "نجد من يحسن هذه الملكة، ويجيد الفنين من المنظوم والمنثور وهو لا يحسن إعراب الفاعل من المفعول ولا المفعول من المجرور، ولا شيئًا من قوانين صناعة العربية[٢].

وهذا يدعونا إلى أن نفكر في أقرب السبل لإكساب المتعلمين ملكة اللغة، ثم تعليمهم قوانينها وصناعتها ليصلوا إلى الحسنيين إلا أن مدارسنا وجامعاتنا لا تأخذ أهمية غرس الملكة أولاً بعين الاعتبار فتراها تلقي إلى الناشئة قوالب صماء في شكل قوانين ملزمة، خلت من الحسّ اللغوي، وابتعدت عن ماهية اللغة، وصرفت الدارسين إلى حفظ تلك القوالب خلوًا من الشواهد، بعيدة عن الممارسة، يستظهرها المتعلم منفصلة عن اللغة نفسها، فتراه كمن تشرح له طرق السباحة شرحًا نظريًا وهو لا يعرف الماء الغزير ولم يجرب السباحة فيه حتى إذا ألقي في اليم غرق ولم تسعفه معارفه النظرية، أو كالنجار الذي لم يمارس النجارة قط، ويشرح لـه كيفية استعمال المنشار في تقطيع الخشب، وصناعة الأبواب أو غيرها، فإذا جاء إلى تطبيق ذلك عمليًا رأيته عاجزًا عن كل شيء.

يقول الدكتور المخزومي رحمه الله: "إن أمثال هذه الصنعة أصبحت ضربًا من الرياضة العقلية البائسة، وصار النحو عند بعض النحاة مجموعة من الأصول النظرية الجافة، ويبالغون في تحكيم المنطق والاعتبارات الفلسفية في الدرس النحوي"[٣].

فاللغة إذن تعني الممارسة، وهذه الممارسة لا بد أن تكون موجهة، وإذا كنا نريد تكوين ملكة اللسان العربي، فلا بد من "إقامة علاقة عشق بين الدارس والنحو" فإن قامت هذه العلاقة فإنه يصبح بالإمكان الإقبال على تعليم القواعد العربية بأي أسلوب من أساليب تدريس العربية"[٤].

وهذا العشق إنما يتكون بتوجيه المتعلمين إلى تراثنا العربي شعره ونثره قراءة في فهم، وحفظًا في وعي، وسيجدون في النماذج الشعرية وأمثال العرب وخطبها، وما حفظ

---

(١) مقدمة ابن خلدون، ص٥٦٠.
(٢) المصدر السابق نفسه، ص٥٦٠.
(٣) أعلام النحو العربي، ص٧.
(٤) انظر: تيسير قواعد اللغة العربية، مجلة مجمع اللغة العربية ، مج٧٣، ج٤، ص٨٩٠- ٨٩١.

لنا من تراكيب كلامها ما إذا فهم معناه، أداة تحثهم على الاستزادة منه، فإذا أكثروا من التدريب على قراءته، واستمرأوه، سهل عليهم محاكاته، وانقطعت نفوسهم إليه، وأصبح من اليسير عليهم تطبيق قوانينه النظرية على شواهده الشعرية، وهكذا، وبذلك نكون قد زودناهم بالملكة المطلوبة والدراسة بأسرار اللغة وقوانينها الصناعية، في أسلوب تكاملي يربط بين النظرية والتطبيق ولا يفصل بين علوم العربية أو ينظر إليها وكأنها قوالب منعزل بعضها عن بعض، بل يبحث الصرف إلى جانب النحو إلى جانب علم البيان، ليحسّ أن هذه العلوم روافد للملكة المنشودة، واللغة الفصيحة المطلوبة، وليزيل عن نفسه الخوف من تعلم النحو منفصلاً عن غيره من علوم العربية.

"إن علينا أن نغرس في الناشئة حب الفصحى، وحب الأدب العربي أولاً، ونساعدهم على تذوقه قبل الشروع في وسائل حذق صناعته واستخلاص القواعد النحوية التي تحتاج في استنباطها إلى الدربة والأذهان القوية"[١].

وإذا كنا نسعى لأن يصبح نحونا العربي فطرة لا فطنة[٢] فإن علينا أن ننظر في الأسس التي نبني عليها تعليم اللغة للنشء، ونتعرف العناصر المؤثرة في العملية التعليمية والتربية اللغوية.

فأولها المنْزل، وثانيها المدرسة بما فيها من (معلم وكتاب وخطط منهجية)، **وثالثها: المجتمع** ومؤسساته المختلفة وما ينتج عنه من استعمال لغوي موجَّه وغير موجَّه، فالموجَّه يكون في الإعلام بأشكاله المختلفة، وغير الموجَّه يتمثل في السلوك اللغوي الذي يطرق آذان النشء في الشارع والحارة والسوق والمدرسة والملعب.

هذه العناصر مجتمعة تلعب دورًا كبيرًا في التنشئة اللغوية -إن لم تكن هي نفسها المسؤولة مسؤولية كلية عنها- وكل عنصر يعد أساسًا ورافدًا لغيره من العناصر ولا يمكن فصلها عن بعض، كما لا يمكن تجاهل تأثيرها جميعًا في تكوين الطفل نفسيًا وفكريًا ولغويًا ومعرفيًا وتأهيله اجتماعيًا، ومن أجل ذلك كان على كل منها أن يعي دوره في هذا التكوين، وأن يضطلع بمسؤوليته، وألاَّ يحاول التخلي عن دوره، أو إسناد مهمته إلى غيره، كما أن عليه ألا يقوض بناء الإيجابيات التي غرستها العناصر الأخرى، فذلك سيعود سلبًا على الطفل، وحسبنا أن نتمثل في هذا المقام قول الشاعر:

---

[١] أثر الشعر في تربية الملكة اللسانية والأدبية: بحوث ندوة ظاهرة الضعف اللغوي في المرحلة الجامعية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، مج٣، ص٢٠٣.

[٢] انظر: الإمتاع والمؤانسة، ج٢، ص١٣٩.

مَتَى يَبْلُغُ البُنْيَانُ يَومًا تَمَامَهُ إذَا كُنْتَ تَبْنِيْهِ وغَيْرُكَ يَهْدِمُ.؟

ولعل لنا وقفة سريعة عند كل عنصر من هذه العناصر نسلط فيه الضوء على دوره في إرساء بناء الملكة اللغوية:

فالمنْزل: هو أول هذه العناصر وتأثيره في تكوين الملكة اللغوية لا يمكن تجاهله، إذ فيه يبدأ بناء الطفل جسميًا وعقليًا ولغويًا، ويمكن أن يغرس المنْزل اللغة الفصحى في الطفل عند بدء مرحلة النطق، وإكسابه لغة ناصعة خالية من العجمة والتلوث اللغوي، فإذا نشأ الطفل، وهو لا يسمع إلا لفظًا فصيحًا، وبناء لغويًا سويًا، شبَّ وقد تكونت لديه القاعدة المتينة التي تتقبل الطيّب من القول، والمستقيم من التراكيب، وتكون الملكة الكلامية قد حصلت على قسط لا بأس به من المران، الأمر الذي يحفزها لمزيد من الاكتساب إذا قدمت إلى المجتمع المدرسي الجديد.

إن دور الأبوين لا يقف عند حد التغذية والتدجين أو توجيه الطفل دينيًا وحسب، بل يتعدى ذلك إلى حماية لسانه من التلوث اللغوي، وبناء الحصانة اللازمة للملكة اللفظية الصحيحة، ومن العجب أن كثيرًا من المنازل لا ينتبه إلى هذه الرسالة معولاً على المدرسة، وأنه يرى أن عليه الرعاية الصحية، والسلوكية المحدودة، أما رعايته لغويًا فإن المعلم سيمارس ذلك وعليه تقع المسؤولية، وأقول للأسرة: إن اللبنات اللغوية الأولى تبنى على أيديكم في المنْزل، فإن وضعت وضعًا سليمًا استطعنا إقامة بنيان متين عليها، واستطعنا الارتقاء في البناء دون خوف أو وجل، أما إن فرطنا في الأساس فسوف يخر البناء إذا رفعنا أعمدته، لأنه لم يقم على قواعد متينة، فليع المنْزل رسالته، وليقم بمسؤوليته، ولا يستهن بقدرة الطفل في التلقي التلقائي في المرحلة العمرية الأولى، فكما أنها مرحلة بناء عقيدي ديني، فكذلك هي مرحلة تأسيس لغوي وفكري أيضًا.

أما المدرسة فهي المحطة الثانية في عمر الناشئة، وهي أولى محطات المجتمع بعد المنْزل، نقذف إليها فلذات أكبادنا متلهفين لأن نراهم قد أحرزوا السبق الفكري، والتحصيل العلمي، وحصلوا ما يحتاجون من معارف ومهارات، وقد نلقي بالحمل كله على هذه المؤسسة لما يتوفر فيها من خبرات بشرية واعية مؤهلة ومناهج موجهة، وخطط صيغت باهتمام وعناية لتنشئة الطفل السوي، القادر على حمل الرسالة في المستقبل، إلا أنه ينبغي أن نعي أن "دور المعلم في أسباب الضعف [اللغوي] قليل، لا سيما في المراحل التعليمية الأولى، قياسًا على ما حصله الطفل في مراحل التعليم من

ثقافة، وما هو عليه من مستوى لغوي قبل الدراسة[١].

وفي المرحلة التعليمية الأولية ينبغي ألا ننسى استمرار تعلق الطفل بالمنْزل واعتماده الكبير على والديه وإخوته في تنمية معارفه بصفة عامة واللغوية بصفة خاصة، ولهذا كان علينا ألاَّ نلقي على المدرسة في هذه المرحلة عبئًا أكبر مما تتحمل، أو نلقي المسؤولية كلها عليها، لا سيما ونحن نعلم أن الطالب لا يمكث فيها غير ربع ساعات حياته اليومية، أما الأرباع الثلاثة الأخرى فيقضيها في كنف الأسرة لكن هذا لا يعفي المدرسة من مسؤوليتها.

وبالنظر إلى الجانب اللغوي فدور المدرسة فيه هام وخطير، فإذا سلمنا بتوفر الكفاءات البشرية المدرَّبة، ذات الخبرات التربوية والعلمية، المدركة لحاجات الطفل النفسية، وكذا المناهج المدرسية المعدَّة إعدادًا تربويًّا يتناسب ومدارك الطلاب في مراحلهم المختلفة، فضلاً عن المكان المناسب بما يحويه من متطلبات الراحة النفسية والبدنية للطفل، فإنا ننتظر من المعلم عطاء يتناسب والإمكانات المتوفرة له، وخير طريق يسلكه لذلك العطاء هو أن يجعل من نفسه قدوة صالحة لطلابه، لا في السلوك وحده، بل في التعلم، وعلى الأخص في ممارسة اللغة واستعمالها لغة تفاهم أو اتصال. إذ يطلب منه استعمال اللفظ الفصيح والابتعاد عن الهجين، وترك اللهجة ما استطاع إلى ذلك سبيلاً، وهذا لا يعني أن يتقعر في ألفاظه، فتنفر منه النفوس، وتمله الأسماع، ويقل تقبله عند الطلاب.

هذا في حال الخطاب، أما في حال الدرس فإن على المدرس ألا يلقي دروس العربية في قوالب جامدة، ويفرض على الطلاب حفظها أو ترديدها، فهو بهذا كمن يطعمهم العلقم، أو يلقمهم الحجارة، ويقسرهم على مائدة تكرهها نفوسهم.

وإذا كان التربويون يقررون أن الأسلوب هو الرجل، وأن أسلوب المعلم لا يكشف عن علمه وحسب، بل يكشف عن عقله وقدراته التي تتطلبها مهنته فإن أسلوب تعليم العربية ينبغي ألا يحدّ أو يفرض على المعلم، بل تترك له الحرية في التفنن في أساليب الإفهام، وذلك بعد غرس روح المحبة للتراث اللغوي في نفس الطالب، وألا يوحي المعلم إلى الطالب بصعوبة موضوعات اللغة، أو يبالغ في تضخيم مشكلاتها، فيهم الطالب بتلقي صعوبة المادة قبل المادة نفسها، وعندئذ ينصرف الطالب يائساً من التحصيل، وتتراءى

---

[١] أثر الشعر في تربية الملكة اللسانية والأدبية، ج٣، ص٢٠٣.

لـه شبحاً مخيفاً تنفر منـه نفسه، فيحل العداء محل المودة، وينشأ النفور على رفات الاستعداد للتقبل، لكن إذا هون المعلم على طلابه الأمر، وأزال عنهم شبح الخوف من توعر مسالك النحو، وربط بين ما يريد نقله إليهم من معارف لغوية، وبعض الجوانب التراثية المحببة إلى نفوسهم كأن يكون النص المطروح للدارسين مرتبطًا بقصة معينة، أو حادثة، أو نحو ذلك، مما تنساق إليه طباعهم وتنقاد نحوه أهواؤهم، فعندئذ تكون التهيئة لتقبله كما تتهيأ الأرض الخصبة للري والإنبات، ويكون المعلم بذلك قد أدرك فضيلتين:

الأولى: ربط المتعلم بتراث أمته، ذلك التراث الذي تنساق إليه نفسه فطريًّا، وتهواه غريزيًّا.

الثانية: الوصول إلى الهدف الأسمى، وهو تكوين الملكة اللغوية لدى الطفل، في أسلوب خال من الجفاف الذي ينشأ من تلقي قواعد اللغة مجردة من روح اللغة نفسها، أو تجشمه تعلم قوانينها في قوالب لا تحس فيها نوع الحياة اللغوية، أو تشعر بالتفاعل بينها وبين المتعلم.

وتعجبني في هذا المقام مقولة صدرت عن طه حسين إذ يقول: "إن إحياء النحو لا يتأتى إلا من طريقين:

أحدهما: أن يقربه النحاة من العقل الحديث، ليفهمه ويسيغه ويتمثله، ويجري عليه تفكيره إذا فكر، ولسانه إذا تكلم، وقلمه إذا كتب.

وثانيهما: أن تشيع فيه هذه القوة التي تحب إلى النفوس درسه، ومناقشة مسائله، والجدال في أصوله وفروعه، وتضطر الناس إلى أن يعنوا به بعد أن أهملوه، ويخوضوا فيه بعد أن أعرضوا عنه"[١].

وإذا كان هدفنا جميعًا تيسير النحو فلنحذر مزالق التيسير غير العملية، فمبدأ حذف بعض أبواب النحو مرفوض، إذ لو فتح هذا الباب لقطع النحو أوصالاً، ولحذف جزء منه في كل زمان، ولتطايرت أبوابه واحدًا بعد الآخر تبعًا للأهواء والتقديرات، ولكن الذي نراه في شأن التيسير هو مراعاة حاجة المتعلم في كل مرحلة من مراحل التلقي، فلا يعطى فوق ما يحتمل. كما لا ينبغي استهجان عقل المتعلم وتعرضه لمعلومة يشعر معها بالاستخفاف بقدراته الفكرية، فينصرف عن التحصيل الجاد ويزهد في العلم كله.

---

(١) نقلاً عن: تيسير قواعد اللغة العربية، مجلة مجمع اللغة العربية ، مج٧٣، ج٤، ص٨٨٧.

وبالمقابل ينبغي تجنب الإسراف في إثارة القضايا الفكرية العميقة ذات القواعد المغرقة في الدقة والغموض، وأن يشعر المتعلم، وهو يتلقى المعلومة النحوية أنها تخدم بابًا في اللغة التي يحتاجها في حياته اليومية، فتقرب له بشكل تطبيقي يلامس حاجته الفكرية والاتصالية، ويكون هدفها البعيد إكسابه المهارة اللغوية، وترسيخ ملكة الفصحى لديه، بعيدًا عن التعمق في الخلافات التي تزعزع ثقته فيها يطرح عليه من قوانين، وما يراد له من تحصيل، على أن يفتح أمامه باب الاستزادة في التعمق إن رأى إلى ذلك حاجة، أو إن كانت قدراته العقلية تلح عليه في التعمق العلمي، والبحث في العلل والأعاريب المختلفة من تقديري، أو حذف، أو محل، أو غير ذلك.

وإن أحسن وسيلة لبلوغ ذلك هو استدعاء النصوص العربية من منظوم ومنثور ليكون التطبيق عليها، ولكي نستخرج القواعد والقوانين منها، لا أن يقف المعلم عند سرد أمثلة مجردة من المعاني خالية من الأهداف، إلا هدف القاعدة النحوية، فيلقيها على المتعلم الذي ربما ظنَّ أن حفظ تلك القوالب هو النحو بعينه، أو هو العربية التي ينبغي عليه درسها وفهمها.

وعلى معلم العربية أن يراعي عدم الفصل بين علومها، وقد أدرك هذا التلازم كثرة كاثرة من المشتغلين بهذه العلوم، فنادوا بألا يدرس فرع بمعزل عن الفروع الأخرى[١].

أن تكون الملكة اللغوية أمر ليس باليسير، ولكنه ليس مستحيلاً إذا اتبع فيه المنهج التكاملي المبني على حسن اختيار النصوص، وتوجيه الناشئة إليها، يقول ابن خلدون: "وجه التعليم لمن يبتغي هذه الملكة، ويروم تحصيلها أن يأخذ نفسه بحفظ كلامهم القديم الجاري على ألسنتهم من القرآن والسنة، وكلام السلف، ومخاطبات فحول العرب في أسجاعهم وأشعارهم، وكلمات المولدين أيضًا في سائر فنونهم، حتى يتنَزل لكثرة حفظه لكلامهم من المنظوم والمنثور منْزلة من عاش بينهم، ولقن العبارة عن المقاصد منهم ... فتحصل له هذه الملكة بهذا الحفظ والاستعمال ..."[٢].

ويقول: "إن حصول ملكة اللسان العربي إنما هو بكثرة الحفظ من كلام العرب، حتى يرتسم في خياله المنوال الذي نسجوا عليه تراكيبهم فينسج هو عليه، ويتنَزل بذلك منْزلة من نشأ منهم وخالط عباراتهم في كلامهم، حتى حصلت له الملكة المستقرة في العبارة

(١) انظر: تيسير مباحث النحو والصرف، مجلة مجمع اللغة العربية، مج٧٣، ج٤، ص٩٠٠- ٩٠٨.
(٢) مقدمة ابن خلدون، ص٥٥٩.

عن المقاصد على نحو كلامهم"[١].

وهذا يعني اشتمال النصوص المختارة على أهداف لغوية ونحوية وصرفية ودلالية وتربوية، لأن هدفنا الأسمى تكوين الشخصية ذات الفاعلية الإيجابية في الحياة، ولسنا بهدف تزويد المجتمع بشخصيات مقبولة لا تتعدى كل منها القالب الذي اختيرت لـه، أو وضعت نفسها فيه، فالحياة الاجتماعية تتطلب الشخصية المرنة ذات المواهب المتعددة، والإيجابيات المتنوعة، يقول الجاحظ: "طلبت علم الشعر من الأصمعي، فوجدته لا يحسن إلا غريبه، فرجعت إلى الأخفش، فوجدته لا ينقل إلا ما اتصل بالأخبار، وتعلق بالأيام، والأنساب، فلم أظفر بما أردت إلا عند أدباء الكتاب"[٢].

والكلام في هذا الباب كثير، ولولا خشية الإطالة لطرزت هذا البحث بجميل أقوال السلف في الحث على اكتساب الملكة اللغوية عن طريق مدارسة كتب التراث، لأنها إلى الفصحى أقرب، كما هي إلى المتكلمين بها سليقة أشد قربا.

على أن هناك مجالاً في المدرسة لا ينبغي تجاهله في ميدان تنمية الثروة اللغوية عند المتعلم، والارتقاء بملكته اللسانية إلى فصيح اللفظ وسلامة القول، وهو استغلال النشاط اللاصفي كمنبر الإذاعة والمسرح المدرسي وتدريب الطلاب على الإلقاء السليم، وتعويدهم على قراءة الشعر ونصوص الأدب الراقية لفظًا ومضمونًا حتى تصبح الفصاحة لهم عادة، ويزول عنهم الخوف من خوض غمار الفصحى، وتختفي ظاهرة الاعتذار عن القدرة على الإعراب التي طالما رددها كثير من الخطباء حتى أولئك الذين يحملون الدرجات العلمية العالية.

أما المجتمع، فتأثيره على اللسان لا ينكر، فالطفل منذ أن يدرج على الأرض، ويخالط أترابه في الحارة، وأقرانه في الملعب والعامة في السوق، يلتقط منهم اللغة دون انتقاء، فتتشكل شخصيته اللغوية بشكل متسارع لا يستطيع أحد السيطرة عليه، أو تنظيمه، أو إهماله.

وبما أن المجتمع بمؤسساته المختلفة مسؤول عن التأثير في أفراده لا في المجال اللغوي وحده، بل في كل المجالات، كان على المجتمع الذي يسعى لبناء الشخصية السوية أن يحرص على ما يفرزه من عطاءات في الخلق، والدين، واللغة، ليكون المواطن سويًّا، متفاعلاً مع غيره، يعطي كما يأخذ، ويبني ويرتق، بعيدًا عن السلبية

---

[١] المصدر السابق، ص٥٦١.

[٢] البيان والتبيين، ج١، ص١٨٠.

الممقوتة.

وفي الجانب اللغوي يظهر دور المجتمع في إكساب الفرد لغة مجتمعه، ومميزاتها اللهجية، ولا أدل على ذلك من اختصاص كل بيئة بلهجتها الخاصة وقاموسها اللغوي الذي يميزها عن غيرها من البيئات، وإذا كنا جادين في البحث عن الوحدة العربية الصحيحة، فحري بنا أن نبدأ باللغة، ولن يوحد العرب من خليجها إلى محيطها غير الفصحى، لكن هذه المطالب الشاقة في زمان نشطت فيه العاميات، وبرزت الأبواق تزين للناس جمالها، وربما أحالت إليها التفرد بصنع الهوية، أو حملها تراث الشعوب، ناسين أن الإقليمية في جميع صورها لا تدعو إلا إلى التشرذم والضعف، وأن هوية الأمة في عربيتها التي توحّد شعوبها، وتصنع حاضرها بسواعد مجتمعة، كما بنته في الماضي، وحملت ثقافتها إلى أقاصي الشرق والغرب.

ويأتي الإعلام بصوره المختلفة من مرئي ومسموع ومقروء على رأس القائمة المؤثرة في لغة الناشئة، فهو "من أجدى الطرق لتعلم الناشئة لغتها وبيانها، فاللغة تؤخذ بالسماع والمحاكاة، فإذا التزمت وسائل الإعلام الصواب قومت الألسنة، وعودت سامعيها إحسان الحديث، وأغنت ذخيرتهم اللغوية ورفعت من أساليبهم"[١]، والواقع أن الإعلام يعد السلطة الرابعة -كما يقولون-[٢]، وقد أصبح جزءًا من حياتنا اليومية، ولا ينفصل عن أي منْزل، لاسيما، وقد غطت الفضائيات العالمية المعمورة، ودخلت بغثها وسمينها إلى المنازل، وأصبح تأثيرها الفكري واللغوي والخلقي لا يخفى على كل ذي بصيرة، من أجل ذلك كان على إعلامنا العربي رسالة الارتقاء بمستوى مخرجاته كلها دون استثناء، لأنه لم يعد دوره تثقيفيًّا توعويًّا وحسب، بل تعداه إلى أن يكون دفاعيًّا كذلك، إذ عليه التصدي للسموم التي تنفثها الأبواق المعادية للعرب والعربية، ومقارعة الحجة بالحجة، والتنبه لمراكز الغزو الفكري لصدّ كل هجوم يستهدف ناشئتنا في لغتها وخلقها.

وإذا كانت الإعلام العربي بهذا الحجم، فإن عليه أن يبدأ بتصحيح نفسه -لغة وفكرًا- وأن يحث الخطى في استرعاء انتباه الشبيبة بالبرامج المؤثرة ذوقيًّا وفكريًّا ولغويًّا، وألا تتيح الفرصة للقنوات المغرضة فتغرقه في وحلها، وتصيب الأمة في أغلى ما تملك وهو شبابها.

---

(١) اللغة العربية والإعلام، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، مج٧٤، ج٤، ص٧٨٨.

(٢) السلطات الثلاث الأخرى هي: السلطة التشريعية، والتنفيذية، والقضائية.

إن ما نلاحظه على إعلامنا العربي المسموع والمرئي توجهه المحلي سواء فيما يطرح من قضايا، أو الوسيلة اللغوية في ذلك الطرح، وكأن كل إذاعة، أو تلفاز لا يهمها إلا النطاق الإقليمي الضيق، والمحيط القطري الذي تمثله، أما أن يشعر القائمون عليه أنهم يخاطبون العرب قاطبة (من الشام لبغداد، ومن نجد إلى اليمن إلى مصر فتطوان)، فذلك نسوه، ولم يعيروه أي اهتمام. فتركزت العاميات واللهجات المحلية كل في محيطه، حتى صرنا لا نسمع من محطات البلاد الشقيقة إلا الأخبار، لأنها الوحيدة التي تبث بالفصحى.

إننا بحاجة إلى إعلام يخاطب العربي في كل موقع، ولن يخاطبه إلا إذا أصلح لغته، "ورحم الله امرأً أصلح من لسانه"، على أن ما يبث حاليًا لا يأخذ بالاعتبار الأهمية اللغوية التي يمكن أن يبنيها، أو يهدمها في المجتمع، وكأنه نسي أو تناسي دوره الأساسي في نشر اللغة، ومعالجة القضايا الفكرية التي تمس حاجة الأمة كلها.

إن ما يطرق مسامعنا اليوم من وسائل الإعلام -إلا قليلاً- إما لغة ملحونة يظنونها صحيحة، وإما لهجات مغرقة في المحلية التي لا يفهمها، إلا قطاع قليل من المستقبلين، ولست بحاجة إلى ضرب الأمثلة، لأنها ممارسات كثيرة، أخطاؤها فاشية في النطق ومخارج الأصوات، حيث توسعوا في حروف القلقلة فأدخلوا فيها الضاد والراء، أما بناء الكلمة فحدث ولا حرج، فهم يلحنون في نطقها ويخالفون العامة في ذلك ظناً منهم أنهم نهجوا الطريق الصحيح، وتجنبوا ما عليه العوام من النطق، وما علموا أنهم بذلك التفاصح إنما جانبوا الصواب، وابتدعوا لحنًا ربما أثر بكثرة تكراره على الكلمة اللغوية عند المتلقين، فهم يقولون مثلاً[1]: التجرُبة -بضم الراء- ويجمعونها مع الضم أيضًا، والصواب كسرها في الحالتين، كما يقولون: الشريعة السمحاء بألف وهمز بعده، والصواب بتاء التأنيث، ويقولون: "واقعنا المُعاش"، وهم يعنون "المعايش" من عايش، أو "المعيش" من "عاش"، ومثله قولهم: "السلعة المباعة"، وهم يعنون "المبيعة"، لأن الفعل "باع - يبيع"، واسم المفعول منه "مبيع"، ومثل ذلك قولهم: "اللُّجنة" بضم اللام المشددة، ويتركون للعامة الصواب وهو الفتح. كما تتفشى أخطاؤهم في التراكيب على نحو قولهم: "لا زال الوضع متوترًا"، وهم يريدون الاستمرار وهذا خطأ، فالفعل الماضي ينفي "بلا" في موضعين:

---

[1] انظر في هذه الأمثلة: أثر وسائل الإعلام المقروءة والمسموعة والمرئية في نشر الأخطاء: بحوث ندوة ظاهرة الضعف اللغوي في المرحلة الجامعية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ج٤، ص١٢- ١٧.

الأول: أن يكون الفعل الماضي مكررًا كما في قوله تعالى: ﴿فَلا صَدَّقَ وَلا صَلَّى﴾.

والثاني: أن يكون الفعل الماضي دعاء، نحو "لا قدّر الله"، لا سمح الله".

ومن أمثلة أخطائهم في التراكيب قولهم في النفي: "سوف لا"، و"سوف لن"، والصواب النفي بلن.

ويقولون: "القرار رقم كذا"، وهم يقصدون "القرار ذا الرقم كذا". أما في مجال الدلالة فأخطاؤهم لا تُعد، فتراهم يقولون: " فضلاً عن كذا" وهم يريدون "بالإضافة إلى كذا" ناوين استبعاد الأدنى وإرادة استحالة ما فوقه نحو: "فلان لا يملك درهمًا فضلاً عن دينار"، أي لا يملك درهمًا ولا دينارًا، وكأنه يقول: "فلان لا يملك درهمًا فكيف يملك دينارًا"، ويقولون: "هذا سوء تفاهم"، وهم يعنون "سوء فهم"، إلى غير ذلك من الأخطاء التي أخذت تتركز في ذاكرة المستمع، حتى ظن الصواب خطأ، واستمرأ الخطأ ولم يعد ينكره.

أما في مجال الصحافة فالقول يطول، لأن الكتَّاب لا تحكمهم ثقافة واحدة، ولا أهداف معينة، فكل كاتب لا يرى إلا الصواب فيما يطرح، والصحف تلتهم ذلك دون أن تحسن الاختيار في المضمون، أو الشكل، وكأنها لا تعتبر شأنًا لعقل القارئ ولا تحترمه، بل تراها أحيانًا تمارس بعض الاستعمالات ظنًّا منها بالتجديد الذي تفرضه الثقافة المعاصرة، فهناك تقديم المتأخر دون ضابط، وعود الضمير على متقدم مجهول، وكأن القاعدة عندهم هي الأزورار عن قواعد العربية، والميل نحو الأساليب التي تعكس التأثر بالترجمة، ناهيك الإعلانات ونشرها كما يريد أصحابها، دون اكتراث باللغة، أو الإملاء، وربما خالطها ألفاظ أجنبية محلاة بالحرف العربي. لقد كانت الصحافة في القرن العشرين منبرًا للثقافة، ورافدًا للتعلم، ومنارة إشعاع فكري، واليوم على كثرتها وتطورها أصبحت خواء من الفكر والثقافة، وقد لا يفيد القارئ إلا فيما تنقل أخبار ونحوها.

إن الإعلام أهم وسيلة في غرس الثقافة اللغوية في المجتمع، فمتى نرى إعلامنا العربي، وقد تحمل مسئوليته تجاه هذه اللغة، ونجح في تقويم اللسان وهو قادر عليه إن هو توجه إلى ذلك؟!!

وبعد: فهذه إضاءة يسيرة على دور الإعلام في تشكيل اللغة، وفي الجعبة مزيدٌ من القول، ولكن الإشارة تكفي ذا البصيرة. والله من وراء القصد.

الياء المحذوفة في القرآن الكريم

أ.د. عوض بن حمد القوزي

قسم اللغة العربية-كلية الآداب

جامعة الملك سعود-الرياض

ملخص

تبحث هذه الدراسة جزئية لها دور في الدراسات القرآنية، ومن خلالها يقف القارئ على مذاهب العرب في الحذف بدءًا من حذفهم الجملة، فالكلمة، فالحرف، فالحركة، ثم يتبين دور الوقف في مسألة الحذف، وما تمثله رؤوس الآي عند القراء من شبه بالقوافي عند الشعراء. لقد وقفت عند الياءات المختلف في إثباتها وحذفها وهي المسماة (ياءات الزيادة) فكان أن تناولت هذه الدراسة تحرير معنى (الزيادة)، وأنها لا تعني ما عرف عند النحاة من أن الزائد دخوله كخروجه، بل عنت ما زيد عن رسم المصاحف، مما يقتضيه بناء الكلمة، أو الإعراب، وأن هذه الياءات تكون في الأسماء والأفعال، كما تكون في رؤوس الآي وحشوها، وفواصل الوقف وتمامه. ومن خلال الدراسة تباينت أسباب اختلاف القراء في إثبات الياءات أو حذفها، فالذي يثبتها إنما يثبتها على الأصل في بنية الكلمة، وأما الذي يحذفها فإمّا أن يكون متبعًا الرسم، وإما أن يكون حذفها تخفيفًا بدلالة الكسرة التي قبلها عليها، وقد يكون الحذف في الوقف دون الوصل. على أن بعض الحذف كان له وجه عند النحاة، بل إن بعضه كان له شواهده من لهجات العرب كالتي تقف عند نون الوقاية وتحذف الياء بعدها. ولم تغفل هذه الدراسة التفريق بين (ياءات الزيادة) و(ياءات الإضافة) فالأخيرة تتصل بالاسم وبالفعل والحرف، وخلاف القراء فيها لا يتعدى خلافهم في تحريكها بالفتح أو تسكينها، وهي كثيرة في القرآن الكري. كما لم تغفل الدراسة بيان قيمة الحذف من الناحية البلاغية، وأنه إيجاز، والعرب تحب الإيجاز، وتجعله من أسس الكلام البليغ، فهو واحد من أساليب البلاغة عند فصحاء العرب، وقد ظهر في هذا النوع من الحذف تميز القرآن بأسلوبه المعجز، وعلوه عن الشعر وسجع الكهان.

* * *

الحذف منهج تسلكه العرب في لغتها، لتعبر عن أغراض خاصة ترمي إليها، وهو أحد أساليب البلاغة عندها، وقد اهتم علماء اللغة العربية بتتبع مواطن الحذف، فوجدوا أن العرب تحذف الجملة، والكلمة، وبعض أجزاء الكلمة، أو يحذفون حرفًا واحدًا منها -وهو غالبًا ما يكون آخرًا- كما يحذفون الحركة أيضًا، وفرّقوا بين الحذف والإضمار، ثم بينهما وبين الإيجاز[١].

---

(١) الإضمار هو ما يبقى أثره بعد الترك، والحذف ما لا يبقى. أما الإيجاز فيعني العبارة عن الغرض بأقل ما يمكن من الحروف من غير إخلال. انظر: الرازي، فخر الدين، محمد بن عمر: نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، تحقيق

ولما كانت البلاغة هي الإيجاز، فإن الحذف هو مدار الإيجاز، وعادة ما يكون الحذف فيما لا يخلّ بالمعنى، ولا ينقص من البلاغة، ولابدّ من ظهور علامة تدل على المحذوف، فإن لم يكن هناك دلالة عليه، فإنه حينئذ يكون لغوًا، ولا يمكن الاعتماد عليه، كما لا يحكم عليه بكونه محذوفًا بحال[١].

وقد اهتم العلماء قديمًا وحديثًا بدراسة ظاهرة الحذف، والكشف عن مواطنها وأسرارها، ومظاهرها في لسان العرب، والقبائل التي تعمد إليها، ولم تقف جهودهم عند أشهر القبائل كقريش وتميم، بل تجاوزوا ذلك إلى دراسة منطق القبائل العربية غير الحجازية والتميمية[٢].

وباستقراء التراث اللغوي، نرى سعة الحذف في الجُمل، وقد يؤول ظهور المحذوف إلى نزول الكلام عن علوّ بلاغته، ولما كان الحذف فاشيًا في كتاب الله عزّ وجلّ، فلا غرابة إذن في علوّ أسلوبه وعلوّ منْزلته، ناهيك عن إعجازه. إلا أن الحذف في المفردات أو سع مجالاً منه في الجمل؛ لأن المفردات أخف في الاستعمال، وهذا ما دعا لكثرته فيها، فقد يحذف الفعل ويبقى فاعله دليلاً عليه، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ﴾[٣]، أو أن يحذف ويبقى مفعوله، كما في قوله تعالى: ﴿نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا﴾[٤].

وقد يكون الحذف لازمًا كما في المصادر، حين جعلوها عوضًا عن أفعالها، كقولهم: (حَمْدًا، وشكرًا) وغير ذلك كثير مما نقل بالسماع عنهم. أما من طريق القياس فقد نقل عنهم الحذف في المصادر المثناة، نحو (لَبَّيْكَ، وسَعْدَيْكَ) ونحوهما، أو ما جاء على جهة التشبيه في مثل قولهم (مَرَرْتُ به فإذا له صوتٌ صَوْتَ حمارٍ، وصُراخٌ صُراخَ الثَّكْلَى).

أمَّا الفاعل فالمختار منع حذفه، لعدم فصله عن فعله، وهو في كثير من الأمور

ودراسة: الدكتور بكري شيخ أمين، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ١٩٨٥م، ص٣٣٧- ٣٥١.

(١) العلوي اليمني، يحيى بن حمزة بن على بن إبراهيم: الطراز (المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز)، طبع بمطبعة المقتطف بمصر، ١٩١٤م/١٣٣٢هـ، ج٢، ص٩٢.

(٢) انظر: الجندي، علم الدين: اللهجات العربية في التراث، الدار العربية للكتاب، طرابلس بليبيا، طبعة جديدة، ١٩٨٣م.

(٣) سورة التوبة، الآية ٦.

(٤) سورة الشمس، الآية ١٣.

بمنْزلة الجزء من الفعل، وأنه معه كالجزء الواحد[١]، إلا أن بعضهم أجاز الحذف إذا دلت عليه دلالة حالية، أو مقالية، ففي قوله تعالى: ﴿كَلاَّ إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ﴾[٢] حذف الفاعل، وهو (النفس)، ولم يكن مضمرًا؛ لأنه لم يتقدم له ظاهر يفسره، وإنما دلت عليه القرينة الحالية، ومثله قوله تعالى: ﴿لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾[٣]، أي تقطع الأمر أو الوصل بينكم[٤]. قال مكي ابن أبي طالب: "وفي حرف ابن مسعود ما يدل على النصب فيه، قرأ ﴿لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾ وهذا لا يجوز فيه إلا النصب، لأنك ذكرت التقطّع، وهو ما كأنه قال: لقد تقطع الوصل بينكم[٥]، وهذا ما وصفه الفراء بأنه وجه الكلام[٦]، إلا أن أبا علي ذكر مذهبين في نصب (بينكم) في هذه الآية، أحدهما: إضمار الفاعل في الفعل، وكأنه قال: تقطّع الوصل بينكم، وتكون الدلالة حينئذ للحال، وهو بمنْزلة جري الذكر عليه وتقدمه، والمذهب الآخر: وهو مذهب الأخفش أبي الحسن، ومفاده: أن (البين) منصوب إلا أنه على معنى المرفوع، لأنه لمّا جرى في كلامهم منصوبًا ظرفًا تركوه على ما يكون عليه في أكثر الكلام[٧].

ومن حذف الفاعل في الشعر قول حاتم:

---

(١) انظر: ابن جني، أبوالفتح عثمان: اللمع في العربية، تقديم وتحقيق وتعليق: الدكتور حسين محمد شرف، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م، ص١١٥؛ انظر ابن جني، أبوالفتح عثمان: الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، دار الكتاب العربي، بيروت بلبنان، ١٣٧١هـ/ ١٩٥٢م، ج٢، ص٣٦٠- ٣٨١، فقد عقد ابن جني بابًا في الخصائص، تحدث فيه عن "شجاعة العربية"، وبين فيه أن معظم ذلك إنما هوالحذف، والزيادة، والتقديم والتأخير، والحمل على المعنى والتحريف، وعندما عالج (الحذف) درس مذاهب العرب في حذف الجملة والمفرد، والحرف، والحركة، وبين أن ذلك كله لا يكون إلا بدليل. وقد فصل المحذوفات بأدلتها وشواهدها، ولكنه لم يذكر الفاعل ضمن المحذوفات إلا ما حذف منه مع فعله، وهذا لا خلاف عليه عند جميع النحاة.

(٢) سورة القيامة، الآية ٢٦.

(٣) سورة الأنعام، الآية ٩٤.

(٤) انظر: ابن مجاهد: كتاب السبعة في القراءات، تحقيق: الدكتور شوقي ضيف، دار المعارف، بمصر، الطبعة الثانية، ١٤٠٠هـ، ص٢٦٣، فقد قرأ هذا الحرف نصبًا نافع، والكسائي، وروى حفص عن عاصم النصب أيضًا.

(٥) القيسي، مكيّ بن أبي طالب: كتاب الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، تحقيق الدكتور محيي الدين رمضان، مؤسسة الرسالة، بيروت بلبنان، الطبعة الثانية، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م، ج١، ص٤٤١.

(٦) الفراء، أبوزكريا، يحيى بن زياد: معاني القرآن، تحقيق: أحمد يوسف نجاتي، ومحمد علي النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٠م، ج١، ص٣٤٥.

(٧) الفارسي، أبوعليّ الحسن بن عبدالغفار: الحجة للقراء السبعة، تحقيق: بدر الدين قهوجي وآخرون، دار المأمون للتراث، دمشق، سوريا، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، ج ٣، ص٣٥٩-٣٦٠.

أمَاوِيَّ مَا يُغْنِي الثَّرَاءُ عَـنِ الفَتَـى
إذا حَشْرَجَتْ يَوْمًا وضَاقَ بِهَا الصَّدْرُ؟!

أراد (النَّفْسُ) عند الاحتضار، وهي قرينة حالية[١].

وأمَّا المفعول، فالمحذوف فيه كثير، وحذفه على أنواع:

- الحذف المطَّرد، وعندئذ يكون الغرض ذكر الفعل دون متعلقه، كقولهم: (فلان يعطي، ويمنعُ، ويصلُ، ويقطعُ، ويحلُّ، ويعقدُ، وينفعُ، ويضرُّ) ومنه قوله عزّ وجلَّ: ﴿وَأَنَّهُ هُو أَضْحَكَ وَأَبْكَى۞ وَأَنَّهُ هُو أَمَاتَ وَأَحْيَا ۞ ﴾[٢].

- ومنه ما يحذف لفظًا ويراد المعنى تقديرًا، ففي قصة موسى مع ابنتي شعيب حذف المفعول أربع مرات في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ٢٣ فَسَقَى لَهُمَا﴾[٣]، وقد بيّن الزمخشري أن سبب حذف المفعول في هذه المواضع إنما هو كون الفعل غرضه لا المفعول[٤].

أما حذف الحرف فكثير في العربية شعرها ونثرها، وهو على أشكال:

١ -حذف الترخيم: ويكون في النداء، حيث يقال: (يا حَارِ) في نداء حارث، كما يقال: (هِرَقْ) في نداء (هرقل) ونحو ذلك، وهذا جائز في غير الضرورة، فإذا اضطر

---

(١) روي عن عائشة رضي الله عنها دخلت على أبيها عند موته، فتمثلت بهذا البيت، فقال ﷺ:هلاَّ قلت كما قال الله ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ...﴾انظر: القرطبي، أبوعبدالله محمد بن أحمد الأنصاري: الجامع لأحكام القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الخامسة، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م، ج١٧، ص١٠، وانظر أيضًا: ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي: لسان العرب، دار لسان العرب، بيروت، لبنان، ج١، ص٦٤٢- ٦٤٣ (حشرج).

(٢) سورة النجم، الآية ٤٣- ٤٤.

(٣) سورة القصص، الآية ٢٣- ٢٤. والتقدير: يَسْقُونَ مَوَاشِيهُم، تَذُودانِ أغنامهما، يُصدر الرّعاءُ مَواشِيهم، فسقى لهما مَواشِيهُما، ومثل ذلك كثير. انظر: العلوي اليمني: الطراز، ج٢، ص١٠٠-١٠٥.

(٤) انظر: الزمخشري، جار الله محمود بن عمر: الكشاف (عن حقائق غوامض التنْزيل، وعيون الأقاويل في وجوه التأويل)، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ١٣٦٦هـ/ ١٩٤٧م، ج٣، ص٤٠١.

الشاعر، فليس بين النحويين خلاف أنه جائز في غير النداء[١].

٢ -حذف التصغير: ويكون بتصغير الاسم على حذف ما فيه من الزوائد، وهو جائز في الشعر والكلام، فيقال في (أزْهَر): (زُهير)، وفي (حارث): (حريث)، وفي (فاطمة): (فطيمة)[٢].

٣ -قصر الممدود: وهو نوع من الحذف الزائد لأنه تخفيف، وجوازه في ضرورة الشعر، كما أن مدّ المقصور غير جائز، لأنه زيادة وتثقيل للكلام بزيادة الحروف، وما جاء من الشعر فيه مما أنشده الكوفيون تأوله البصريون على غير الوجه الذي تأولوه[٣].

٤ -حذف النون الساكنة: من الحروف المبنية على السكون عند الضرورة نحو (مِنْ ولكنْ)، وذلك عند التقاء الساكنين، تشبيهًا للنون بحروف المدّ واللين[٤].

٥ -حذف التنوين: لالتقاء الساكنين وهوجائز في الكلام والشعر وقد قرئ: ﴿قُلْ هُو اللَّهُ أَحَدٌ ١ اللَّهُ الصَّمَدُ﴾[٥]، بحذف التنوين[٦].

٦ -حذف الهاء الواقعة آخرًا في غير النداء كالتي في بيت جرير:

ألا أضْحَتْ حِبَالُكُمُ رِمَامَا ... وأضْحَتْ مِنْكَ شَاسِعةً أُمَامَا

يريد: (أمامة) لكنه حذف الهاء وبقي الميم على حالها وهي غير مناداة[٧].

٧ -حذف الواو والهاء المتصلتين بهاء الكناية المسبوقة بمتحرك، وهذا جائز في الشعر دون النثر، كقول الباهلي[٨].

---

[١] انظر: السيرافي، أبوسعيد الحسن بن عبدالله: ما يحتمل الشعر من الضرورة، تحقيق وتعليق: الدكتور عوض بن حمد القوزي، مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م، ص٩٣- ١٠٧.

[٢] المصدر السابق، ص١٠٧.

[٣] المصدر نفسه، ص١١٤- ١١٥.

[٤] المصدر نفسه، ص١١٥- ١١٦.

[٥] سورة الإخلاص، الآية ١- ٢.

[٦] روى هارون عن أبي عمرو هذه القراءات، لا يُنوِّن وإن وَصَل. انظر ابن مجاهد: السبعة في القراءات، ص٧٠١.

[٧] انظر السيرافي: ما يحتمل الشعر، ص٩٦- ١٠١.

[٨] انظر سيبويه: الكتاب، بولاق، ج١، ص١١، السيرافي: ما يحتمل الشعر، ص١٢٦- ١٢٨.

أو مُعْبَرُ الظَّهْرِ يُنْبي عَـنْ ولِيَّتِـــهِ مَا حَجَّ رَبُّهُ في الدُّنْيا ولاَ أعَتَمَرَا

وهذه الحروف زوائد، وجاز حذفها لأنها تسقط في الوقف[١].

٨ -حذف الواو والياء من (هَوَ، هِيَ) وهو قبيح لأنهما متحركتان ثابتتان في الوقف كما في قول الشاعر:

دَارٌ لِسُعْدّى إذْهِ من هَوَاكَا

أراد: (إذ هِيَ ...) وقول الآخر

فَبَيْنَاهُ يَشْرِيَ رَحْلَهُ قَالَ قَائِلٌ لِمَنْ جَمَلُ رِخْوالمِلاَطِ نَجِيْبُ

أراد: (فبينا هُوَ).

٩ -حذف الواو والياء الساكنتين إذا كان قبلهما ضمة أو كسرة اكتفاء بالضمة من الواو، وبالكسرة من الياء، كما في قول الشاعر:

فَلَو أنَّ الأطبَّا كَـانُ حَوْلــي وَكَانَ مَعَ الأطبَّـاء الأسَـاةُ

أراد: (كانوا) فاكتفى بالضمة من الواو، وكقول الآخر:

كفَّاكَ كفٌّ مـا تُلِيْقُ درْهَمَـا جُودًا وأخْرَى تُعْطِ بالسَّيف الدَّمَا

أراد: (تعطي) فحذف الياء واكتفى بالكسرة منها[٢].

١٠ - حذف النون الخفيفة لزيادتها، ولأن حذفها لا يخل بالمعنى وهو ضرورة شعرية -كما يرى الخليل-، كما في قول الشاعر[٣]:

أضْرِبَ عَنْكَ الهُمومَ طَارِقَهَا ضَرْبَكَ بالسَّيْفِ قَوْنَسَ الفَرَسِ

١١ - حذف الفاء في جواب الشرط كقول حسَّان[٤]:

مَنْ يَعْمَلِ الحَسَنَاتِ اللهُ يَشْكرُها والشَّر بالشَّر عِنَدَ الله مِثْلانِ

---

(١) السيرافي: ما يحتمل الشعر، ص١٢٨.

(٢) المصدر السابق، ص١٣١- ١٣٣.

(٣) المصدر السابق، ص١٣٣- ١٣٤، وابن جني: سر صناعة الإعراب، تحقيق: الدكتور حسن هنداوي، ج١، ص٨٢، وانظر أيضًا: ابن جني: الخصائص، ج١، ص٢٦.

(٤) سيبويه، الكتاب، ج١، ص٤٥٨.

١٢ -حذف الياء مع وجود الألف واللام في الكلمة، كالياء في القاضي والمهتدي، وقد ذكره سيبويه في باب ضرورة الشعر[١]، إلا أن الناس أنكروه، لأن مثل ذلك الحذف جاء في القرآن الكريم في غير رؤوس الآي، وبه قرأ القراء، فقالوا: إن مثل هذا لا يدخل في ضرورة الشعر، إلا أن أبا سعيد السيرافي بيّن مراد سيبويه من إدخال هذا النوع من الحذف في الضرورة، وذلك أن الذين لغتهم إثبات الياء قد يحذفونها للضرورة تشبيهًا بالتنوين، لأن الألف واللام يعاقبان التنوين فلا يجتمعان في الكلمة[٢]، وحيث إن هذا الحذف هو موضوع البحث، فسنرجئ الحديث عنه قليلاً:

١٣ - حذف التشديد الواقع في آخر القوافي الموقوفة، وهو حذف للضرورة كقول الشاعر:

لاَ وَأَبِيْك ابْنَة العَامِرِي لا يدَّعي القوم أنيَّ أفِرْ

حيث ينشد بإسكان الراء من (أفِرّ)، لتتشاكل أواخر الأبيات:

ومنه تخفيف المشدد وتسكينه وحذف حرف بعده كقول الأعشى:

وَعهْدُ الشَّبَابِ وتَارَاتُهُ فإنْ يَكُ ذَلِكَ قَدْ بَانَ عَنْ

أراد معنى الياء وإحدى النونين فقال: (مُعَنْ)، و(عَنْ) وهو يريد: (معنيٍّ) و(عَنيٍّ)[٣].

١٤ - حذف الحركة: وهو وإن كان لغة إلا أنهم ينشدونه في باب الضرورة، كقول الشاعر:

أرقْتُ لِبَرْقٍ دُوْنَهُ شَرَوَانِ يَمَانٍ، وأهوَى البَرْقَ كلَّ يَمَانِ

فَظَلْتُ لدى البَيْتِ العتيق أُخِيْلُهُ ومطْوَايَ مُشْتَاقَان لَهْ أرقَانِ

فحذف حركة الهاء وسكن الحرف[٤].

بالإضافة إلى ما ذكر هنا وفي الفقرة السابقة، فإنه يدخل ضمن حذف الحركة

---

(١) المصدر السابق، ج٢، ص٢٩١، ٣٠٠.

(٢) السيرافي: ما يحتمل الشعر، ص١٢٣- ١٢٥.

(٣) المصدر السابق، ص٨٩- ٩١.

(٤) السيرافي: ما يحتمل الشعر ، ص١٢٩، وانظر هامشه للتعرف على مذاهب النحاة فيه.

حذفهم الفتحة من عين (فَعَلَ)، كقولهم في (هَرَبَ): (هَرْب)، وفي (طَلَبَ)، (طَلْب)، قال الراجز:

عَلَى مَحَالاَتٍ عُكِسْنَ عَكْسًا

إذا تسَدَّاهــا طَــــلابًا غَلْسًــا

أراد (غَلَسًا) [١].

ثم إنهم يحذفون الضمة والكسرة في الإعراب أيضًا، وقد أجازه سيبويه وأنشده[٢].

فَاليَوْمَ أَشْرَبْ غَيْرَ مُسْتَحْقِبٍ إثْمًا مِنَ اللهِ ولاَ وَاعِلِ

فسكّن الباء من (أَشْرَبْ) والوجه رفعها[٣].

كما أنشد سيبويه على حذف الكسر أو الضم قول أبي نخيلة:

إذا اعْوَجَجْنَ قُلْتُ صَاحِبْ قوِّم

ولم يقل (صاحبِ) ولا (صاحبُ) [٤].

ومن حذف الحركات ما ورد في جواز تسكين حركة الإعراب للضرورة، وقد تذهب الحركة للإدغام وطلب الخفة، فقد حكى بعض النحويين قول العرب: (أنَا أكْرمْكُمْ وأُعْشِمْكُمْ)، وقرأ بعض القراء قول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ﴾[٥] وقوله سبحانه: ﴿وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾[٦] بالسكون على الراء في الآية الأولى وعلى الميم الأول في الآية الثانية[٧].

ومنه إدخالهم جزمًا على جزم إذا لم يلتق فيه ساكنان، فيدخلون الجزم على نحو

---

(١) المصدر السابق، ص١٣٧.

(٢) سيبويه: الكتاب، ج٢، ص٢٩٧.

(٣) السيرافي: ما يحتمل الشعر، ص١٣٨.

(٤) المصدر السابق، ص١٣٩، سيبويه: الكتاب، ج٢، ص٢٩٧.

(٥) سورة البقرة، الآية ٦٧.

(٦) سورة البقرة، الآية ١٥١.

(٧) السيرافي: ما يحتمل الشعر، ص١٤٣- ١٤٤، وهي قراءة ... انظر: البنا: إتحاف فضلاء البشر، ص١٣٦.

"يشتري، ويتَّقي"، فيسقطون الياء، وربما اضطر الشعر فحذف الكسرة المتبقية بعد حذف الياء فيقول: "لم يَشْتَرْ زيدٌ، ولم يتَّقْ زيدٌ، ومن شواهد هذه المسألة قول الشاعر:

وَمَنْ يتَّقْ فَإنَّ مَعْهُ ورزْقُ اللهِ مُوْتَابٌ وغَادي

فحذف الياء للجزم ثم حذف الكسرة القاف وأحلَّ الجزم محلها[١].

والمحذوف في عمومه يمكن أن يدرك من جهة الإعراب، كما يدرك من جهة المعنى[٢].

ولما كان هذا البحث معنيًا بالنظر في حذف الياء في القرآن الكريم فجدير بنا الوقوف على حال الياء في كلام العرب من منثور ومنظوم ليستدل به على ما ورد في الكتاب العزيز، وليقوي ما ذهب إليه بعض القراء من الحذف[٣].

ففي مثل قول الراجز:

إذا اعْوَجَجْن قُلْتُ صَاحِبْ قوِّمِ

بالــــدَّو أمْثَالَ السَّفِيْنِ العُــوَّمِ

قال سيبويه: "فسالت من ينشد هذا البيت من العرب، فزعم أنه يريد: صاحبي"[٤] كما أن الشاعر حيث قال:

كَنَواحِ رِيْشِ حَمَامَةٍ نَجْدِيَّةٍ ومَسَحْتِ باللثَتَيْنِ عَصْفَ الإثمَدِ

أرادَ: كنواحي، ومثلهما قول مضرِّس بن ربعي:

وطِرتُ بمنصلي في يَعْمُلاتٍ دَوَامي الأيْدِ يَخْبِطْنَ السَّرِيحَا

ووجه ذلك: الأيدي[٥].

وقد كثر حذف الياء من (الذي) في الشعر حتى ظهر المحذوف وكأنه بديل للأصل،مما حمل بعضهم على أن يقول: إن (اللَّذْ) في (الَّذِي) لغة شاذة قليلة، وأمثلة

---

(١) السيرافي: ما يحتمل الشعر، ص١٤٥- ١٤٦.
(٢) العلوي اليمني: الطراز، ج٢، ص٩٢- ٩٣.
(٣) انظر: الأنصاري، أحمد مكي: نظرية النحو القرآني، دار القبلة بالقاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ، ص٦٥-٨٢.
(٤) سيبويه: الكتاب، ج٢، ص٢٩٧.
(٥) المصدر السابق، ج٢، ص٢٩١، وانظر: الخفاجي الحلبي، أبومحمد عبدالله بن سعيد بن سنان: سر الفصاحة، دار الكتب العلمية، بيروت بلبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م، ص٧٩.

ذلك كثيرة من نحو قول المتنبي في مدح بدر بن عمار[١]:

وإذَا الفَتَى طَرحَ الكَلامَ مُعَرِّضًا   في مَجْلِسٍ أخَذَ الكَلاَمَ اللَّذْ عَنَا

ومثله قول الآخر:

فَلَمْ أرَ بَيْتًا كَانَ أحْسَنَ بَهْجَـةً   مِنَ اللَّذْ لَهُ مِنْ آل عَزَّةَ عَامِرُ

وقول الآخر:

اللَّذْ بأسْفَلِهِ صَحْراءُ واَسِعَةٌ   واللَّذْ بأعْلاَهُ سَيْلٌ مَدَّهُ الجُرُفُ

وقول الراجز:

فَظَلْـتُ في شَرّ من اللَّذْ كيْدَا
كاللَّذْ تَزَبَّى زُبْيَـةً فاصْطيْدا

وأمثلة ذلك كثيرة في كتب اللغة[٢].

إن من مذاهب العرب حذف الياء في الوقف والوصل؛ لأنهم لم يريدوا أن تظهر في الوقف كما يظهر ما يثبت في الوصل"[٣] وإذا كان إثبات الياء أقيس، فإنه لا خلاف في جواز الحذف لكثرته، ثم لأنه عربي[٤].

وقد اهتم سيبويه بدراسة الحذف، وعقد له أكثر من باب، وبحثه من زوايا عديدة، فقد خص (ما يحذف من السواكن إذا وقع بعدها ساكن) بباب درس فيه أوضاع الحروف الثلاثة المسماة حروف العلة أو حروف اللين والمدّ، وبين أن العرب تحذف هذه الحروف كراهة تحريكها، ولئلا تصير بالتحريك إلى ما يستثقلون، أو أن يقود إبقاؤها إلى لَبْس[٥]، ثم لما كانت الياء أكثر الحروف الثلاثة عرضة للحذف، فقد خصها سيبويه بأكثر من باب، حيث درسها في (باب ما يحذف من أواخر الأسماء في

---

(١) ابن سنان الخفاجي: سر الفصاحة، ص٨١.

(٢) ابن الأنباري، أبوالبركات: الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، ومعه كتاب الانتصاف من الإنصاف، تأليف محمد محيي الدين عبدالحميد، الطبعة الرابعة، المكتبة التجارية الكبرى بمصر، ١٣٨٠هـ /١٩٦١م، ج٢، ص١١٤-١١٥. وانظر: السيرافي: ما يحتمل الشعر، ص١٩٧-١٩٨.

(٣) سيبويه: الكتاب، ج٢، ص٢٨٨.

(٤) المصدر السابق، ج٢، ص٢٨٩.

(٥) المصدر السابق، ج٢، ص٢٧٦- ٢٧٧.

الوقف وهي الياءات)، فالوقف في مثل "هَذَا قَاضْ، وهَذَا غَارْ، ونحوهما من غير ياء قياسًا على ذهاب الياء في الوصل، لأنهم لم يريدوا أن تظهر في الوقف كما يظهر ما يثبت في الوصل، وقد وصف سيبويه هذا بأنه "الكلام الجيد الأكثر"، إلا أنه بيَّن أن البيان أجود في الوقف، لأنه في موضع غير تنوين، فقولك: "هذا القاضي والغازي، والعَمِي" ونحوها أفضل من الوقف عليها من غير ياء، كما بيَّن سيبويه في هذا الباب أن "جميع مالا يحذف في الكلام، وما يُختار فيه أن لا يحذف، يحذف في الفواصل، والقوافي، كما بيَّن أيضًا أن الحذف لا يقع في الأفعال؛ لأن الياء لا تذهب في الوصل في حال، وذلك نحو "لا أَقْضِي، وهو يَقْضِي، ويَرْمِي" واستثنى من بين الأفعال قولهم: "لا أدْري" لأنه كثر في كلامهم، وهو شاذّ، مبينًا أن الأسماء أجدر أن تحذف إذا كان الحذف فيها في غير الفواصل والقوافي[١].

بعد هذا عقد سيبويه بابًا آخر لـ "ما يحذف من الأسماء من الياءات في الوقف، التي لا تذهب في الوصل، ولا يلحقها تنوين، وتركها في الوقف أقيس وأكثر" من نحو قولك "هذا غُلامْ" وأنت تريد: (غُلامِي)، وقولك: قد اسْقَانْ، وأسْقِنْ" وأنت تريد: (أسْقَانِي، واسْقِني) ... واستشهد على ذلك بما روي من قراءة بعض الحروف في القرآن، مما سنعرض له قريبًا بالتفصيل، وفرَّق سيبويه في هذا الباب بين الياء في مثل "هذا قَاضِيَّ"؛ "وهَذَانِ غُلاَمَايَ" والياء الساكنة الواقعة بعد كسرة، فالأولى لا تحذف؛ لأنها لا تشبه ياء "هَذَا القاضِي"؛ لأن ما قبلها ساكن، ثم لأنها متحركة في النصب كياء (القاضي) لكنها لا تشبهها، ولا تحذف في النداء[٢] كما تحَّث عن حذف الياء اضطرارًا في الباب الذي بحث فيه "ثبات الياء والواو والهاء التي هي علامة إضمار وحذفها" وبيَّن أن حذف الياء والواو   في الوصل أحسن، وعلل لذلك بنُزوع العرب إلى التخلص من اجتماع الحروف المتشابهة، وإن كان الإتمام عربيًا.. [٣].

ولقد كثر الحذف في الشعر، إلا أن توجيهه على الضرورة قد يكون غالبًا، كما يمكن أن يحمل على الشذوذ والندرة أحيانًا، ففي قول الشاعر:

فَبَيْنَاهُ يَشْرِي رَحْلَهُ قَال قَائِلٌ   لَمَنْ جَمَلٌ رَخو المِلاَطِ نَجِيْبُ

حذف الواو ضرورة من (هُوَ)، كما حذف الياء للضرورة أيضًا من (هِيَ) في

---

(١) سيبويه: الكتاب ، ج٢، ص٢٨٨- ٢٨٩.
(٢) المصدر نفسه ، ج٢، ص٢٨٩- ٢٩٠.
(٣) المصدر نفسه ، ج٢، ص٢٩١- ٢٩٣.

قول الراجز:

دَارٌ لِسُعْدَى إذْهِ مِنْ هَوَا كَا[(١)]

وقد حذف الياء الأعشى حين قال:

وَأَخُو الغَوَانِ مَتَى يَشَأ يَصرِمْنَـهُ وَيَكُنَّ أعْداءً بُعَيْدَ وِدَادِ[(٢)]

كما حذفت في قول الشاعر:

لاَ صُلْحَ بَيْني فَاعْلَمُوُهُ ولا بَيْنَكُمُ مَا حَمَلَتُ عَاتِقِي

سَيْفِي، وما كُنَّا بنَجْدٍ وَمَا قَرْقَرَ قُمْرُ الْوَادِ بالشَّاهَق

حيث اكتفى بالكسرة في هذه الشواهد من الياء، كما اكتفى بالضمة من الواو في الدلالة على المحذوف[(٣)].

إن حذف الواو والياء كثير في الشعر والنثر، وهو في الوقف أكثر منه في الوصل، وذلك لثقلهما[(٤)]، يؤكد هذا قول سيبويه عن الواو في مثل (يَغْزُو): "لو كانت في قافية كنت حاذفها إن شئت" وهذا على غير ما ذهب إليه الخليل من عدم حذف الياء في مثل (يَقْضِي)، والواو في (يَغْزُو) إذا كانت واحدة منهما حرف الروِّي[(٥)].

وحروف العلة هذه ضعيفة في أقوى أحوالها، ولذلك فإن أخفَ الحركات الثلاث وهي الفتحة مستثقلة فيها، ولذلك جنحوا عنها إلى السكون، وقد لحظ ذلك سيبويه، فسأل أستاذه الخليل عن هذه الياءات: لِمَ لمْ تُنصَب في موضع النصب إذا كان الأوّل مضافًا في نحو (رأيتُ مَعْدِ يْكَرِبَ، واحْتَمَلُوا أيَادِيْ سَبَأ) فقال: شبهوا هذه الياءات بألف

---

(١) الفارسي، أبوعلي الحسن بن أحمد: التكملة، تحقيق: الدكتور حسن شاذلي فرهود، منشورات جامعة الرياض (جامعة الملك سعود)، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠١هـ/١٩٨١م، ص٣٠- ٣١، وقد أنشد في هذا الرجز سيبويه، وفيه شاهد على حذف الياء، انظر: الكتاب، ج١، ص٩. كما أن البيت السابق للرجز هذا أنشده الأخفش فيما روى سيبويه في هذا الباب شاهدًا على حذف الواو بعد تسكينها للضرورة، انظر: الكتاب، ج١، ص١٣- ١٤، ثم انظر أيضًا: ابن برهان العكبري، أبوالقاسم الأصبهاني عبدالواحد بن علي الأسدي: شرح اللمع، حققه: فائز فارس، السلسلة التراثية، الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م، ج٢، ص٤٧٩.

(٢) سيبويه: الكتاب، ج١، ص١٠. وانظر أيضًا: ابن جني، أبوالفتح عثمان، المنصف، تحقيق: إبراهيم مصطفى، وعبدالله أمين، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة الأولى، ١٣٧٣هـ/١٩٥٤م، ج٢، ص٧٣.

(٣) انظر: ابن جني: المنصف، ج٢، ص٧٣- ٧٤.

(٤) انظر: ابن جني: أبوالفتح عثمان: سر صناعة الإعراب، دراسة وتحقيق: الدكتور حسن هنداوي، دار القلم بدمشق، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م، ج٢، ص٥١٩- ٥٢٠.

(٥) سيبويه: الكتاب، ج٢، ص٣٠٠.

(مُثَنَّى) حين عرّوها من الرفع والجرّ، فكما عرَّوا الألف منهما، عرّوها من النصب أيضًا، ثم ساق أمثلة على هذا، من ذلك قول رؤبة:

سَوَّى مَسَاحِيْهِنَّ تَقْطِيْطُ الحُقَـقْ

ونحو قول بعض السعديين:

يَا دَارَ هِنْدٍ عَفَتْ إلاّ أَقافِيْهَا

وقول الآخر:

كَأَنَّ أَيْدِيْهِنَّ بالقَاعِ القَرِقْ

حيث أسكنت الياء فيهن من (مساحيْهنّ، أثافيْها، أيديْهنّ) في حال النصب حملاً على الألف؛ لأنها أختها في العلة، والألف لا تحرك، وكل ذلك محمول على الضرورة[١].

إلا أن العرب قد تثبت الألف في المضارع في حال الجزم، وفي الشعر فرارًا عند الضرورة، على نحو قول الشاعر فيما أنشد أبوعلي عن أبي زيد:

إذا العَجُوزُ غَضِبتْ فَطَلِّقِ

وَلاَ تَرَضَّاهَا، ولاَ تَمَلَّقِ

حيث أثبت الألف في (ترضَّاها) في موضع الجزم[٢]، قال أبوعلي: فهذا إنما هو على تشبيه الألف بالياء، ألا ترى ما قدَّر من إثبات الحركة في:

أَلَمْ يَأْتِيْك والأَنْبَاءُ تَنْمِي بماَ لاَقتْ لَبُونُ بَني زِيَاد

وحذفها للجزم لا يستقيم ها هنا، وقاس الياء هنا بالألف من قول عبد يغوث بن وقاص الحارثي:

وتَضْحَكُ مِنيِّ شَيْخَةٌ عَبْشَمِيَّةٌ كأنْ لم تَرَى قَبْلِي أَسيْرًا يَمَانِيًا

حيث أثبتها في موضع الجزم، ولو حذفها كان قد حذف حرفين[٣] ومما يلحق بهذا

---

(١) انظر: سيبويه: الكتاب، ج٢، ص٥٥، وانظر أيضًا: ابن جني: الخصائص، ج٢، ص٢٩١-٢٩٢، وسر صناعة الإعراب، ج٢، ص٥١٩.

(٢) ابن جني: المنصف، ج٢، ص٧٨.

(٣) الفارسي، أبوعلي: الحجة، ج١، ص٩٣- ٩٤، وانظر أيضًا: الفارسي: أبوعلى: المسائل الحلبيات، تقديم وتحقيق:

قول الشاعر:

لَوْلاَ فَوَارِسُ مِنْ نعْمٍ وأَسْرَتِهِمْ   يَوْمَ الصيُّلَيْفَاء لمْ يُوفُونَ بالْجَارِ

فإن (لمْ) لم تعمل في الفعل بعدها، لأنها أشبهت (لا) ضرورة، وذلك لاشتراك الجميع في الدلالة على النفي[1]، وشواهد هذه المسالة كثيرة مثبوتة في كتب اللغة[2].

فإذا رجعنا إلى الكتاب العزيز لندرس هذا الأسلوب من الحذف، وجدناه يقع فيما يسميه القراء "ياءات الزيادة"[3] وهي غير تلك الياء الزائدة الدالة على المتكلم مما يسميه القراء "ياءات الإضافة" ويختلفون فيها بين الفتح والإسكان تبعًا للغات الواردة فيها، وقد ميزوها من غيرها من الياءات بصحة إحلال الكاف أو الهاء محلها[4].

فالزائدة سميت كذلك لزيادتها في التلاوة على رسم المصاحف العثمانية، وهي تنقسم إلى قسمين: أصلية، وهي التي تكون لامًا في الكلمة، وزائدة، وهي التي ليست بلام الكلمة، وكلا القسمين يكون في الأسماء والأفعال دون الحروف[5].

إن الفرق بين النوعين يتلخص في أن اختلاف القراء في الأولى يكمن في الذكر والحذف، في حين لم يتجاوز اختلافهم في الثانية حدود التسكين والفتح، أما من حيث العدد فإن جملة المختلف فيه إثباتًا وحذفًا بلغ مائة وأثنين وعشرين ياء[6]، وفي الوقت نفسه نجد القراء قد أجمعوا على إسكان ستة وستين وخمسمائة ياء من ياءات الإضافة في القرآن الكريم، كما أجمعوا على فتح إحدى وعشرين ياء أخرى، أما ما اختلفوا في

الدكتور حسن هنداوي، دار القلم بدمشق، ودار المنار، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ /١٩٨٧م، ص٨٤- ٨٨، ثم انظر أيضًا: الفارسي، أبوعلي: المسائل العسكريات، تحقيق: إسماعيل أحمد عمارة، مراجعة: الدكتور نهاد الموسى، منشورات الجامعة الأردنية، ١٩٨١م، ص١٤٨- ١٤٩.

(١) ابن جني: الخصائص، ج٢، ص٣٨٨.

(٢) انظر: المصدر السابق، ج١، ص٣٨٩، ٣٩٠.

(٣) سميت هذه الحروف (زوائد) في اصطلاح القراء، لأنها لم ترسم في خط المصحف. انظر: الأصبهاني، أبوبكر أحمد بن الحسين بن مهران: المبسوط في القراءات العشر، تحقيق سبيع حمزة حاكمي، دار القبلة للثقافة الإسلامية،جدة، ومؤسسة علوم القرآن، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٨هـ /١٩٨٨م، ص١٣٨.

(٤) انظر: محيسن، محمد سالم: الكشف عن أحكام الوقف والوصل في العربية، دار الجيل، بيروت بلبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ /١٩٩٢م، ص١٨٠- ١٨١. وانظر: الهاشمي، التهامي الراجي: مذاهب القراء في ياء الإضافة، سلسة الدراسات والعلوم اللغوية رقم (٦)، الرباط بالمغرب، ١٩٨٨م، ص١٥.

(٥) الهاشمي، التهامي الراجي: مذاهب القراء في ياء الإضافة، ص٢٠.

(٦) الجزري، محمد بن محمد بن علي بن يوسف: تحبير التيسير في قراءة الأئمة العشرة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ /١٩٨٣م، ص٨٣- ٨٥.

إسكانه وفتحه فجملته مائتان وأثنتا عشرة ياء[١].

ومن ناحية الاتصال فياءات الإضافة تتصل بكل من الاسم، والفعل، والحرف فتكون مع الاسم مجرورة المحل، نحو: "نَفْسِي" ومع الفعل منصوبة المحل نحو: "أوْزِعْنِي"، ومع الحرف مجرورة المحل ومنصوبته، نحو "لِي، وإنيِّ"[٢]. أما ياءات الزيادة فتتصل بالاسم والفعل خاصة، وليس شيء منها يتصل بالحروف.

إن من بين هذه الياءات ما يدخل تحت مصطلح الإضافة فيعرف إعراب المضاف إليه في الأسماء، ويكون منصوب المحل مع الأفعال، لكن الذي يخرجها من مسمى "ياءات الإضافة" وحكمها، زيادتها من جهة، ثم حذفها، ويرى أبوعلي الفارسي في مثل قوله تعالى: ﴿يا عَبَادِ﴾أنَّ حذف الياء هذه أحسن، لأنها في موضع تنوين، وأنها تعاقبه، وقاس ذلك على المنادى المفرد حيث تحذف الياء كما أن التنوين كذلك، ثم إن الياء لا ينفصل من المضاف كما لا ينفصل التنوين من المنون، فصار في المعاقبة كالتنوين وحرف الندبة[٣].

وهذا ما يفسر مقولة أبي إسحاق الزجاج بأن الحذف يقع في الكتاب كثيرًا في الياءات، والهمزات، مشيرًا إلى أن الرواية جاءت بالحذف وبالتمام فيهما، وكلا ذلك صواب، وأن الأجود اتباع القراء، ولزوم الرواية، فإن القراءة سنة[٤].

ثم إن إصطلاح "الزيادة" ينبغي أن يؤخذ بحذر، فبعض هذه الياءات التي تحذف إنما هي أصول

---

(١) محيسن: الكشف، ص١٨١.
(٢) المصدر نفسه، ص١٨٠.
(٣) الفارسي: الحجة، ج٦، ص١٥٧- ١٥٨.
(٤) الزجاج، أبوإسحاق إبراهيم بن السري: معاني القرآن وإعرابه، شرح وتحقيق: الدكتور عبدالجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ /١٩٩٨م، ج٣، ص٢٨٧- ٢٨٨، ويوضح الزجاج مسألة مهمة في القراءة المتبعة فيقول: "وكلما كثرت الرواية في الحرف وكثرت به القراءة فهو المتبع، وما جاز في العربية، ولم يقرأ به قارئ فلا تقرأن به، فإن القراءة به بدعة، وكل ما قلّت فيه الرواية وضَعُف عند أهل العربية فهو داخل في الشذوذ، ولا ينبغي أن تقرأ به". المصدر نفسه، ج٣، ص٢٨٨.

في حقيقتها، كالتي في قولـه تعالى: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ﴾[١] وقولـه سبحانه: ﴿يَوْمَ يُنَادِ﴾[٢] ونحوهما، لكن مذهب الخليل وسيبويه جواز حذف بعض الحروف الأصول، لدلالة ما يبقى على ما يلقى، وأن العرب تجيز ذلك[٣].

وقد فرق ابن الجزري بين هذين القسمين من الياءات مبينًا مذاهب القراء في كل قسم، فقال عن ياءات الإضافة:

لَيْسَتْ بلاَمِ الفِعْلِ يا المُضَافِ بَلْ هِيَ في الوَضْعِ كهَا وكَافِ

كما قال عن الياءات الزائدة:

---

(١) سورة الفجر، الآية ٤.

(٢) سورة ق، الآية ٤١.

(٣) ابن الشجري، هبة الله بن علي بن محمد حمزة السني العلوي: آمالي ابن الشجري، تحقيق ودراسة: الدكتور محمود محمد الطناحي، مكتبة الخانجي بالقاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م، ج١، ص٣١٦- ٣١٧. لقد كتب الدكتور التهامي الراجي الهاشمي الأستاذ بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة الرباط بحثين نافعين في هذا الموضوع، أحدهما: وهو في سلسلة الدراسات اللغوية وعلوم القرآن تحت رقم (٦)، بعنوان: "مذاهب القراء في ياء الإضافة"، قدم له بمقدمة لطيفة بيّن فيها أهمية القراءات القرآنية في الدرس اللساني، وأنها تمثل لبّ اللسانيات وعصارتها، كما أنها الفن اللساني الوحيد الذي يسمح لنا بفضل سياق تركيبي فريد (دون اللجوء إلى سياق تعويضي) أن نعبر عن معانٍ قد تتباين أشد التباين لمجرد أن نقف هنا، أو نرفع تلك الكلمة لا هذه. وأشار فيها إلى أن علماءنا السابقين أمثال الفراء، وأبي علي الفارسي، وابن خلدون، وأضرابهم، إنما عرفوا بفضل تأليفهم في القراءات القرآنية. وقد تناول في هذا الكتاب على صغر حجمه المقصود بياء الإضافة، وذكر أسماء القراء السبعة المشهورين ورواتهم، ومقدمة في كيفية قراءة الجداول التي اشتملت على خلاف القراء في هذه الياءات بين الفتح والسكون، ثم بيان طريقة معالجة هذه الياءات المختلفة فيها، أتبعها في القسم الثاني بذكر أصول القراءات في ياءات الإضافة، ذكر فيه مذهب كل واحد من القراء السبعة المشهورين فيها، كما خص القسم الثالث بالجداول للياءات المختلف في قراءتها، وهو أكبر الأقسام، أما القسم الرابع فخصصه للتعاليق على ياءات الإضافة. وهذا الكتاب على إفادته للدارس، إلا أنه يتجاوز الحصر والسرد والإحصاء، دون تحليل واستنباط.
أما المبحث الثاني، فهو صغير ويقع في عشرين صفحة من الحجم الصغير، وقد أسماه: "تقرير عن مدى الفائدة عند الإحاطة بالياء الزائدة" خصه ببحث الياءات المحذوفة في القرآن الكريم في رواية ورش، وقد حرره كما يقول في المقدمة لطلبته في كلية الآداب ومسجد الحسن الثاني بالدار البيضاء، وفرغ من تحريره صبيحة يوم الأحد ٢٢/أكتوبر/١٩٩٥م، وأشار إلى أن الرواية في غير رواية ورش لا تهمهم، مبينًا حرصه على التركيز على رواية ورش، وإن كان قد أشار إلى من يثبتها ويحذفها من غير ورش، رغبة في عدم حرمان محبي الاطلاع على حكمها عند الآخرين.
وقد أحصى في هذه الياء خمسة وخمسين موضعًا في القرآن الكريم غير المكررة، أما المكرر فقد بلغت جملته (ثلاثة عشر موضعا). وقد كان منهجه إحصائيًا سرديًا مرتبًا تلك المواضع بترتيب سور القرآن الكريم حتى إنه إذا ذكر اسم السورة وليس فيها من الياءات المحذوفة شيء أثبت ذلك، وقارن دون تعليل أو تفصيل بين مذهب ورش من جهة، وغيره من الرواة والقراء من جهة أخرى.
والبحث على صغر حجمه لا يخلو من الفائدة، فجزاه الله خيرًا على جهده، ونسأله أن يثيب كل عامل على عمله.

وَهيَ الَّتِي زادُوا عَلى مَا رُسِمَا تَثبُتُ فِي الحَالَيْـــن.... [١]

يريد: حال الوقف وحال الوصل، كما عرفه الشاطبي بقوله عن ياءات الإضافة:

ولَيْسَتْ بلاَمِ الفِعْل يَاءُ إضَافَــةٍ وَمَا هِيَ مِنْ نَفْس الأصول فِتُشْكلاَ

وَلَكِنَّها كَالهَاء والكَاف كُلَّ مَـا تَلِيْه يُرَى لِلْهَاءِ والكَافِ مَدْخَلاَ

وعن ياءات الزوائد قال:

وَدونَكَ يَاءاتٍ تُسَمَّى زوائدًا لأنْ كُنَّ عِنْ خَطِّ المصَاحِف مَعْزِلاً

وتثبيت في الحالين ...[٢].

والواقع فإن إثبات ياءات الزيادة في الحالين غير متفق عليه من جميع القراء، فمنهم من أثبتها وصلاً ووقفًا، وهم: هشام، ويعقوب، وابن كثير، ومنهم من أثبتها وصلاً فقط، وهم: حمزة، والكسائي، وأبوعمرو، ونافع، وأبوجعفر، وانفرد حمزة من هؤلاء بإثبات الياء في الحالين في موضع واحد فقط وهو "أتُمِدُّونَنِي" من قوله تعالى: ﴿قَالَ أَتُمِدُّونَن بِمَالٍ﴾[٣]. وقسم ثالث حذف الياءات في الوقف والوصل معًا وهم: ابن عامر، وعاصم، وخلف، وربما خرج بعض القراء عن هذه القواعد[٤].

والملاحظ أن هذه الياءات قد تكون في رؤوس الآي، كما تكون في وسطها، فأمّا ما جاء في رأس الآية فإنه يحذف بشفاعة الفاصلة حتى ولو لم يحذف في الوقف كما في قوله عز وجل: ﴿الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ﴾[٥] وقوله سبحانه: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ﴾[٦].

---

(١) ابن الجزري، محمد بن محمد بن محمد بن علي بن يوسف: طيبة النشر في القراءات العشر، ضبطه وصححه وراجعه: محمد تميم الزعبي، مكتبة دار الهدى، المدينة المنورة، ١٤١٤هـ، ص٥٧-٦١.

(٢) الشاطبي الرعيني الأندلسي، القاسم بن فِيُّرهُ بن خلف بن أحمد: متن الشاطبية، المسمى: حرز الأماني ووجه التهاني في القراءات السبع، مكتبة دار الهدى للنشر والتوزيع، المدينة المنورة، الطبعة الثالثة، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م، ص٣٢-٣٦.

(٣) سورة النمل، الآية ٣٦.

(٤) محيسن، محمد سالم: الهادي شرح طيبة النشر في القراءات العشر، والكشف عن علل القراءات وتوجيهها، دار الجيل، بيروت بلبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م، ج١، ص٤١٠.

(٥) سورة الرعد، الآية ٩.

(٦) سورة الفجر، الآية ٤.

وهذا المذهب في الحذف شبيه بحذف الياء والواو في القوافي عند الوقف كقول زهير:

فلأنْتَ تَفْرِي مَا خَلَقْتَ وبَعْـ ـضُ القَوْمِ يخلقُ ثمّ لا يفْرِ[1]

وقد أنشد سيبويه هذا البيت بحذف الياء بعد أن مهَّد لذلك بقوله: "وجميع ما لا يحذف في الكلام، وما يُختار فيه أن لا يحذف يحذف في الفواصل والقوافي، فالفواصل قول الله عز وجل:

﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ﴾ و﴿مَا كُنَّا نَبْغِ﴾[2]، و﴿يَوْمَ التَّنَادِ﴾[3] و﴿الكَبِيرُ المُتَعَالِ... ﴾[4].

قال أبوسعيد: "إنما يريد بالفواصل رؤوس الآي ومقاطع الكلام، والأسماء في الحذف أولى من الأفعال، والحذف فيها أقوى، لأنها يلحقها التنوين في الكلام فتحذف منها الياء"[5]. وقال أبوعلي: "أواخر الآي موضع وقوف، والوقف رأيناه قد أوجب إعلالاً في الموقف عليه، وتغييرًا عما هو عليه في الوصل، ألا ترى أنهم قد أبدلوا من النون الساكنة الألف في الاسم والفعل، وأبدلوا من التاء الهاء في نحو: (رَحْمَة)، ومن الألف الياء أو الواو نحو: أفْعَيْ، وأفْعَوْ، وزادوا في نحو: هذا فرجٌّ، وهو يَجْعَلّ، ونقصوا منه في نحو: (وأنشد بيت زهير السابق)[6].

---

(١) السكاكي، أبويعقوب يوسف بن أبي بكر محمد بن علي: مفتاح العلوم، ضبطه وكتب حواشيه وعلق عليه: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ /١٩٨٣م، ص٧٢، والبيت من قصيدة لزهير بن أبي سلمى غير موقوفة، انظر ديوانه، صنعة الأعلم الشنتمري، تحقيق: الدكتور فخر الدين قباوة، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م، ص١١٩.

(٢) سورة الكهف، الآية ٦٤، واللفظ في سورة يوسف، الآية ٦٥، إلا أنها في الموضعين ليست رأس آية، وقد استدل الداني بذلك على معنى الفاصلة، وأنها: الكلام المنفصل مما بعده، ولذلك فقد تكون رأس آية، وغير رأس آية، وأن الفواصل يكنّ رؤوس آي وغيرها، فكل رأس آية فاصلة، وليس كل فاصلة رأس آية. انظر: الزركشي، بدر الدين محمد بن عبدالله: البرهان في علوم القرآن، تحقيق: أحمد أبوالفضل، دار المعرفة، بيروت بلبنان، ١٩٧٢م، ج١، ص٥٤.

(٣) سورة غافر، الآية ٣٢.

(٤) انظر: سيبويه: الكتاب، ج٢، ص٢٨٩.

(٥) السيرافي، أبوسعيد الحسن بن عبدالله: شرح كتاب سيبويه، ج٥، ق١٦٥، (١٣٧ نحو).

(٦) الفارسي، أبوعلي، الحجة، ج١، ص٤٠٥.

ويجدر بنا ونحن نتعرض لقضية تتصل بالقرآن الكريم، مختصة بالحذف والزيادة أن نعلم دور الفاصلة في النظم القرآني، وأنها في حفظ التناسب الإيقاعي للآي تقوم مقام القافية في الشعر، بل إن دور الفاصلة في القرآن يفوق دور القافية في الشعر[١]، فهي قد تكون مقطعًا من كلمة، وقد تكون جملة، وهي ظاهرة أسلوبية واضحة المعالم، بها انفرد القرآن الكريم من النثر والشعر معًا[٢]، يقول سيد قطب: "إن الفواصل في القرآن غيرها في الشعر، فهي ليست حرفًا متحدًا، ولكنها إيقاع متشابه، مثل: "بصير، حكيم، مبين، مريب" أو مثل: "الألباب، الأبصار، النَّار، قرار"[٣].

وقد تقع الفاصلة حيث يحسن القطع والوقف، وليس بالضرورة أن تقع حيث يحسن الوقف التام، فالوقف التام يحسن عند تمام القصص وانقضائهن، وهذا يكون في الفواصل ورؤوس الآي، ففي قوله عز وجل: ﴿وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ ۝ وَبِاللَّيْلِ﴾[٤]، فرأس الآية: ﴿مُصْبِحِينَ﴾ إلا أن الوقف التام يقع عند قول: ﴿وَبِاللَّيْلِ﴾[٥] ومثل ذلك قوله عز وجل: ﴿.... عَلَيْهَا يَتَّكِئُونَ ۝ وَزُخْرُفًا﴾[٦] فقوله سبحانه﴿يَتَّكِئُونَ﴾ هو رأس الآية، ولكن الوقف التام يقع عند قوله: ﴿وَزُخْرُفًا﴾ لأنه معطوف على ما قبله، ومثل ذلك كثير في كتاب الله عز وجل[٧]، ولئن وقعت الفواصل عند رؤوس الآي التي تتشاكل في المقاطع، وتتجانس فيها الحروف أو تتقارب، فإن ذلك لا يعني موافقة القرآن الكريم للسجع، لأن الفواصل في القرآن، تابعة للمعاني، أما السجع فيتبعه المعنى، وهو عيب، والقرآن

---

[١] أبوزيد، أحمد: التناسب البياني في القرآن، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، المغرب، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ١٩٩٢م، ص٣٤٩.

[٢] المصدر نفسه، ص٣٥١.

[٣] قطب، سيد: في ظلال القرآن، الطبعة الخامسة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٦٧م، ج٢، ص١٩٣.

[٤] سورة الصافات، الآية ١٣٧- ١٣٨.

[٥] الداني، أبوعمرو عثمان بن سعيد: المكتفى في الوقف والابتداء في كتاب الله عز وجل، دراسة وتحقيق: الدكتور يوسف عبدالرحمن المرعشلي، مؤسسة الرسالة، بيروت بلبنان، الطبعة الثانية، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، ص١٤٠- ١٤١.

[٦] سورة الزخرف، الآية ٣٤- ٣٥.

[٧] الداني: المكتفى، ص١٤١.

منزه عن ذلك، يقول أبوالحسن الرماني: "والفواصل بلاغة، والإسجاع عيب، وذلك أن الفواصل تابعة للمعاني، أما الإسجاع فالمعاني تابعه له"[١].

ولقد كان التناسب في الفواصل القرآنية من بين الأمور التي جعلت فصحاء العربية يقفون عند القرآن مذهولين معترفين بأنه ليس ككلام البش، وما هو بالشعر ولكن له حلاوة وحلاوة، كما أن له تأثيرًا على العقول لا يقل عن تأثير السحر، فإذا وافقت مواضع الحذف رؤوس الآي، وجدت للقراء سببًا، يقوي مذاهبهم في الحذف، وهو رعاية الفاصلة، بحيث لا ينكسر المعنى، ولا يكون الحذف لضرورة كتلك التي تجدها عند الشعراء، ومرتادي الكلام المسجوع.

ونظرة لأي سورة من القرآن الكريم ترينا المعجزة في اختيار لفظ الفاصلة المتناسب مع مجمل الفواصل في جميع آيات السورة الواحدة، فإن وجدت الكلمة التي عليها الفاصلة مؤسسة بالواو قبل النون مثلاً، ألفيت النظام متبعًا في الأعم الأغلب من آيات هذه السورة، فإن خرج عن ذلك فلن يتجاوز الياء التي غالبًا ما تعاقب الواو حتى في قوافي الشعر، أو كلمة ذات وقع مشابه على السمع في التنغيم والوزن، أما إن فارق ذلك وابتعد عنه فإنك لن تحس بالنقلة الثقيلة على السمع كما تحسها وأنت تقرأ الشعر الذي تختلف فيه القافية وتتغير أو ينتقل الشاعر من بحر على آخر[٢]، ولست بقائل لك مثالاً على كل صورة من هذه الصور التي تعكس الموسيقى فتجعل القراء يتفاوتون في أدائهم القرآن، وطرقهم الخاصة وهم يزينون به أصواتهم، فكل سورة منه تصلح أن تكون مثالاً، وما علينا إلا تدبُّره والنظر في عِلّو أسلوبه، نجد ذلك التناسب واضحًا، وكأنما أريد لذاته، الأمر الذي يجعلنا لا نستطيع إلا التسليم بإعجازه، وأنه من لدن حكيم خبير، فلو نظرنا في سورة "الفجر" مثلاً، نرى الحق تبارك وتعالى افتتح السورة بالقسم بالفجر فقال: ﴿وَالْفَجْرِ﴾ هذه الكلمة من ثلاثة حروف ساكنة الوسط، آخرها الراء، هذا النظام بقي بضع آيات بعد ذلك محافظًا على التناسب والوزن، لتألفه

---

(١) الرماني، أبوالحسن علي بن عيسى: النكت في إعجاز القرآن، حققها وعلق عليها: محمد خلف الله، والدكتور محمد زغلول سلام، ضمن كتاب ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، دار المعارف بمصر، الطبعة الثالثة، ١٩٧٦م، ص٩٧، وانظر الباقلاني، الإمام أبوبكر محمد الطيب: إعجاز القرآن، تحقيق: الشيخ عماد الدين أحمد حيدر، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م، ص٢٧٣.

(٢) الرماني: النكت، ص٩٨- ٩٩.

الأذن، وتنساق معه النفس، حتى إذا جاء إلى قولـه سبحانه: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ﴾، لم يشذ حذف الياء على السمع، فكان مستساغًا مقبولاً، وقد لا يسأل عن علته، ثم لمَّا انتقل إلى نوع آخر من الوقف مؤسس بالمدّ قبل الحرف الأخير، رأيت المحافظة على الموسيقى اللفظية التي تخلب اللُّب، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۞ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ۞الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلادِ ۞وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ۞وَفِرْعَوْنَ ذِي الأَوْتَادِ۞الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلادِ ۞فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ ۞ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ۞إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ۞﴾[1] إنك وأنت تقرأ هذه الآيات يمر بك الحذف (بالواو) فلا يشذ ولا يخرج عن بقية الآي، ويتم الوقف من غير ياء على مذهب الذين يحذفونها في الوقف، حتى إنك لو قرأتها بالحذف وصلاً على مذهب غير نافع وابن كثير، لما وجدت ذلك نابيًا في السمع، بل إن الوقف عند قوله سبحانه: ﴿سَوْطَ عَذَابٍ﴾ضمن هذه الآيات كان في تناسب مع رؤوس الآي الأخرى من حيث المدّ الواقع قبل آخر الكلمة التي هي رأس الآية[2].

وبالنظر إلى المواضع التي اختلف القراء في إثبات الياء فيها أو حذفها، ند أنها تتوزع بين رؤوس الآي، والفواصل، من جهة، وبين وسط الآي ودرج الكلام من جهة أخرى، ثم إنها جاءت مع الأفعال في أزمنتها الثلاثة، ومع الأسماء صحيحها ومعتلها، إلا أن الأفعال استأثرت بقسم أكبر من هذه الياءات وكان المضارع أكثر القسم الفعلي، يليه الأمر فالماضي.

أما القسم الاسمي فتكاد تتساوى قسمة الياءات فيه بين الأسماء المضافة والأسماء المنقوصة.

وجدير بنا أن نجمل بعض الحقائق قبل الخوض في أنواع الحذف هذه، فلقد روي عن يعقوب إثبات ياء الإضافة في الوصل والوقف في جميع القرآن، رأس آية كانت أو

---

(١) سورة الفجر، الآية ٦- ١٤.

(٢) انظر: أحمد أبوزيد: التناسب البياني في القرآن، ص٣٣٥- ٣٤٨، ص٣٥٢- ٣٧٢، وانظر: الخطابي، أبوسليمان أحمد بن محمد بن إبراهيم: بيان إعجاز القرآن، ضمن (ثلاث رسائل في إعجاز القرآن)، دار المعارف بمصر، ط٣، ١٩٧٦م، ص٢٤، ٢٦- ٢٧.

وسطها، مثبتة كانت أو محذوفة في الرسم، إلا قوله تعالى في الزمر: ﴿يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ﴾[(١)]، وما أشبهه من النداء[(٢)].

أما أبوجعفر، وأبوعمرو، ونافع -برواية إسماعيل-، فإنهم يثبتون الياء إن كانت وسط الآية، ولا يثبتون ما كان رأس الآية غلا شيئًا يسيرًا.

ثم إن ابن كثير، ونافع، ومن لم يذكر من القراء، يوافقون في بعض، ويخالفونهم في بعض[(٣)].

وعن ابن الباذش: أن ما جاء من المعتل اللام مرسومًا في الخط محذوف اللام ينقسم قسمين، منوّن وغير منوّن.

فالمنوّن نحو "وَالٍ، وهَادٍ، ووَاقٍ، وبَاقٍ، ومُسْتَخْفٍ، ومُهْتَدٍ، ومُفْتَرْ... وشبهه، فعن يعقوب عن وَرْش: أن في ذلك جواز القراءة كما هو في السَّواد (يعني الخط الذي كتب به المصحف العثماني- وهو ما يعبر عنه برسم المصحف)، وجواز الوقف بالياء، وهذا عام في الباب كله.

وعن ابن مجاهد بسنده: الوقف على جميع الباب لابن كثير بالياء وهذا لا يعرفه المكّيون، وأما الباقون فبغير الياء في الباب كله، وهو الأوجه عند أهل العربية، لأن التنوين يحذف في هذا بحق الوقف كما يحذف في الصحيح.

أما القسم الثاني وهو غير المنوّن من الأسماء، فنحو "وَادِ النَّمل، بالْوَاد المقدَّس، بِهَادِ العُمْيِ، لَهَادِ الذين، صَالِ الجحيم..."، أمَّا من الفعل فنحو: "سَوْفَ يُؤْتِ الله، نُنْجِ المؤمنين، يُنَادِ المُنَادِ، يَدْعُ الدَّاعِ..." وشبهه مما رسم في المصحف بغير ياء ولا واو، لأنهما يسقطان في اللفظ لالتقاء الساكنين، فعن ابن كثير: الوقف على التمام في (يَدْعُ، وسَنَدْعُ، ويَمْنُ)، وقياس قوله فيها وفي (هَادٍ، وَوالٍ) يقتضي أن يقف فيه كله بالياء.. وعن قتيبة: ما كان بالياء وقفت [عليه] بالياء، وما لم يكن فيه ياء ثابتة وقفت بغير ياء، وهو الذي يّليق بمذهب الكسائي وصححه أبوعمر والداني، وعن الباقين: الوقف

(١) سورة الزمر، الآية ١٦.
(٢) الأصبهاني: المبسوط، ص١٣٨، ٤١٩.
(٣) المصدر السابق، ص١٣٨، الشاطبي الرعيني: متن الشاطبية، ص٣٤- ٣٦، ابن الجزري: طيبة النشر، ص٥٩- ٩١.

على الفصل كله بغير ياء اتباعًا للخط[١]. إن الذين يثبتون هذه الياء قد يكون لهم دليل من وجه نحوي، ففي مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ ﴾[٢] قرأها قُنبل بإثبات الياء في ﴿يَتَّقِ﴾ وجزم ﴿وَيَصْبِرْ ﴾ وزعم أن (مَنْ) موصولة، فلهذا ثبت ياء ﴿يَتَّقِي﴾[٣].

ويجدر بنا بعد إجمال مذاهب القراء في الياءات الزائدة أن نقف عندها مفصلين الحديث عن مذاهبهم في الحذف والإثبات، معللين قدر الإمكان لما ذهب إليه كل فريق، مبتدئين بقسم الأفعال، مردفين بعد ذلك بقسم الأسماء، سائلين الله العون والتوفيق.

أولاً: الياءات الزائدة في الأفعال:

سبقت الإشارة إلى أن الياء تتصل بالفعل في جميع أزمانه، وأنها تأتي مع الزمان على ضربين، الأول ما كان أصلاً في بنية الفعل، والثاني ما كان ضميرًا للمتكلم، وهاك بيان ذلك:

أ - الفعل المضارع: والياء معه على قسمين:

الأول: تكون الياء فيه من أصل الفعل ومحل إعرابه وهي:

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِ لا تَكَلَّمُ... ﴾ [هود: ١٠٥].

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ... ﴾[يوسف: ٩٠].

قوله تعالى: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ﴾[الفجر: ٤].

---

[١] ابن الباذش، أبوجعفر أحمد بن علي بن أحمد بن خلف الأنصاري: الإقناع في القراءات السبع، حققه وقدم لـه: الدكتور عبدالمجيد قطامش، دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٠٢هـ ، ج١، ص٥٢٠- ٥٢٤.

[٢] سورة يوسف، الآية ٩٠.

[٣] ابن هشام، جمال الدين الأنصاري: مغني اللبيب عن كتاب الأعاريب، حققه وعلق عليه: الدكتور مازن المبارك ومحمد على حمدالله، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٧٢م، ص٦٢١، ٩١٦.

وقد ذكر ابن مجاهد الخلاف فيها جميعًا [١] وكان الخلاف يتركز حول إثبات الياء في الوصل والوقف، أو إثباتها دون الوقف، أو حذفها وقفًا ووصلاً، ولكل فريق حجته، قال الفراء في التي في سورة هود ﴿يَوْمَ يَأْتِ لا تَكَلَّمُ...﴾كتب بغير الياء، وهو في موضع رفيع، فإن أثبتّ فيه الياء إذا وصلت القراءة كان صوابًا، وإن حذفتها في القطع والوصل كان صوابًا، فقد قرأ بذلك القراء، فمن حذفه إذا وصل قال: الياء ساكنة، وكل ياء، أو واو تسكُنان وما قبل الواو مضموم، وما قبل الياء مكسور، فإن العرب تحذفها وتجتزئ بالضمة من الواو، وبالكسر من الياء، وأنشد [ني] بعضهم:

كَفَّاكَ كَفٌّ ما تُليقُ دِرهَمًا جُودًا وأُخْرى تُعطِ بالسيف الدَّمَا

ومَن وصل بالياء وسكت بحذفها قال: هي إذا وصلتُ في موضع رفع فأثبتُها وهي إذا سكتُّ عليها تُسكن فحذفتها..."[٢] والملاحظ أن الحذف في هذه المواضع جاء في أوساط الآيات كما جاء في رأس الآية التي في سورة الفجر، والحذف محبَّبٌ إذا كان الحرف رأس آية، فضلاً عن أن العرب قد تحذف الياء مكتفية بكسر ما قبلها، كما في البيت الذي أنشده الفراء آنفًا [٣] وكقول الآخر:

لَيْس تَخْفَى يَسَارَتي قَدْرَ يَوْمٍ ولَقَدْ تتخْفِ شيْمَتي إعْسَاري[٤]

ويذهب بعض القدماء إلى أن الذين يثبتون الياء في مثل هذه المواضع إنما يثبتونها على الأصل، كما أن الذين يحذفونها إنما يتبعون المصحف[٥] وعن اليزيدي: الوصل بالياء والسكت بغير ياء على الكتاب[٦]، وعنه عن أبي عمرو أنه كان يقول: "ما أبالي كيف قرأت، أبالياء أم بغير الياء في الوصل، فأمَّا الوقف فعلى الكتاب"[٧].

---

(١) ابن مجاهد: السبعة في القراءات، ص٣٣٨، ٣٥١، ٤٠٣، ٦٨٣ على التوالي.
(٢) الفراء، أبوزكريا يحيى بن زياد: معاني القرآن، تحقيق: أحمد يوسف نجاتي، ومحمد علي النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٠م، ج٢، ص٢٧.
(٣) انظر البيت في: الخصائص، ج٣، ص٩٠، وقد أنشده ابن جني شاهدًا على حذف الياء اكتفاء بالحركة قبلها، ومثله أيضًا فعل ابن الشجري: الأمالي الشجرية، دار المعارف للطباعة والنشر، بيروت بلبنان، بلا تاريخ، ص٧٢، وعدّه ابن الشجري من الشذوذ، لوقوعه في غير الفواصل والقوافي.
(٤) الفراء: معاني القرآن، ج٣، ص٢٦٠، وفي صدر البحث جملة من الشواهد على هذه المسألة.
(٥) ابن خالويه، أبوعبدالله الحسين بن أحمد: إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم، مطبعة جمعية دائرة المعارف العثمانية في عاصمة حيدر آباد الدكن، منشورات دار الحكمة بدمشق، بلا تاريخ، ص٧٤.
(٦) الفارسي، أبوعلي: الحجة للقراء السبعة، ج٦، ص٤٠٣.
(٧) المصدر السابق، ج٦، ص٤٠٤.

وقد وجه أبوعلي قراءة ابن كثير في إثبات الياء في "يسرى" وَصَلَ أو وقف بأن الفعل لا يحذف منه في الوقف، كما يحذف من الأسماء نحو: قَاضٍ، وغَازٍ، تقول: هو يَقْضِي، فتثبت الياء، ولا تحذف الياء من الفعل كما تحذفه من الاسم نحو: قاضٍ، لأنها لا تسقط في الوصل، كما تسقط الياء من نحو: قاضٍ في الوصل، وليس إثباتها بالأحسن من الحذف، وذلك أنها في فاصلة واستدل بقول سيبويه: "وجميع ما لا يحذف في الكلام، وما يختار فيه أن لا يحذف نحو: القاضي من الألف واللام، يحذف إذا كان في قافية أو فاصلة"[١]. وقبل أن نبرح هذا الموضوع يحسن أن نقف على مذاهب القراء في إثبات الياء وحذفها في هذا القسم.

فأما التي في (هود) فقد أثبتها ابن كثير ويعقوب في الوصل والوقف وأثبتها أبوعمرو بن العلاء والكسائي ونافع في الوصل دون الوقف. وحذفها عاصم وابن عامر وحمزة وقفًا ووصلاً[٢].

وأمّا التي في سورة (يوسف) فقد أثبتها ابن كثير وحده من السبعة في الوصل والوقف كما أثبتها قنبُل أيضًا، وقرأها الباقون بغير ياء في وصل ولا وقف[٣].

وقد وجه أبوعلي قراءة ابن كثير على احتمالات ثلاثة:

أحدها: أن يقدَّر في الياء الحركة، فيحذفها، فتبقي الياء ساكنة للجزم كما قدر ذلك في قول الشاعر:

أَلَمْ يأتِيْك والأنباء تَنْمِــــي ...

ودفع أبوعلي هذا الاحتمال؛ لأنه مما يجيء في الشعر دون الكلام. وما هذه إلا لغة في إثبات حرف العلة مع الجازم[٤]، وقد تقدم التمثيل عليها.

أما الآخر: فأن يُجعل (من يَتَّقِي) بمنْزلة (الذي يتَّقي)، ويحمل المعطوف على المعنـــى،

---

(١) المصدر نفسه، وقد سبق لنا الوقوف عند كلام سيبويه، انظر قبله: ه/٨٣، ٨٤، ٨٥.

(٢) ابن مجاهد: السبعة في القراءات، ص٣٣٨، ابن غلبون الحلبي، أبوالحسن طاهر بن عبدالمنعم: التذكرة في القراءات الثمان، دراسة وتحقيق: أيمن رشدي سويد، منشورات الجماعة الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم بجدة، الطبعة الأولى، ١٤١٢ه/١٩٩١م، ج٢، ص٣٧٧.

(٣) المصدران السابقان أنفسهما، ص٣٥١، ج٢، ص٣٨٤ (على الترتيب).

(٤) انظر: البنا، أحمد بن محمد بن أحمد: إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربع عشر، رواه وعلق عليه: علي محمد الضباع، دار الندوة الجديدة، بيروت، ١٣٥٩ه، ص٢٦٧.

-وفصَّل في ذلك- لكنه لم يذكر الاحتمال الثالث[١] والمتأمل إعراب هذه الآية يلحظ أن الهاء في (إنه) هي ضمير الحديث والقصة، وأن (مَنْ) موصولة وما بعدها حتى تمام الآية ﴿يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ جملة الخبر[٢] وفي هذه الحالة ينبغي أن يسأل: كيف عطف (يَصْبِر) مجزومًا على (يتقي) مرفوعًا؟ وللإجابة نستدعي ما قال أبوعلي في ذلك: "يجوز أن يُقدر الضمة في قوله: ﴿وَيَصْبِرْ﴾، ويحذفها للاستخفاف، كما تحذف من نحو: عَضُدٍ، وسَبُعٍ، وجاز هذا في حركة الإعراب كجوازه في حركة البناء ... وما يقوي ذلك، ويسوغ حملة عليه أنه قرأ ﴿وَيَتَّقْهِ﴾ (النور: ٥٢)، ألا ترى أنه جعل (تَقْه) بمنْزلة (كَتْف وعَلْم) فاسكن، فكذلك يُسكن على هذا ﴿وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ..﴾"[٣]. هذا في قراءة الإثبات كما روي عن ابن كثير، ويمكن أن يستأنس لتوجيه هذه القراءة بما جاء من عطف وما قبله منصوب في قوله عز وجل ﴿فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ﴾ [المنافقون: ١٠]، حيث جزم ﴿وَأَكُنْ﴾ حملاً على معنى ﴿فَأَصَّدَّقَ﴾ الذي هو جواب التمني[٤]، كما يمكن أن يحمل الفعل "يُنَادِ" الذي في (ق) على نظيره من الحذف الواقع في آية (هود) السابقة، وعليها يمكن حمل الحذف من الفعل (تُغْن) من قوله: ﴿لا تُغْن عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ﴾[٥]، حيث كان الحذف في الحشو لا في رؤوس الآي.

---

(١) الفارسي، أبوعلي: الحجة للقراءات السبعة، ج٤، ص٤٤٧- ٤٤٩.

(٢) انظر: النحاس، أبوجعفر أحمد بن محمد إسماعيل: إعراب القرآن، تحقيق: الدكتور زهدي غازي زاهر، مكتبة العلوم والحكم بالمدينة المنورة، الطبعة الثانية، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م، ج٢، ص٣٤٤.

(٣) الفارسي، أبوعلي: الحجة للقراءات السبعة، ج٤، ص٤٤٧- ٤٤٩، قال البنا: "مذهب سيبويه أن الجزم بحذف الحركة المقدرة، وحذف حرف العلة، للتفرقة بين المرفوع والمجزوم"، البنا، إتحاف فضلاء البشر، ص٢٦٧.

(٤) القيسي، أبومحمد مكي بن أبي طالب القيسي: مشكل إعراب القرآن، تحقيق: الدكتور حاتم الضامن، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م، ج١، ص٣٩١.

(٥) سورة يس، الآية ٢٣.

أما في قراءة الحذف الذي عليه بقية القراءة، فقوله:(مَنْ) شرطية مبتدأ، وقوله: ﴿فَإِنَّ اللَّـهَ﴾ وما بعده الخبر، والجملة خبر (إنّ) الأولى، والهاء للحديث والقصة، و(يَصْبِرْ) عطف على (يَتَّق)[١].

أما قوله عز وجل ﴿مَا كُنَّا نَبْغِ﴾[الكهف: ٦٤] ففي قراءة غير ابن كثير في رواية ابن فليح، والكسائي، الحذف[٢]؛ لأنه موضع الفاصلة وتمام الوقف.

والقسم الثاني من المضارع ما كانت الياء فيه ضمير المتكلم ومحلها النصب بالفعل، وقد جاء هذا القسم في رؤوس الآي كثيرًا، كما جاء في درج الكلام وحشوه، فمن حذفها في رؤوس الآي قوله تعالى:﴿فَلا تُنْظِرُونِ﴾ [الأعراف: ١٩٥] وقوله:﴿أَنْ تَرْجُمُونِ﴾[الدخان:٢٠] وقوله:﴿وَإِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا لِي فَاعْتَزِلُونِ﴾[الدخان: ٢١]، وقوله:﴿إِنْ كِدْتَ لَتُرْدِينِ﴾[الصافات: ٥٦] وقوله:﴿... شَيْئًا وَلا يُنْقِذُونِ﴾[يس:٢٣] وفي سورة الشعراء مجموعة من الأفعال ختمت بالياء المحذوفة لمجيئها رؤوس أي نحو: (... سَيَهْدِينِ، يَهْدِيْنِ، يَسْقِينِ، يَشْفِينِ، يُحْيِيْنِ، وأطِيْعُونِ)، وكل ما في هذه السورة يثبت الياء فيه يعقوب في الحالين (في الوصل والوقف) ومما حذف منه الياء في رؤوس الآي أي (في الوصل والوقف)[٣] وقوله سبحانه: ﴿أَنْ تُفَنِّدُونِ﴾[يوسف: ٩٤]، وقوله:﴿وَلا تَكْفُرُونِ﴾ [البقرة: ١٥٢]، وقد قرأها يعقوب وحده بإثبات الياء في الوصل والوقف، وكذلك ما أشبهه في جميع القرآن وإن كانت محذوفة، رأس آية أو وسطها، وهذا مذهبه وسبيله فيه واحد لا يختلف، وأما

---

(١) القيسي: مشكل إعراب القرآن، ج١، ص٣٩١.
(٢) الأصبهاني: المبسوط في القراءات العشر، ص٢٤١.
(٣) محمد محمد سالم محيسن: المهذب في القراءات العشر وتوجيهها من طريق طيبة النشر، مكتبة الكليات الأزهرية بالقاهرة، ١٣٩٨هـ/١٩٦٩م، ج٢، ص٢١٦.

أبوجعفر، وأبوعمرو، ونافع -برواية إسماعيل- فإنهم يثبتون منه ما كان وسط الآية، ولا يثبتون ما كان رأس الآية إلا شيئًا يسيرًا[١].

أما ما جاء منه في غير رؤوس الآي، فنحو قوله عز وجل: ﴿وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الأَلْبَابِ﴾ [البقرة: ١٩٧] فقد قرأها أبوجعفر ونافع- وبرواية إسماعيل وحده- وأبوعمرو ويعقوب بإثبات الياء فيه، وقرأ الباقون بحذفه[٢].

وقوله تعالى: ﴿أَنْ يَهْدِيَنِ رَبِّي﴾ [الكهف: ٢٤] والخلاف في هذه ولا خلاف بين القراء في الياء التي في [سورة القصص: ٢٢] في الوقف والوصل. وقوله تعالى: ﴿إِنْ تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ﴾ [الكهف:٣٩]. وقوله تعالى: ﴿أَنْ يُؤْتِيَنِ خَيْرًا﴾ [الكهف: ٤٠]، ولا خلاف بينهم في إثبات الياء في التي في [سورة المنافقون: ١٠] في الحالين[٣].

والذي يمكن ملاحظته على أفعال هذا القسم أن نسبة طيبة منها جاءت بعد نهي سواء منها ما جاء في وسط الآي كالتي قوله تعالى: ﴿وَلا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي﴾ [هود: ٧٨] . وقوله: ﴿فَلا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ [هود: ٤٦] أو كان رأس أية كقوله سبحانه: وقوله سبحانه وتعالى: ﴿فَلا تَفْضَحُونِ﴾ [الحجر: ٦٨] ، وقوله: ﴿وَلا تُكَلِّمُونِ﴾ [المؤمنون: ١٠٨]، وقوله ﴿وَلا تَقْرَبُونِ﴾ [يوسف: ٦٠]، وقوله ﴿وَلا تُخْزُونِ﴾ [هود: ٧٨] وقوله: ﴿فَلا تُنْظِرُونِ﴾ [الأعراف: ١٩٥].

ب - أما القسم الثاني فهو فعل الأمر:

---

(١) الأصبهاني: المبسوط، ص١٣٨.
(٢) المصدر السابق، ص١٣٩.
(٣) المصدر نفسه، ص٢٤١.

وقد حذفت الياء مع هذا الفعل في جملة طيبة من الأفعال، وكانت موضوع خلاف بين القراء، فقد حذفت في أربعة عشر موضعًا من غير المكرر، كما أنها جاءت في وسط الآي قليلاً، وفي رؤوسها كثيرًا، فمما جاءت في وسط الآي قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الأَلْبَابِ﴾ [البقرة: ١٩٧]، وقوله: ﴿فَلا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ﴾ [آل عمران: ١٧٥] وقوله: ﴿وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ﴾[المائدة: ٣] وقوله: ﴿فَلا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلا...﴾[المائدة: ٤٤]، وقوله: ﴿اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ﴾[غافر: ٣٨]، وقوله: ﴿ثُمَّ كِيدُونِ فَلا﴾[الأعراف: ١٩٥]. أما التي في [هود: ٥٥] فالياء فيها ثابتة عند جميع القراء اتباعًا لرسم المصحف ثم إن التي في قوله تعالى: ﴿فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ﴾[المرسلات: ٣٩] فالياء ثابتة ليعقوب وقوله تعالى: ﴿وَاتَّبِعُونِ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ [الزخرف: ٦١] وهذا لا يدخل فيه قوله: ﴿فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾[آل عمران: ٣١]، ولا التي في قوله: ﴿فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي﴾[طه: ٩٠] فلا خلاف بين القراء في إثبات الياء فيهما اتباعًا للرسم. ومن المحذوف في وسط الآي قوله عز وجل: ﴿بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ﴾[إبراهيم: ٢٢].

أما ما جاء في رؤوس الآي فقوله تعالى: ﴿وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ﴾[البقرة: ٤١] وقوله: ﴿يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ﴾[الزمر: ١٦]، وقوله: ﴿... لِي فَاعْتَزِلُونِ﴾[الدخان: ٢١] وقوله: ﴿وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾[المؤمنون: ٥٢] وقوله تعالى: ﴿وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾[البقرة: ٤٠].

ولا مانع من الوقف عند بعض هذه الآي لنرى توجيه النحويين لهذا الحذف، فهم

يذهبون في إعراب قول الله تعالى: ﴿وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾[البقرة: ٤٠] إلى أنَّ ﴿وَإِيَّايَ﴾ منصوب بإضمار فعل، كما يجوز أن يكون على معنى: "وأنا فارهبون" على الابتداء والخبر، وهذا بمنزلة قولك: (زيدٌ فأضْرِبْهُ) لأن الياء المحذوفة من ﴿فَارْهَبُونِ﴾ كالهاء في (أضْرِبْهُ) ....[١]. قال النحاس: "وقع الفعل على النون والياء، وحذفت الياء لأنه رأس أية، وقرأ ابن إسحاق ﴿فَارْهَبُونِي﴾ بالياء، وكذلك (فاتَّقوني) منصوب بإضمار فعل، وكذا الاختيار في الأمر والنهي والنفي والاستفهام[٢]. قال ابن أبي مريم:"الأصل في ﴿فَارْهَبُونِ﴾ وأمثاله، هو إثبات الياء، لأن الياء هو ضمير المنصوب في هذا الموضع، والنون دعامة أدخلت ليبقى آخر الكلمة التي لحقتها هذه الياء على حاله من حركة أو سكون أو واو أو ياء، ولا يتغيّر، إذ لولا هذه النون لانكسر ما كان قبل الياء من حرف صحيح، وانَقلب ما كان من حرف علة، فأدخلت النون لتكسر لأجل الياء، ويسلم ما قبلها من التغيير، فإذا كان كذلك فالياء هي الأصل في الضمير، وإثبات الياء في هذه المواضع هو الأصل الذي عليه الوضع، وإنما حذفها من حذفها من رؤوس الآي، لأنها فواصل، وهي مثل القوافي في الشعر، تُطلب لها الموافقة والمشاكلة كما قال الأعشَى:

وَمِنْ شانِئٍ كَاسِفٍ وَجْهُهُ إذا مَا انْتَسَبْتُ لَهُ انْكَرَنْ

ألا ترى أنه حذف الياء من (أنْكَرَنِي)، وأسكن النون، لأنها قافية، وهي أيضًا موضع وقف، والوقف موضع تغيير"[٣].

ج - وأما القسم الثالث من الأفعال فهو الفعل الماضي:

ويمكن تقسيم الأفعال الواردة في هذا القسم إلى طائفتين:

---

(١) القيسي: مشكل إعراب القرآن، ج١، ص٩٠.

(٢) النحاس، أبوجعفر: إعراب القرآن، ج١، ص٢١٨، وانظر تعليل ذلك في الأخفش، سعيد بن مسعدة: معاني القرآن، تحقيق: الدكتورة هدى قراعة، مكتبة الخانجي بالقاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ/١٩٩٠م، ج١، ص٨٣.

(٣) ابن أبي مريم، نصر بن علي بن محمد بن أبي عبدالله الشيرازي: الموضح في وجوه القراءات وعللها، تحقيق: الدكتور عمر حمدان الكبيسي، الجماعة الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم بجدة، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م، ج١، ص٢٧٢.

الأولى: ما كان آخر الفعل كسرًا ليدل على الياء المحذوفة وهو شبيه ببعض الأفعال في القسمين السابقين وذلك نحو قوله تعالى: ﴿... دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦] وقوله عز وجل: ﴿... وَقَدْ هَدَانِ﴾ [الأنعام: ٨٠] ، أما التي في [الزمر: ٥٧] فإن الياء ثابتة لا تحذف عند جميع القراء؛ اتباعًا للمصحف.

وقوله تعالى: ﴿إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ﴾ [إبراهيم: ٢٢] وقوله تعالى: ﴿فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا آتَاكُمْ﴾ [النمل: ٣٦] والخلاف في الأخيرة هذه زيادة على خلافهم في الحذف والإثبات، يتمثل في قراءة من يكسر النون من غير ياء وهم: ابن كثير، وابن عامر، وأبوبكر عن عاصم، وحمزة، والكسائي، وقراءة من يفتح الياء وهم: أبوعمرو، ونافع، وعاصم في رواية حفص[(١)]. زاد الأصبهاني: أبوجعفر، وابن كثير في رواية ابن فليح وحده[(٢)]. وقوله: ﴿وَمَنِ اتَّبَعَنِ﴾ [آل عمران: ٢٠] وقوله سبحانه: ﴿لَئِنْ أَخَّرْتَنِ﴾ [الإسراء: ٦٢].

وكل هذه المواضع ليس الفعل على رأس آية فيها، والخلاف فيها بين القراء في الإثبات والحذف، فمن حذف كان متبعًا للرسم، والكسر دليل على المحذوف تخفيفًا، ومن أثبت فقد جاء به على الأصل، أما من حذف بعض هذه الياءات وأثبت بعضًا فلأنه أخذ باللغتين، ومن حذفها في الوقف دون الوصل فلأنه تغيير، والوقف موضع تغيير[(٣)]. أو بعبارة أخرى من كان يقف بحذف الياء فاتباعًا للمصحف، وأنه لا ينبغي أن يخالف رسمه،كما أنه اكتفى بالكسرة عن الياء، لأنها نائبة عنها، ومن أثبت الياء فعلى الأصل[(٤)].

---

(١) انظر ابن مجاهد: السبعة في القراءات، ص٤٨٢.
(٢) الأصفهاني: المبسوط، ص١٨٤.
(٣) المصدر السابق، ص٣٢٨.
(٤) ابن أبي مريم: الموضح، ج١، ص٣٥٩.

وأما الفئة الثانية من الأفعال الماضية فتختص بما وقع على رؤوس الآي، وهو قليل جدًا، إذ لم يقع منه غير فعلين هما في سورة الفجر، حيث قال الله تعالى: ﴿رَبِّي أَكْرَمَنِ ١٥ .... رَبِّي أَهَانَنِ﴾ [الفجر: ١٥، ١٦].

وقد قرأهما نفر بغير ياء في وصل ووقف. كما قرأهما آخرون بياء في الوصل والوقف، وقرأهما نفر بياء في الوصل دون الوقف.

وروى ابن مجاهد عن علي بن نصر قوله: "سمعت أبا عمرو يقرأ ﴿أَكْرَمَنِ﴾ و﴿أَهَانَنِ﴾ يقف عند النون. وقال اليزيدي: كان أبوعمرو يقول: "ما أبالي كيف قرأت: بالياء أم بغير الياء في الوصل، فأما الوقف فعلى الكتاب"، كما نقل عن عباس: الجزم فيهما مع الحذف وقفًا، ونقل عن أبي الربيع عن أبي زيد أن أبا عمرو قرأهما بإثبات الياء، وعن عبيد عن أبي عمرو بالجزم وحذف الياء والوقف عند النون[١]. وقد روى سيبويه عن أبي عمرو الوقف على النون ساكنة مع حذف الياء[٢]، وشبه أبوعلي قراءة الحذف وصلاً ووقفًا بقراءة من قرأ (يَسْرْ) في الوصل والوقف، لأنها ياء قبلها كسرة، في فاصلة،كما شبه قراءة من أثبت الياء فيهما بقراءة من أثبت الياء في (يَسْرِي) حين أثبتها في الوصل وحذفها في الوقف[٣]. وأكد القيسي أن المشهور عن أبي عمرو الحذف في الوصل والوقف فيهما، وأن الباقين قرأوا بذلك[٤].

ولما كانت الياء التي هي لام الفعل في نحو (يَسْرِي) تحذف في الفواصل وغيرها، فكذلك تحذف ياء الضمير وخصوصًا في الفواصل إلا أن ياء الضمير المفعول به قلّما تحذف في غير الفاصلة والقافية[٥].

---

(١) ابن مجاهد: السبعة في القراءات، ص٦٨٤- ٦٨٥. وانظر: مزيدًا من التفصيل في الأصبهاني: المبسوط، ص٤٠٨- ٤٠٩.

(٢) سيبويه: الكتاب، ج٢، ص٢٨٩.

(٣) أبوعلي الفارسي: الحجة للقراء السبعة، ج٦، ص٤٠٨- ٤٠٩.

(٤) القيسى، مكي بن أبي طالب: التبصرة في القراءات السبع، تحقيق: الدكتور المقرئ محمد غوث الندوي، نشر وتوزيع الدار السلفية، بمباي الهند، الطبعة الثانية، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م، ص٧٢٦.

(٥) ابن أبي مريم: الموضح في وجوه القراءات وعللها، ج٣، ص١٣٦٨.

وقد سوى سيبويه بين الفعل والحرف فما يحذف من هذه الياءات في الوقف، ووصف الحذف بأنه أقيس وأكثر، مشبهًا هذه الياءات بياء (قَاضِي)، من حيث وقوعها بعد كسرة ساكنة في اسم، وقد عني سيبويه بالاسم ضمير المتكلم، وقعت في فعل أو اسم أو حرف واستدل على ذلك بقراءة أبي عمرو السابقة في الوقف، مستشهدًا بقول النابغة، وأنه سمعه ممن يرويه عن العرب الموثوق بهم.

إذَا حَاوَلْتَ في أسَدٍ فُجُورًا   فإنِّي لَسْتُ مِنْكَ وَلَسْتَ مِنْ

على أنه أراد: (مِنِّي)، وقوله أيضًا:

وهُمْ وَرَدُوا الجِفَارَ عَلى تَمِيْمٍ   وَهُمْ أصْحَابُ يَومِ عُكَاظَ إنْ

على إرادة: (إنّي)، ثم علّق على ذلك بأن ترك الحذف أقيس[١].

إلا أن أبا سعيد قال عن هذا: إن القصيدة مطلقة، وإنما هذا إنشاد بعضهم[٢]. وجميع المصادر تكاد تجمع على القراءة في مثل هذه المواضع بالحذف عند الوقف اتباعًا للمصحف، كما كان إثباتها في الوصل أو في الوقف إنما كان لإخراجها على الأصل[٣]، وقد أشار ابن يعيش إلى أن تفسير مذهب الحذف يقع من جهتين، وأن أجودها إثبات الياء، لأنه لا تنوين معها يوجب حذفها [أي أنها ليست كالياء في (قاضي) ونحوها]، فهي ثابتة في الوصل، ولا تحذف في الوقف، وجرت مجرى ياء (القاضي)، لأنها ياء ساكنة بعد كسرة في اسم، فثبتت كسرتها، والوجه الآخر: أن تحذفها فيهما، فتقول: (ضَرَبَنْ، وهذا غُلامْ، وأنت تريد: غُلامِي، وضَرَبَنِي، لأن (ني) اسم...، ووجه قراءة أبي عمرو آيتي (الفجر) بالحذف على رأي من يقول (هذا القَاضْ)، فيحذف الياء، وحذف الياء في الفعل حسن؛ لأنها لا تكون إلا وقبلها نون، فالنون تدل عليها، فلا لبس فيها، بخلاف قولك: (هذا غُلاَمْ) تقف عليه بالسكون، فلا يُعلم أنه يراد به الإضافة الياء أم الإفراد، ولذلك منعه بعضهم وأجازه سيبويه في الوصل؛ لأنه يبيِّنه[٤].

---

(١) سيبويه: الكتاب، ج٢، ص٢٨٩- ٢٩٠.

(٢) السيرافي: ما يحتمل الشعر، ص٩٢- ٩٣.

(٣) الأنباري، محمد بن القاسم بن بشار: إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله عز وجل، تحقيق: محيي الدين عبدالرحمن رمضان، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، ١٣٩٠هـ/١٩٧١م، ج١، ص٢٦٠. وانظر: ابن الشجري: أمالي ابن الشجري، ج٢، ص٢٩١ (الطناحي).

(٤) ابن يعيش، موفق الدين، يعيش بن علي: شرح المفصل، عالم الكتب، بيروت، مكتبة المتنبي بالقاهرة، بلا تاريخ،

وبالرغم من وصف ابن يعيش حذف الياء التي قبلها نون بالكثرة في القرآن الكريم[١]. إلا أني لم أجد القراء أشاروا إلى غير الموضعين الواردين في سورة الفجر، وهما في رؤوس الآي، ومعلوم أن الحذف في رؤوس الآي كثير في القرآن في الأفعال والأسماء، ويستدل على ذلك دائمًا بما في القوافي من حذف، لأن ذلك موضع وقف.

لقد استدل سيبويه على هذا الحذف بقول الأعشى:

فَهَلْ يَمْنَعَنِّي ارْتِيَادِي البِلاَ ... دَ مِنْ حَذَرِ الموتِ أنْ يأتِيَنْ

ومِنْ شَانِئٍ كاسِفٍ وَجْهُهُ إذَا ... مَا انْتَسَبْتُ لهُ انْكَـرَنْ[٢]

كما استدل غيره بهما أيضًا في هذا المقام[٣]، وبالوقف على القصيدة في ديوان الشاعر تبين أن القصيدة نونيّة مقيدة مطلعها:

لَعَمْرُكَ مَا طُولُ هَذَا الزَّمَنْ ... عَلَى المَرْءِ، إلاّ عَنَاءٌ مُعَنْ

وهي قصيدة طويلة وقد حذف الأعشى ياء الإضافة هذه في أكثر من موقع ووقف بالسكون وذلك قوله: بالإضافة إلى ما سبق:

أَلَيْسَ أَخُو المَوتِ مُسْتَوثِقًا ... عَلَيَّ، وإنْ قُلْتُ قَد أنْسَأَنْ

ولكِنَّ رَبِّي كَفَى غُـرْبَتِي ... بِحَمْدِ الإلَه، فقد بَلَّغَـنْ

وَحَوْلِيَ بَكْرٌ وأشْيَاعُـهَا ... وَلَسْتُ خَلاَةً لِمَنْ أوعَدَنْ

فَجِئْتُكَ مُرْتَادَ مَا خَبَّرُوا ... وَلَوْلاَ الَّذِي خَبَّرُوا لَمْ تَرَنْ[٤]

ج٩، ص٨٥- ٨٦. وانظر: سيبويه: الكتاب، ج٢، ص٢٩٠.

(١) ابن يعيش: شرح المفصل، ج٩، ص٨٦.

(٢) سيبويه: الكتاب، ج٢، ص٢٩٠.

(٣) انظر ابن عصفور، أبوالحسن علي بن مؤمن: ضرائر الشعر، تحقيق: السيد إبراهيم محمد، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٨٠م، ص١٢٨. وانظر مصادر أخرى هناك بالهامش.

(٤) الأعشى، ميمون بن قيس: ديوان الأعشى الكبير، شرحه وقدم لـه: مهدي محمد ناصر الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، ص١٩٠- ١٩١.

لقد خرج الحذف عند الشاعر سهلاً مستساغًا، لأنها لغته وسليقة قومه، ولذلك فليست هناك ضرورة شعرية ألجاته إليه، ولكنه مذهبه، وهو مذهب العرب في الوقف، ولذلك أثبت نون الوقاية لأن الحذف للوقف عارض، فحكم للياء المحذوفة بحكمها لو كانت ملفوظًا بها[١].

ثانيا: الياءات الزائدة الأ اء:

وقبل الخوض فيه ينبغي أن نقدم ما شاع بين أهل العربية من أنَّ الأصل سقوط الياء إذا سكنت ولقيها التنوين، لاستثقالهم الضمة في الياء، ولأن التنوين سكون، فتحذف الياء لالتقاء الساكنين نحو قوله تعالى: ﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا﴾[يوسف: ٤٢]، وقوله عز وجل: ﴿وَالزَّانِيَةُ لا يَنْكِحُهَا إِلاَّ زَانٍ أو مُشْرِكٌ﴾[النور: من الآية٣]، وقوله سبحانه: ﴿إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لآتٍ﴾[الأنعام: من الآية١٣٤] وأمثال ذلك كثيرة[٢]، والأصل في الوقف على هذه الحروف وأمثالها بالياء أعني (نَاجِي، وزَانِي، وأتِي)، إلا أنهم يستثقلون الضمة في الياء، فتسكن الياء، وعندئذ يستقبل السكون بسكون التنوين فيجتمع ساكنان فتحذف الياء لذلك[٣] هذا إذا كانت الياء أصلية، لأنهم لا يثبتون الياء في شيء من (فَاعِل)، نحو ما جاء في الآيات السابقة، وقولهم: "هذا قَاضٍ، ورَامٍ، وداعٍ"، فإذا أدخلوا فيه الألف واللام، قالوا بإثبات الياء وحذفها[٤] ومن هنا جاء خلافهم في مثل قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُو الْمُهْتَدِ﴾ [في الكهف: ١٧، والاسراء: ٩٧] بغير ياء، والياء في قوله تعالى: ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُو الْمُهْتَدِي﴾ [الأعراف: ١٧٨].

---

(١) ابن عصفور: ضرائر الشعر، ص١٢٨.

(٢) انظر: سورة الأعراف، الآية ٤١، والآية ١٩٥، سورة النحل، الآية ٩٦، سورة الحديد، الآية ٢٦، سورة طه، الآية ٧٢.

(٣) الأنباري: الوقف والابتداء، ج١، ص٢٣٣- ٢٣٤.

(٤) الفراء: معاني القرآن، ج١، ص٢٠٠- ٢٠١.

فقد قرأ يعقوب ونافع وأبوجعفر بإثبات الياء في التي في الإسراء والكهف واتفق القراء على إثبات التي في الأعراف وصلاً ووقفًا، اتباعًا للرسم[١]، وكان الفراء يحب إثبات الياء في مثل هذه الأسماء إذا دخل عليها الألف واللام، لأنه حينئذ لا تنوين معها، ولم يخطئ من يحذفها حتى مع الألف واللام، لأن حجته وجود الحرف بغير ياء قبل أن تدخل فيه الألف واللام، فيكره أن يزاد فيه ما لم يكن، قال: وكلّ صواب[٢]، ونقل الأنباري عن الكسائي والفراء قولهما: "الكلام بني على وصله، فلا يحدث في الوقف ما لا يكون في الوصل"[٣].

ويمكنك تقسيم الياء مع الأسماء قسمين:

الأول: ياء أصلية في الاسم ومن أنفس الكلم، وعليها يقع الإعراب مقدرًا أو ظاهرًا، ويعرف الاسم معها بالاسم المنقوص[٤]، والأسماء المنقوصة التي اعتراها الحذف في القرآن الكريم جاءت في حشو الآي، ورؤوسها. والذي جاء في الحشو توزعته حركتا الرفع والجر، والنحاة مجمعون على جواز حذف هذه الياء في هاتين الحالتين وإن كان: "الأصل في ذلك إثبات الياء، لأن الياء لام الفعل، فإذا وقفْتَ حذفت الياء اتباعًا للمصحف، وهذا حسن لأنهم اتبعوا الأصل في الوصل، وفي الوقف المصحف..." ولمن قرأ هذه الحروف بغير ياء في الوصل أن يحتج بأنها في المصحف بغير ياء[٥]، فلا ينبغي أن يُخالف رسم المصحف، وحجة أخرى، وهي أنهم اكتفوا بالكسرة عن الياء"[٦].

أمّا الآيات التي جاء فيها هذا النوع من الحذف فهي واحدة في سورة البقرة وهي قوله تعالى: ﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦]، واثنتان في سورة القمر

---

(١) الأصبهاني: المبسوط، ص٢٣٢- ٢٤١.

(٢) الفراء: معاني القرآن، ج١، ص٢٠١.

(٣) الأنباري: الوقف والابتداء، ج١، ص٢٣٥.

(٤) الاسم المنقوص: اسم متمكن مختوم بياء قبلها كسرة، لا يدخلها خفض ولا رفع لثقل ذلك، نحو ياء القاضي، وتحذف الياء عند التنوين رفعًا وجرًا، ويدخله النصب، كما يظهر عليه تنوين الفتح، تقول: هذا قاضٍ فاعلم -في الرفع- ومررت بقاضٍ فاعلم -في الجر- وسميت قاضيًا في حال النصب، انظر: المبرد، محمد بن يزيد: المقتضب، ج٣، ص٣٥٤، ج٤، ص٢١، ٢٤٨.

(٥) انظر: السجستاني، أبوبكر عبدالله بن أبي داود: المصاحف، مؤسسة قرطبة للنشر والتوزيع بالقاهرة، بلا تاريخ، ص١١٤.

(٦) الزجاج: معاني القرآن وإعرابه، ج٥، ص٨٦. ابن زنجلة : حجة القراءات، ص١٢٧.

وهي قوله تعالى:﴿يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ...﴾ [القمر: ٦]، وقوله تعالى:﴿مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ...﴾ [القمر: ٨] لأن الياء محذوفة في الرسم[١]، وفي ياءاتها خلاف بين القراء في إثبات الياءات في واحدة وحذفها من الأخرى، وبعضهم يحذف الياء فيها جميعًا في الوقف دون الوصل، في حين كان فريق يثبت الياء في الوصل ويحذفها في الوقف في جميع هذه الحروف[٢].

ويرى النحاس أن المنقوص هنا إذا حذفت منه الياء فالقول فيه أنه بني على نكرته، وأما البيّن فأن يكون هذا كله مكتوبًا بغير حذف[٣]، وقد جاء هذا اللفظ في أحوال الإعراب هذه حشوًا في وسط الآي، ومما يلحق به من الحروف في حال الرفع قوله تعالى:﴿وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُو الْمُهْتَدِ﴾ [الإسراء: ٩٧، والكهف: ١٧] فقد وصلها نافع وتلاميذه من المدينة، وأبوعمرو بياء، ووقفوا عليها بغير ياء، ووصلها ابن كثير وعاصم وحمزة والكسائي وتلاميذهم من الكوفيين، وابن عامر وتلاميذه من الشاميين بغير ياء، ووقفوا بغير ياء[٤]. والياء في الموضعين لام الفعل كما هو معلوم بالتصريف، قال أبواسحاق الزجاج: "أكثر اللغة﴿فَهُو الْمُهْتَدِ﴾ بإثبات الياء، وفي المصحف في هذا الموضع كالذي في الأعراف[٥]، فهذا وجه، وهو في الأعراف بالياء، وفي الكهف بغير ياء، وحذف الياء جائز في الأسماء خاصة، ولا يجوز في الأفعال، لأن الياء في الفعل دليل الجزم، وحذف الياء في الأسماء واقع إذا لم يكن مع الاسم الألف واللام نحو: "مُهْتدٍ، ومُقْتَدٍ"، فأدخلت الألف واللام وترك الحذف على ما كان عليه، ودلت الكسرة على الياء المحذوفة"[٦].

---

(١) السجستاني: المصاحف، ص١١٤.
(٢) ابن مجاهد: السبعة في القراءات، ص١٩٧، ص٦١٧، وانظر: الأصبهاني: المبسوط، ص١٣٨، ص٣٥٧، الداني: التيسير، ص٨٦.
(٣) النحاس: إعراب القرآن، ج٤، ص٢٨٦.
(٤) ابن مجاهد: السبعة في القراءات، ص٣٨٦، ص٤٠٣، وانظر أيضًا: الأصبهاني: المبسوط، ص٢٣٢- ٢٤١.
(٥) هي قوله عز وجل:﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوالْمُهْتَدِي﴾ [الأعراف: الآية ١٧٨].
(٦) الزجاج: معاني القرآن وإعرابه، ج٣، ص٢٧٤.

ومن المرفوع المحذوف ياؤه في الحشو قوله تعالى: ﴿الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ﴾ [الحج:٢٥]، فقد قرأها أبوجعفر ونافع -من سائر طرقه غير قالون- وابن كثير وأبوعمرو ويعقوب بإثبات الياء. ابن كثير ويعقوب في الوصل والوقف، والآخرون في الوصل دون الوقف، وقرأها ابن عامر وقالون عن نافع، وعاصم وحمزة، والكسائي وخلف بحذف الياء في الوصل والوقف[١]، وقد جاء حذف الياء في مكان لا يمكن معه التنوين، فالاسم محلى بالألف واللام وهو معطوف على مرفوع؛ يضاف إلى ذلك أنه موضع للوقف التام، فلو أثبت الياء لم يخرج على قوانين العربية، لكنه اكتفى بالكسرة دليلاً على المحذوف، واتباعًا لرسم المصحف، ثم إنه لو قدر فيه الجرّ عطفًا على ﴿الْعَاكِفُ﴾ الذي هو نعت لـ ﴿النَّاس﴾ المتقدم ذكره[٢] لقيل في ذلك مثل ما قيل في حال الرفع.

ومنه أيضًا قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَار فِي الْبَحْرِ...﴾[الشورى: ٣٢]، وقوله: ﴿وَلَهُ الْجَوَار...﴾ [الرحمن: ٢٤]، فقوله: ﴿الْجَوَار﴾ في الموضعين رفع، وقد جاء اللفظ في سورة التكوير [الآية: ١٦] مجرورًا محذوفًا، ثم منه قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ...﴾[ق: ٤١]. وهذا من الأسماء المرفوعة ومثله:

قوله تعالى: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ﴾ [الرعد:٩].

قوله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ [الرعد: ٧].

وخلاف القراء في الحذف والإثبات في الوقف والوصل قائم في هذه الحروف كخلافهم في غيرها من الحروف السابقة[٣] فقد قرئ فيها جميعًا الياء في الوصل

---

(١) الأصبهاني: المبسوط، ص٢٥٩.
(٢) النحاس: إعراب القرآن، ج٣، ص٩٤.
(٣) الأصبهاني: المبسوط، ص٣٣٣.

والوقف، وبإثباتها وصلا دون الوقف، وبحذفها في الوصل والوقف[١].

أما ما جاء مجرورًا محذوف الياء، فبالإضافة إلى التي في القمر والبقرة الآنف ذكرها ورد الحذف في الحروف التالية:

قوله تعالى:﴿ .. وَمَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ﴾ [الرعد:٣٤]

قوله تعالى:﴿ .. مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلا وَاقٍ﴾ [الرعد: ٣٧]

قوله تعالى:﴿ .. وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ﴾ [غافر: ٢١]

قوله تعالى:﴿ .. وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ﴾ [سبأ: ١٣]

قوله تعالى:﴿ .. لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلاقِ﴾ [غافر: ١٥]

قوله تعالى:﴿ .. إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ﴾ [غافر: ٣٢]

قوله تعالى:﴿ .. فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ [غافر: ٣٣]

قوله تعالى:﴿ .. الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ﴾ [الفجر: ٩]

قوله تعالى:﴿ .. أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ﴾ [النمل: ١٨]

قوله تعالى:﴿ .. إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ﴾ [طه: ١٢]

قوله تعالى:﴿ .. مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الأَيْمَنِ﴾ [القصص: ٣٠]

وقوله تعالى:﴿ .. إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ﴾ [النازعات: ١٦]

---

[١] المصدر السابق، ص٢١٥، ٢١٦، ٣٤٩، ابن مجاهد: السبعة في القراءات، ص٣٦٠، ٦٠٧.

وفي هذه الحروف جميعًا اختلف القراء فمنهم من أثبت الياء وقفًا ووصلاً على أصل البنية، ومنهم من حذفها في الحالين مراعاة للرسم، ومنهم من أثبتها في الوصل وحذفها في الوقف، إلا أن الأغلب عليها الحذف من جهتين:

الأولى: مراعاة السواد، والثانية أن بعضها في رؤوس الآي، وهي مواقع حذف، لأنهم يشبهونها بقوافي الشعر، والحذف في الفواصل هو الوجه، فإن لم تكن فاصلة فالإثبات أحسن[١].

ولم يفرقوا بين ما جاء من هذه الأسماء منكّرًا فيدخله التنوين والحذف، وبين ما جاء معرفًا بالألف واللام ممتنعًا من التنوين، ولحاق الياء به أقوى، فقد روى الفارسي ما حكاه سيبويه بأن من العرب من يحذف الياء مع الألف واللام كما يحذفها مع غير الألف واللام، نحو: قاضٍ، إذا وقف قال: هذا قاضْ، وهو أجود من الإثبات[٢].

أما الثاني من هذا القسم، فيخص الأسماء المضافة إلى ياء المتكلم، سواء ما وقع منها في حشو الآي، أو رؤوسها، وسواء ما كان للحذف علة من جهة النحو كالمنادى، أم لم تكن فيه علة.

فمما كان للنحو توجيه في حذفه ما جاء منادى مضافًا، وذلك قوله تعالى عز وجل: ﴿يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ﴾ [الزمر: ١٦]، فقد أثبت الياء فيها رويس وقفًا ووصلاً بخلف عنه[٣]. قال أبوإسحاق الزجاج: "القراءة بحذف الياء، وهو الاختيار عند أهل العربية، ويجوز: يا عِبَادِيْ ويا عِبَادِيَ، والحذف أجود، وعليه القراءة[٤]، وقد شبه أبوعلي المضمر المجرور هنا بالتنوين، لعدم انفصال كل منهما من الاسم الظاهر، وذلك بمعاقبته التنوين، فهو يحذف في النداء، ولو كان مكان المضمر في النداء اسم مظهر لم يجز حذفه[٥]، وقد جاء حذف المضمر من المضاف؛ لأن النداء موضع حذف، إلا أنه يجوز إثباته على الأصل، كما يجوز في المثبت الفتح[٦].

---

(١) أبوعلي الفارسي: الحجة للقراء السبعة، ج٦، ص٤٠٧.
(٢) المصدر نفسه، ج٦، ص٤٠٨- ٤٠٩.
(٣) ابن الجزري: النشر، ج٢، ص٣٦٤.
(٤) الزجاج: معاني القرآن وإعرابه، ج٤، ص٣٤٩.
(٥) أبوعلي الفارسي، الحسن بن عبدالغفار: المسائل المشكلة المعروفة بالبغداديات، دراسة وتحقيق: صلاح الدين عبدالله السنكاوي، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٨٣، ص٥٦١.
(٦) النحاس: إعراب القرآن، ج٤، ص٨، يقول ابن مالك:

ومثل آية الزمر السابقة قوله تعالى:﴿يَا عِبَادِ لا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ﴾ [الزخرف: ٦٨]، فهي في المصحف من غير ياء، وقد قرأها أبوجعفر ونافع وابن عامر وأبوعمر ويعقوب بالياء في الوصل والوقف إلا أن أبا عمرو فإنه يقف بغير ياء، وقرأ ابن كثير، وحفص عن عاصم، وحمزة، والكسائي وخلف ﴿يَا عِبَادِ﴾ بغير ياء في الوصف والوقف[١] أما قوله تعالى:﴿قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا...﴾ [الزمر: ١٠] ففي السواد من غير ياء في مصاحفنا المعاصرة، وكل القراء يثبتون الياء وقفًا، ولكنهم يختلفون في حركتها بين الفتح والسكون ثم الحذف، والإثبات في الوقف على ما في السواد كما قال الأصبهاني[٢]، إلا أن مما ينبغي ملاحظته في هذه الآية وفي سورة [العنكبوت: ٥٦] استقبال الياء حرفًا ساكنًا[٣]، فكان تحريكها أسهل، فضلاً عن أنها ليست رأس آية ولا فاصلة، ولم يختلف القراء في إثبات الياء، وانحصر خلافهم بين تسكينها وفتحها فهي مثبتة في جميع المصاحف[٤]. ومثل ذلك قوله تعالى:﴿يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ﴾ [يس: ٢٠].

وموقف النحاة من المنادى المضاف إلى ياء المتكلم معلوم، فقد جوزوا حذف هذه، الأمر الذي يجعل الحذف أحسن من الإثبات في حين لا يمكن الوقف بتسكين الياء، وإلا اجتمع ساكنان، كما أن إثبات الياء مع الفتح مرجوح بالتخفيف المتولد من الحذف.

أما ما جاء من الحروف المضافة إلى ياء المتكلم وكانت رأس آية فهو الكثير في هذا الباب، ومنها:

وأَجْعَلْ مُنَادًى صَحَّ إنْ يُضَفْ لِيا كَعَبْدِ، عَبْدَ، عَبْدَا، عَبْدِيا

ففيه خمس وجوه -كما ترى- وهي حذف الياء والاستغناء بالكسرة، أو إثبات الياء ساكنة، أو قلب الياء أيضًا وحذفها والاستغناء بالفتحة، أو قلبها ألفًا وقلب الكسرة فتحة، أو إثبات الياء محركة بالفتح: ابن عقيل، بهاء الدين عبدالله بن عقيل: شرح ابن عقيل، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، المكتبة التجارية الكبرى بالقاهرة، الطبعة الرابعة عشر، ١٩٦٥م، ج٢، ص٢٧٤- ٢٧٥.

(١) الأصبهاني: المبسوط، ص٢٩٢.

(٢) المصدر السابق، ص٣٢٥.

(٣) هذه الآية بالياء في سورة العنكبوت، وبدون الياء في سورة الزمر.

(٤) الأصبهاني: المبسوط، ص٢٩٢ ٢٤١.

قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ﴾ [إبراهيم:١٤].

وقوله تعالى: ﴿كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ﴾ [ق: ١٤].

وقوله تعالى: ﴿فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ﴾ [ق: ٤٥].

فقد قرأ ورش عن نافع، ويعقوب بإثبات الياء حيث كان من هذا الحرف، وقرأ الباقون بحذف الياء[١]، ولما كانت هذه الكلمة في جميع الآي رأس آية، فقد حسن الحذف للوقف، وهي في المصحف من غير ياء[٢].

ومما جاء محذوفًا قوله عز وجل: ﴿وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ﴾ [إبراهيم: ٤٠] فقد قرأها ابن كثير برواية البزي، وأبوعمرو، وحمزة ﴿دُعَائي﴾ بالياء إذا وصلوا، وابن كثير يقف بالياء أيضًا، والباقون بغير ياء، وصلوا أو وقفوا واختلف عن نافع برواية ورش بالياء[٣].

وقوله عز وجل: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ١٧ الَّذِينَ﴾ [الزمر:١٧، ١٨] قرأها ابن كثير وأهل مكة بالياء وقرأها أبوعمرو ﴿عِبَادِيَ﴾ بنصب الياء، وعنه قال عبيد: إن كانت رأس آية وقفت، وإن لم تكن رأس آية قلت: فقراءته القطع، وعن ابن كثير أيضًا بكسر الدال من غير ياء، وقرأها الباقون بغير ياء[٤] وقد حسن أبوعلي التسكين والتحريك في يائها[٥] وصحح الأصبهاني قراءة الحذف، ووصفها بأنها أثبت عنده[٦].

---

(١) المصدر نفسه، ص٣٤٩.
(٢) ابن خالويه: إعراب القراءات السبع وعللها، ج١، ص٣٣٨.
(٣) المصدر نفسه، ج١، ص٣٣٧.
(٤) ابن مجاهد: السبعة في القراءات، ص٥٦١.
(٥) أبوعلي الفارسي: الحجة للقراء السبعة، ج٦، ص٩٤.
(٦) الأصبهاني: المبسوط، ص٢١٨.

أما قوله عز وجل: ﴿قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا... ﴾ [إبراهيم: من الآية٣١] فلم ترد فيها القراءة بالحذف، لأن موقعها هذا ليس رأس آية، ولا موضع وقف، وإنما ورد فيه فتح الياء وإسكانها[١].

وأما بقية الحروف التي ورد فيها الخلاف بين الحذف والإثبات فهي قوله عز وجل: ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾ [القمر:١٦، ١٨، ٢١، ٣٠] وقوله تعالى: ﴿فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ﴾[القمر:٣٧ ، ٣٩].

وقد أثبت الياء فيهن جميعًا ورش عن نافع، وذلك مراعاة للأصل، والباقون يحذفونها لأنها رؤوس الآي[٢] قال الأصبهاني: "قرأ يعقوب ذلك كله... بإثبات الياء في الوصل والوقف، وقرأ الباقون بحذف الياء فيها وصلاً ووقفًا[٣].

ومنه أيضًا قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ [الحج: ٤٤، ٤٥، فاطر: ٢٦، الملك: ١٨].

وقوله تعالى: ﴿فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ﴾ [الملك:١٧].

وقوله عز وجل: ﴿فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾ [الرعد:٣٢، غافر: ٥]

وقوله سبحانه: ﴿فَحَقَّ عِقَابِ﴾ [ص:١٤]

وقوله تعالى: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ [الكافرون:٦]

وقوله تعالى: ﴿إِلَيْهِ أَدْعُو وَإِلَيْهِ مَآبِ﴾ [الرعد:٣٦]

---

(١) المصدر نفسه، ص٢١٩.
(٢) ابن خالويه: إعراب القراءات السبع وعللها، ج٢، ص٣٣٢.
(٣) الأصبهاني: المبسوط، ص٣٥٧.

وقوله سبحانه: ﴿بَلْ لَمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ﴾ [ص:٨]

فكل هذه الآيات جاءت في رؤوس الآي وهي مواطن الوقف، والحذف بذلك ألصق للوقف والتخفيف، فضلاً عن اتباع الرسم الذي يحافظ على اتباعه كثير من القراء، أما الذين يثبتون هذه الياءات، فهم قليل، وينظرون إلى أن الأصل إثباتها، ففي آيتي الملك مثلاً [١٧، ١٨] أثبتهما نافع وحده في رواية ورش، على الأصل، وحذفها الباقون، اتباعًا للرسم[١]، والتي في [الكافرون: ٦] أثبتها يعقوب في الوصل والوقف، لأنه مذهبه في كل ياء إضافة رأس آية كانت أو وسطها، مثبتة كانت أو محذوفة إلا ما كان مسبوقًا بالنداء كالتي في [الزمر: ١٦] ﴿يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ﴾ وما أشبه ذلك[٢].

لقد اختلف القراء في إثبات هذه الياءات وحذفها، لكنهم مجمعون على تسميتها بالزوائد، لأن القراء أنفسهم هم الذين زادوها بحسب الرواية الصحيحة على ما رسم في المصاحف العثمانية، لذلك فهي زائدة عند من أثبتها منهم[٣]، قال ابن الجزري عن هذه الياءات:

وَهيَ الَّتي زَادُوا عَلَى مَا رُسِمَا ... [٤].

وقال الرعيني: ودَوْنَكَ يَاءَاتٍ تُسَمَّى زوائدًا لأنْ كُنَّ عَنْ خَطِّ المصَاحِفِ مَعْزِلاً[٥]

وصلى الله وسلم على خير خلقه نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) ابن خالويه: إعراب القراءات السبع وعللها، ج٢، ص٣٨٠.
(٢) الأصبهاني: المبسوط، ص٤١٩.
(٣) محيسن: الهادي، ج١، ص٤٠٩.
(٤) ابن الجزري: النشر، ج٢، ص٥٩.
(٥) الرعيني: حرز الأماني، ص٣٤.

مصادر البحث ومراجعه

١ - الأخفش، سعيد بن مسعدة:
معاني القرآن، تحقيق: الدكتورة هدى قراعة، مكتبة الخانجي بالقاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ/١٩٩٠م.

٢ - الأصبهاني، أبوبكر أحمد بن الحسين بن مهران:
المبسط في القراءات العشر، تحقيق: سبيع حمزة حاكمي، دار القبلة للثقافة الإسلامية، جدة، ومؤسسة علوم القرآن، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

٣ - الأعشى، ميمون بن قيس:
ديوان الأعشى الكبير، شرحه وقدم له: مهدي محمد ناصر الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

٤ - الأنباري، أبوالبركات عبدالرحمن بن محمد بن أبي سعيد:
الإنصاف في مسائل الخلاف، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، المكتبة التجارية الكبرى بالقاهرة، بلا تاريخ.

٥ - الأنباري، محمد بن القاسم بن بشار:
إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله عز وجل، تحقيق محيي الدين عبدالرحمن رمضان، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، ١٣٩٠هـ/١٩٧١م.

٦ - الأنصاري، أحمد مكي:
نظرية النحو القرآني، دار القبلة بالقاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ.

٧ - ابن الباذش، أبوجعفر أحمد بن علي بن أحمد بن خلف الأنصاري:
الإقناع في القراءات السبع، حققه وقدم له: الدكتور عبدالمجيد قطامش، دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٠٢هـ.

٨ - الباقلاني، أبوبكر محمد الطيب:

إعجاز القرآن، تحقيق: الشيخ عماد الدين أحمد حيدر، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

٩ - البنا، أحمد بن محمد بن أحمد:
إتحاف فضلاء البشر، رواه وعلق عليه: علي محمد الصباغ، دار الندوة الجديدة، بيروت، ١٣٥٩هـ.

١٠- الجزري، محمد بن محمد بن محمد بن علي بن يوسف:
١ - طيبة النشر في القراءات العشر، ضبطه وصححه وراجعه: محمد تميم الزغبي، مكتبة دار الهدى، المدينة المنورة، ١٤١٤هـ.
٢- تحبير التيسير في قراءة الأئمة العشرة، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ/١٩٨٣م.

١١- الجندي، علم الدين:
اللهجات العربية في التراث، الدار العربية للكتاب، طرابلس بليبيا، طبعة جديدة، ١٩٨٣م.

١٢- ابن جني، أبوالفتح عثمان:
١- الخصائص، تحقيق: محمد على النجار، دار الكتاب العربي، بيروت بلبنان، ١٣٧١هـ/١٩٥٢م.
٢- سر صناعة الإعراب، دراسة وتحقيق: الدكتور حسن هنداوي، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.
٣- اللمع في العربية، تقدين وتحقيق وتعليق: الدكتور حسين محمد شرف، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٣٩٨هـ/١٩٨٧م.
٤- المنصف، تحقيق: إبراهيم مصطفى، وعبدالله أمين، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة الأولى، ١٣٧٣هـ/١٩٥٤م.

١٣- ابن خالدية، أبوعبدالله الحسين بن أحمد:
إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم، مطبعة جمعية دائرة المعارف العثمانية في عاصمة حيدر آباد الدكن، منشورات دار الحكمة بدمشق، بلا تاريخ.

١٤- الخطابي، أبوسليمان حمد بن محمد بن إبراهيم:
بيان إعجاز القرآن، ضمن كتاب (ثلاث رسائل في إعجاز القرآن)، تحقيق: محمد

خلف الله، والدكتور محمد زغلول سلام، دار المعارف بمصر، الطبعة الثالثة، ١٩٧٦م.

١٥- الداني، أبوعمرو عثمان بن سعيد:
المكتفى في الوقف والابتداء في كتاب الله عز وجل، دراسة وتحقيق: الدكتور يوسف عبدالرحمن المرعشلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

١٦- الخفاجي، أبومحمد عبدالله بن سعيد بن سنان:
سر الفصاحة، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

١٧- الرازي، فخر الدين محمد بن عمر:
نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، تحقيق ودراسة: الدكتور بكري شيخ أمين، دار العلم للملايين، بيروت بلبنان، ١٩٨٥م.

١٨- الرماني، أبوالحسن علي بن عيسى:
النكت في إعجاز القرآن، حققها وعلق عليها: محمد خلف الله، والدكتور محمد زغلول سلام، ضمن كتاب (ثلاث رسائل في إعجاز القرآن)، دار المعارف بمصر، الطبعة الثالثة، ١٩٧٦م.

١٩- الزجاج، أبوإسحاق إبراهيم بن السري:
معاني القرآن وإعرابه، شرح وتحقيق: الدكتور عبدالجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ/١٩٩٨م.

٢٠- الزركشي، بدر الدين محمد بن عبدالله:
البرهان في علوم القرآن، تحقيق: أحمد أبوالفضل، دار المعرفة، بيروت، ١٩٧٢م.

٢١- الزمخشري، جار الله محمود بن عمر:
الكشاف (عن حقائق غوامض التنزيل، وعيون الأقاويل)، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٣٦٦هـ/١٩٤٧م.

٢٢- ابن زنجلة، أبوزرعة عبدالرحمن بن محمد:

حجة القراءات، حققه وعلق على حواشيه: سعيد الأفغاني، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

٢٣- أبوزيد، أحمد:
التناسب البياني في القرآن، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، المغرب، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ١٩٩٢م.

٢٤- السجستاني، أبوبكر عبدالله بن أبي داود:
المصاحف، مؤسسة قرطبة للنشر والتوزيع بالقاهرة، بلا تاريخ.

٢٥- السكاكي، أبويعقوب يوسف بن أبي بكر محمد بن علي:
مفتاح العلوم، ضبطه وكتب حواشيه وعلق عليه: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

٢٦- سيبويه، أبوبشر عمرو:
الكتاب، الطبعة الأميرية ببولاق بمصر، ١٣١٧هـ.

٢٧- السيرافي، أبوسعيد الحسن بن عبدالله:
١- شرح كتاب سيبويه، مخطوط (١٣٧ نحو) مصوره.
٢- ما يحتمل الشعر (من الضرورة)، تحقيق وتعليق: الدكتور عوض بن حمد القوزي، مطابع الفرزدق التجارية بالرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.

٢٨- الشاطبي، الرعيني الأندلسي، القاسم بن خيرة بن خلف بن أحمد:
متن الشاطبية، المسمى: حرز الأماني ووجه التهاني في القراءات السبع، مكتبة دار الهدى للنشر والتوزيع، المدينة المنورة، الطبعة الثالثة، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.

٢٩- ابن الشجري، هبة الله بن علي بن محمد بن حمزة:
أمالي بن الشجري، تحقيق ودراسة: الدكتور محمود محمد الطناحي، مكتبة الخانجي بالقاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

٣٠- ابن عصفور، أبوالحسن علي بن مؤمن:
ضرائر الشعر، تحقيق: السيد إبراهيم محمد، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٨٠م.

٣١- العلوي اليمني، يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم:
الطراز (المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز)، طبع بمطبعة المقتطف بمصر، ١٣٣٢هـ/ ١٩١٤م.

٣٢- ابن غلبون الحلبي، أبوالحسن طاهر بن عبدالمنعم:
التذكرة في القراءات، دراسة وتحقيق: أيمن رشدي سويد، منشورات الجماعة الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم بجدة، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ/١٩٩١م.

٣٣- الفارسي، أبوعلي الحسن بن عبدالغفار:
١- التكملة، تحقيق: الدكتور حسن شاذلي فرهود، منشورات جامعة الرياض (جامعة الملك سعود)، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.
٢- الحجة للقراء السبعة، تحقيق: بدر الدين قهوجي وآخرون، دار المأمون للتراث، دمشق بسوريا، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.
٣- المسائل الحلبيات، تقديم وتحقيق: الدكتور حسن هنداوي، دار القلم بدمشق، ودار المنار ببيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.
٤- المسائل العسكريات، تحقيق: إسماعيل أحمد عمايرة، مراجعة الدكتور نهاد الموسى، منشورات الجامعة الأردنية، ١٩٨١م.

٣٤- الفراء، أبوزكريا يحيى بن زياد:
معاني القرآن، تحقيق: أحمد يوسف نجاتي، ومحمد علي النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٠م.

٣٥- قطب، سيد:
في ظلال القرآن، الطبعة الخامسة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٦٧م.

٣٦- القيسي، مكي بن أبي طالب:
١- التبصرة في القراءات السبع، تحقيق: الدكتور المقرئ محمد غوث الندوي، نشر وتوزيع الدار السلفية، بمباي الهند، الطبعة الثانية، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.
٢- الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، تحقيق: الدكتور محيي الدين رمضان، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.
٣- مشكل إعراب القرآن، تحقيق: الدكتور حاتم الضامن، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م.

٣٧- المبرد، أبوالعباس، محمد بن يزيد:

المقتضب: تحقيق: محمد عبدالخالق عضيمة، عالم الكتب، بيروت، بلا تاريخ.

٣٨- ابن مجاهد:
السبعة في القراءات، تحقيق: الدكتور شوقي ضيف، دار المعارف بمصر، الطبعة الثانية، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.

٣٩- محيسن، محمد سالم:
١- الكشف عن أحكام الوقف والوصف في العربية، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.
٢- الهادي شرح طيبة النشر في القراءات العشر، والكشف عن علل القراءات وتوجيهها، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.
٣- المهذب في القراءات العشر وتوجيهها من طريق طيبة النشر، مكتبة الكليات الأزهرية بالقاهرة، ١٣٩٨هـ/١٩٦٩م.

٤٠- ابن أبي مريم، نصر بن علي بن محمد بن أبي عبدالله الشيرازي:
الموضح في وجوه القراءات وعللها، تحقيق: الدكتور عمر حمدان الكبيسي، الجماعة الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم بجدة، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

٤١- ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي:
لسان العرب، دار صادر، بيروت، طبعة مصورة بلا تاريخ.

٤٢ - النحاس، أبوجعفر أحمد بن محمد اسماعيل:
إعراب القرآن، تحقيق: الدكتور زهير غازي زاهر، مكتبة العلوم والحكم بالمدينة المنورة، الطبعة الثانية، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

٤٣ - الهاشمي، التهامي الراجي:
١ - تقرير عن مدى الفائدة عن الإباحة بالياء الزائدة، الدار البيضاء، ١٩٩٥م.
٢- مذاهب القراء في ياء الإضافة، سلسلة الدراسات والعلوم اللغوية رقم (٦)، الرباط بالمغرب، ١٩٨٨م.

٤٤- ابن هشام، جمال الدين الأنصاري:
مغني اللبيب عن كتاب الأعاريب، حققه وعلق عليه: الدكتور مازن المبارك ومحمد على حمدالله، يعيش، موفق الدين، علي:
شرح المفصل، عالم الكتب، بيروت، مكتبة المتنبي بالقاهرة، بلا تاريخ.

ضمير النصب والجر المتصل للغائبة المؤنثة

في شمالي نجد

د.محمد الباتل الحربي
قسم اللغة العربية- كلية الآداب
جامعة الملك سعود- الرياض

الضمير لغة: تدور مادة (ضمر) في المعاجم اللغوية حول الأسرار والخفاء والضآلة والهزال[١].

وفي الاصطلاح: ما وضع لمتكلم أو مخاطب أو غائب تقدم ذكره لفظًا أو معنى أو حكمًا[٢]، وبعضهم توقف عن تعريفه لكونه محصورًا، وحصره يغني عن تعريفه[٣]، ويعرفه بعض المحدثين بأنه: كنايات أو إشارات يشار بها إلى المتكلمين والمخاطبين والغائبين[٤]، وهي بهذا التعريف تشمل الضمير الموصول وأسماء الإشارة. وجُلّ النحاة اعتدّ الضمائر أسماء، وبعض جعلها علامات[٥]. كما أن الكوفيين يسمونها (كنايات)[٦]. وسواء أسميناها ضمائر أو كنايات فإن علاقة المصطلح بالمعنى اللغوي واضحة.

---

(١) ابن منظور، لسان العرب. والزبيدي، تاج العروس: مادة (ضمر).

(٢) الأشموني، الأشموني على الألفية ١٠٩/١.

(٣) السيوطي، الهمع ٥٦/١.

(٤) المخزومي، في النحو العربي ٤٧.

(٥) جبر، الضمائر في اللغة العربية ١٥.

(٦) الأشموني، الأشموني على الألفية ١٠٩/١. ابن يعيش، شرح المفصل ٨٤/٢ المضمر والمكني مترادفان عند الكوفيين، أما البصريون فيقولون: المضمرات نوع من المكنيات، فكل مضمر مكني وليس كل مكني مضمرًا.

ويرى النحويون أن ضمائر النصب المتصلة تتوافق في اللفظ والصورة مع ضمائر الجر المتصلة بسبب كونهما فضلة في الكلام[١]، عدا ضمير المتكلم[٢].

الضمير (ها): يرى بعض الباحثين أن ضمير الغائبة (ها) متحول عن ضمير الرفع (هي)[٣]، كما يرى بعضهم: أن كل صوت لين قصير في آخر الإشارة أو الضمير كان طويلًا في القديم[٤]. أو أصل الكلام في اللغات السامية طويلة ثم أصبحت جائزة الطول والقصر[٥]، وهذا معناه تغيير حركة الهاء من الكسرة إلى الفتحة وهي تناسبها لكونها من حروف الحلق[٦]، ثم حذفت الياء مع حركتها، وأطيلت فتحة الهاء.

ولا شك أن حذف الياء هنا تضعيف لرأي الكوفيين الذين يقولون: إن الهاء ليست من الضمير، على حين يرى البصريون أن الهاء والياء أو الواو يكونان معًا الضمير[٧]، ويميل بعض الباحثين إلى أن الهاء وحدها هي العنصر الإشاري[٨]، وهو قول الكسائي[٩].

وعلى أي حال فإن الضمير (ها) قد استقرّ في اللغة (المشتركة ـ الفصحى ـ الأدبية) على وضعه المشهور (الفتاة أكرمتها، ومررت بها) وهذا الضمير بهذه الصيغة ليس مجال بحث هنا، وإنما البحث سوف ينصب على لغة (لهجة) واردة فيه لم تنل العناية الكافية حتى في الكتب المتخصصة، بل إن

---

(١) سيبويه، الكتاب ٣٨٦/١. ابن يعيش، شرح المفصل ٨٩/٣.

(٢) سيبويه، الكتاب ٣٨٣/١.

(٣) الجرح، مجلة مجمع اللغة العربية ـ القاهرة ١٩٦٧م، ج ٢٢، ص ٦٦. والمخزومي، في النحو العربي ٥٠ تقسيمها إلى متصل ومنفصل غير سليم، والمنفصل متصل في حقيقته.

(٤) فليش، العربية الفصحى ١٣١.

(٥) بروكلمان، فقه اللغات السامية ١٠٠.

(٦) الاستراباذي، شرح شافية ابن الحاجب ٤٠/١ حروف الحلق تفتح نفسها أو ما قبلها.

(٧) الطعان، الأدب الجاهلي بين لهجات القبائل واللغة الموحدة ٢٧.

(٨) حجازي، علم اللغة العربية: مدخل تاريخي مقارن ٢٠٣. الجرح، مجلة مجمع اللغة العربية ـ القاهرة ص ٦١، ج ٢٢ عام ١٩٦٧م.

(٩) ابن منظور، اللسان: (ها) ٤٧٦/٥ "فإن الاسم إنما هو الهاء". الآلوسي، الضرائر وما يسوغ للشاعر ٨٢/١ نسب لابن جني في سر الصناعة أن الألف في (ها) زائدة للتفريق بين المؤنث والمذكر.

كثيرًا منها تهملها[١]، وهذه اللغة هي نطق (هاء) الغائبة ساكنة بعد فتح ما قبلها، أو على الأصح إجراء تغييرات سوف يشار إليها في مكانها من هذا البحث.

الظاهرة اللغوية التاريخ:

أكثر الإشارات إليها، في كتب اللغة القديمة، نجدها مرتبطة بالمثل المشهور: (أبخل من مادر). وفي قصة هذا المثل أن ثلاثة رجال: فزاري وتغلبي وكلابي اشتركوا في سفر، ثم إن التغلبي والكلابي خدعا الفزاري، بأن قدما له أير حمار مطبوخ ليأكله، ففطن الفزاري لذلك، وجرد سيفه، وأرغمهما على الأكل أو القتل، فقتل أحدهما وأخذ الآخر يتلكأ في الأكل، فقال الفزاري: وأنت إن لم تلقمه، أراد تلقمها، فلما ترك الألف ألقى الفتحة على الميم قبل الهاء، كما قالوا: ويلمّ الحيرة، وأي رجال بَهْ، أي: بها[٢].

ونسب الميداني تخريج (تلقمه بمعنى تلقمها) إلى محمد بن حبيب، وفسر عود الضمير مؤنثا إلى المضغة، أو البضعة، وإلا فليس في الكلام السابق عليها تأنيث ترجع الهاء المؤنثة إليه[٣].

---

(١) ممن لم يذكرها مثلا: الألوسي، الضرائر وما يسوغ للشاعر ٨٢/١. جبر، الضمائر في اللغة العربية ٤٠ و٨٧. شاهين، الضرائر اللغوية في الشعر الجاهلي ٢٠١- ٣٤٤.

(٢) يوجد المثل وقصته في كل كتب الأمثال تقريبًا، ولكنها تختلف فيما بينها في البسط والاقتضاب من ذلك: الميداني: الأمثال ١٩٦/١ — ١٩٧، العسكري: الأوائل ١٨٠، الأصبهاني: الدرة الفاخرة ٨٧/١، البكري: اللآلئ في شرح أمالي الغالي ٨٦٠. ومن كتب اللغة والنحو: سيبويه: الكتاب: حاشية ٣٠٧/١، ابن الأنباري: الإنصاف في مسائل الخلاف ٥٦٧/٢ — ٥٦٨ وذكر تخريجات عدة: تلقمها، فالضمير يعود على المضغة، أو أن الأصل تلقمنْه، أي الأير، ثم حذفت نون التوكيد، السيرافي: شرح أبيات سيبويه ٢٢٢/١ نسب تقدير (تلقمنه) وحذف نون التوكيد إلى البصريين، ابن منظور: اللسان (مادة: مدر) ١٦٣/٥ ذكر المثل وقصته باختصار عن ابن بري، الزبيدي: تاج العروس (مادة: مدر) ٥٣٦/٣.

أما سبب القول (بَهْ، اكرمتَهْ) في بها وأكرمتها فأرجعه أنيس: من أسرار اللغة ٢٣١ إلى أن الهاء مهموسة فتسقط في الوقف. ولعله سبب صحيح ولكنه غير كاف وحده هنا إذ يساعده أن النبر في هذه اللهجة واقع على ما قبل الهاء (أي) على ما قبل الآخر.

(٣) الأمثال: ١٩٦/١ — ١٩٧.

أما ابن عصفور فيقول: "وأما الألف الواقعة صلة لهاء ضمير المؤنث، فإن حذفها والاجتزاء بالفتحة عنها من قبيح الضرائر.. تبيعَهَ.. وكذلك أيضًا حذفها في الوقف، وإلقاء حركة الضمير على ما قبلها من قبيل الضرائر، ومن ذلك قوله:

فإني قد سئمت بدار قومي أمورًا كنت في لخم أخافَهْ

يريد أخافها.

وقول الآخر:

ليس لواحد على نعمه إلا ولا اثنين ولا أهمَّهْ

يريد ولا أهمها؛ إلا أن الألف من (أخافها) و (أهمها) حذفت وسكنت الهاء، ونقلت حركتها إلى الحرف الذي قبلها، وربما فعلوا ذلك في سعة الكلام، حكى الفراء: (بالفضل ذو فضلكم الله به، والكرامة ذات أكرمكم الله بَهْ) "يريد بها، فحذفت الألف، ونقلت حركة الهاء إلى الباء "[1].

فهو قد انتبه إلى ورودها في سعة الكلام، ولكنه استخدم كلمة (ربما) مما يجعله يميل إلى كونها ضرورة شعرية.

وتورد كتب النحو حكاية الفراء: "بالفضل ذو فضلكم الله به، والكرامة ذات أكرمكم الله بَهْ"[2] بحذف ألف (بها) كما رواها ابن عصفور، لا كما رواها ابن منظور، ثم إنها تورد هذه الحكاية في مقام الاستشهاد على (ذو وذات) الإشاريتين عند قبيلة طيء، وهذا يعطينا شيئين: الأول: أن قبيلة طيء، أو بعضها، ممن يستعمل هذه الظاهرة، لا سيما وأن هذه القبيلة قد اشتهرت بالقطعة (لغة من لا

(١) ضرائر الشعر ١٢٥، ابن منظور لسان العرب (ها): لم يورد حذف الألف وفي ٤٦٠/١٥ قال: " قال شمر قال الفراء: سمعت أعرابيا يقول: بالفضل ذو فضلكم الله به، والكرامة ذات أكرمكم الله بها " فأورد (بها) بالإتمام، الألوسي: الضرائر وما يسوغ للشاعر ٨٢/١ اكتفى بذكر "... أو تبيعَه" ولم يذكر حذف الألف، وتسكين الهاء. تيمور: معجم تيمور الكبير ١٣٥ (ضربَهْ) لغة لخم، أنيس: من أسرار اللغة ٢٣٠ نسبها لطيء، وفي ص ٢٢٦ نسبها للخم.

(٢) ابن الأنباري: الإنصاف في مسائل الخلاف: (هامش) ٥٦٧/٢، الأشموني: حاشية الصبان على شرح الأشموني ١٥٨/١، النجار: ضياء السالك إلى أوضح المسالك ١٤٨/١ علق على حكاية الفراء هذه بقوله: "قول منثور لأعرابي من طيء يطلب عطاء".

ينتظر) يا أبا الحكا[١] ، وهي تماثل حذف الألف من (ها). الثاني : أن هذا الاستعمال وقع في نثر لا في شعر ، وهذا يدل على أنها تستعملها في سعة الكلام.

وهناك شاهد شعري آخر ينسب إلى طيئ ، أيضًا ، في قصة مجاورة امرئ القيس بن حجر لعامر بن جوين الطائي ، وكان للأول مال كثير وخدم ، فهمَّ به الثاني ، فتنبه له امرؤ القيس ، فقال في عامر :

فلم أر مثلها خباسة[٢] واجد ونهنهت نفسي بعد ما كدت أفعله[٣]

ذكر ابن الأنباري أن الضمير في (أفعله) يعود على مذكر ، ولكنه ذكر تخريجا آخر حكاه أبو عثمان عن أبي محمد التوزي عن الفراء (أفعلَه) أفعلها ، والضمير يعود على (الخصلة) فحذف الألف وألقى فتحة الهاء على ماقبلها.

كما ذكر البيت السابق الذي ذكره ابن عصفور :

فإني قد رأيت بدار قومي نوائب كنت في لخم أخافَهْ

وقال : "يريد أخافها ، فحذف الألف ، وألقى حركة الهاء على الفاء وهي لغة لخم ، وحكى أصحابكم : نحن جئنا بَهْ (أي) جئناك بها ، فحذف الألف ، وألقى حركة الهاء على الباء ، فكذلك ههنا "[٤]. فهو هنا نسب الظاهرة صراحة إلى لخم[٥] "وهي لغة لخم".

---

(١) الرافعي : تاريخ آداب العرب ١٤٣/١ " القطعة في لغة طيء وهي قطع اللفظ قبل تمامه في مثل يا أبا الحكم : يا أبا الحكا ، وهي غير الترخيم المعروف في كتب النحو ؛ لأن هذا مقصور على حذف آخر الاسم المنادى أما القطعة فتتناول سائر أبنية الكلام" ، الجنابي : ملامح من تاريخ اللغة العربية ٣٨ القطعة من طيء كالعنعنة في تميم وهي نوع من الترخيم.

(٢) الخباسة : الغنيمة.

(٣) سيبويه : الكتاب ٣٠٦/١ – ٣٠٧ ولم يذكر التأنيث ، السيرافي ، شرح أبيات سيبويه ٢٢٢/١ ذكر القصة ومراجع الضمير في (أفعله) ، الأصبهاني : الأغاني ٦٩/٨ ، العيني : هامش خزانة الأدب للبغدادي ٤٠١/٤ ، ابن الأنباري : الإنصاف ٥٦٧/٢ ونسب البيت إلى عامر بن الطفيل ، وهو خلاف ما ذكرته المراجع الأخرى ، ابن منظور : اللسان : (مادة : خبس).

(٤) ابن الأنباري : الإنصاف في مسائل الخلاف ٥٦٨/٢.

(٥) نالينو : تاريخ آداب العربية ٧٢ ، ٢٦٦ اللخميون في العراق تحضروا قبل القرن السابع للهجرة ، ومملكتهم الحيرة وما يليها.

ويؤيد هذه النسبة، أيضًا، ربط هذه اللغة (اللهجة) بالحيرة "ويلمّ الحيرة وأي رجال بَهْ "[١] وقد سبقت الإشارة إلى هذه العبارة، وغني عن البيان أن الحيرة عاصمة (المناذرة) اللخميين.

فالنصوص التاريخية التي بين أيدينا نسبتها إلى ثلاث قبائل عربية هي: فزارة، وطيء، ولخم. والقبيلتان طيء ولخم من قبائل اليمن، ولكن فزارة ذبيانية مضرية[٢]، وهذا يعني أن الباحث لا يستطيع أن يقول باطمئنان: إن الظاهرة يمانية، قد يقول قائل إنها يمانية الأصل ووجودها في قبائل مضرية لا ينقض ذلك؛ حيث انتقلت إليها عن طريق الاختلاط والمجاورة[٣]، وعلى أي حال فليس هناك برهان قاطع [٤]، ثم إنه قد يكون الأمر بالعكس، حيث تكون طيء ولخم اليمانيتان قد تأثرتا بهذه اللغة (اللهجة) بعد هجرتهما من اليمن إلى الشمال، وقد يعزز ذلك وجود الظاهرة في اللغات السامية الشمالية[٥].

أماكن انتشار الظاهرة

أولاً: أماكن اطرادها (النش):

١ – في منطقة القصيم: تشتهر هذه اللهجة أكثر ما تشتهر في بلاد القصيم وما صاقبها شمالاً؛ ولذلك نرى الفرج في تعليقه على بعض الأبيات يقول: "وهو هنا يستعمل لغة أهل القصيم في ضمير المؤنث،

---

(١) الأصبهاني: الدرة الفاخرة ١/٨٧.

(٢) حميدة: مجموعة الوثائق ٥٥٧ "خارطة الأنساب العدنانية".

(٣) هذه القبائل متقاربة الأماكن، فطيء تمتد بلادها بين الحين والآخر إلى ما يقارب الحيرة، وفزارة قريبة من ديار طيء من الجنوب الغربي عن فزارة: الجاسر: مجلة العرب ج ٧، س ٧، محرم ١٣٩٣هـ، ١٩٧٣م شباط، فبراير "تحديد منازل القبائل القديمة على ضوء أشعارها ـ ٣ ـ حمى ضرية "وبالإجمال فبلاد فزارة في الحمى تقع في جهته الغربية الشمالية غرب ماء لعبس فيه، وشمال بلاد محارب" ص ٥٢٢.

(٤) شرف الدين: اللغة العربية في عصور ما قبل الإسلام ٨٥ قال في ضمير الغائبة المؤنثة: أورد الدكتور خليل نامي مثال (مقامه) = (مقامها) ولم يضبط الهاء بسكون أو حركة قصيرة ليزول أحد الاحتمالين، الطعان: الأدب الجاهلي ٣١ الضمير المتصل في البئية (هو، ه، ها)، ولعله يخص الأخيرة بالتأنيث.

(٥) العبودي: بلاد القصيم ١/٨٤ نقل عن تقي الدين الهلالي أنها موجودة في اللغة العبرية (بعلاه، ابناه: بعلها وابنها)، الطعان: الأدب الجاهلي بين لهجات القبائل واللغة الموحدة ٢٨ الضمير المتصل الغائب في العبرية (و ـ ه). بروكلمان: فقه اللغات السامية ٨٧ ضمير النصب والجر للغائبة في العربية (hā) وفي العبرية (hā;h) وفي الآرامية (h).

فهم يفتحون ما قبل الضمير للمؤنث"[١]، وهو كلام ناقص كما نرى لأنهم أيضًا يحذفون الألف بعد هذه العملية أي نقل حركتها إلى الحرف قبلها كما ذكر. وإذا كان ما قبلها ساكن مثل: وَيّاهْ (أي ويَّاها) فيكتفى بتسكين الهاء لا غير، وللتفريق يقولون للمذكر: ويَّاوْه. ويقول ابن خميس: "وضمير المؤنث من هذا النوع ـ يقصد حذف الألف من (ها) ونقل حركتها إلى ما قبلها ـ يجعلنا نحكم أنه ـ أي الكلام ـ من شمال الجزيرة القصيم"[٢]. ويقول العبودي: "وتوجد في أجزاء من القصيم لتأثير قبيلة طيء فيهم"[٣]. والحقيقة أنها توجد في معظم بلاد القصيم وبخاصة الحاضرة، كما تشمل بعض مناطق حائل وبخاصة في قبيلة طيء (شمر)؛ ولهذا نرى الأستاذ العبودي يقول بأن اللهجة في منطقة القصيم من تأثير قبيلة طيء (شمر) لأنها حينما هاجرت من اليمن حلّت القصيم في بادئ الأمر، ثم طردتها قبيلة أسد إلى الجبل (حائل)[٤]. وهذا ترجيح سائغ لكنه غير يقين؛ لأن الظاهرة موجودة في قبائل أخرى مثل لخم وفزارة وغيرهما.

أمثلة نثرية على اللهجة القصيم:

سوف أقتصر على مقتطفات صغيرة من مقالة الدكتور الصويان: "انكسرت جرة الأحلام وأفختنا من الفلة"[٥]؛ لأن الظاهرة أشهر من أن يمثل لها، ولكن ذلك من أجل من لم يعرف المنطقة من العرب البعيدين عنها، يقول الصويان:

"ترى ما هناك فرق كبير بين هالشقق اللي حنا يَهْ وبين الفلل اللي هم يعمرون"(بَهْ): بها، والضمير يعود على الشقق (بهن) في الفصحى. ويقول: "اللي صبّركم كل هالمده يصبركم باق الايّام

(١) ديوان النبط ١/ ٥٠.

(٢) الأدب الشعبي في جزيرة العرب ٢٣٧.

(٣) معجم بلاد القصيم ١/ ٨٢.

(٤) المرجع نفسه والصفحة نفسها.

(٥) نشرت في (رسالة الجامعة) ـ جامعة الملك سعود بالرياض ـ الصفحة (٨)، صفحة الرأي، بتاريخ ١/ ٦/ ١٤٠٤هـ.

كلَّه كم شهر وننتقل للفلل الجديدة "(كلَّهْ): كلها، والضمير يعود على المدة. ويقول: "إيه تخلص، وراه ما تخلص، مدير الجامعة براسه، سمعي باذني يقول انه تبي تخلص "(وراه): وراها (وراءها)، والضمير يعود على الفلل (... هن) في الفصحى. (انه): إنها أيضًا، والضمير يعود على المرجع نفسه (الفلل). ويقول: "لا والخفي عليك أعظم، شف الحمامات كلَّه افرنجي.."(كلَّهْ): كلها، والضمير يعود على الحمامات (كلهن) في الفصحى. ويقول: "إلى جت امي يمّنا وشلون تبي تعرف لهن، أنا: سهله نحط لَهَ بزبورٍ بالحوش"(لَهْ): لها يعود على الأم. ويقول: ".. نبي نتحرجم بهالهدامه اللي ما تفرّك بَهْ الذرّه"(بَهْ): بها، فالضمير يعود على الهدامة.

ثانيًا: ا وصل بالعراق:

ذكر الأستاذ محمد العبودي أن هذه الظاهرة مطردة في مدينة الموصل، وعزا ذلك أيضًا إلى تأثير قبيلة طيء فيهم؛ لهجرة هذه القبيلة إلى هناك[١]، وهذا يعني أنه يرى الظاهرة طائية في أكثر الحالات، وقد سبق أن رأينا في تاريخ الظاهرة أن هناك قبائل أخرى تشارك طيئًا فيها، وأن الظاهرة أيضًا لخمية "ويلم الحيرة وأي رجال بَهْ" ثم إن الطريق الذي يمر بالموصل في الشمال الشرقي قديمًا، ينتظم القصيم وحائل في نجد، وهي أماكن تسيطر فيهما الظاهرة، وهذا لا ينفي تأثير قبيلة طيء في الموصل، ولكن على الأقل يوحي بروافد تأثير بجانب قبيلة طيء.

ومن أمثلتها في نثر الموصليين ما ذكره الأستاذ الديوه في مقالة له بعنوان: "من العيد في الموصل"[٢]. يقول: "ربحي نصيبا": اربحي نصيبها، ويقول: "كِن مصه التنور": كأن قد مصها التنور، ويقول: "ماكو غيغه" لا يكون غيرها، فهم أيضًا يقلبون الراء غينا.

---

(١) معجم بلاد القصيم ٨٢/١.

(٢) مجلة التراث الشعبي (العراقية)، العدد ٩ — ١٠، السنة (١) مارس وحزيران ١٩٦٤م، والفقرات المتقطفة في الصفحات على الترتيب ٢٠، ٢٧، ٢٨.

ومن الملاحظ أنهم ـ إذا كانت الكتابة تمثّل نطقهم ـ ينقلون حركة الهاء إلى ما قبلها ويشبعون هذه الحركة فتكون مدّة. ويحذفون الهاء. أو أن ما نحسبه مدة هو الهاء قلبت إلى مدة لما بين الألف (المدة) والهاء من علاقة قوية.

ثالثًا: لبنان (أو أجزاء من لبنان):

من الملاحظ أن كثيرًا من اللبنانيين يقولون حتى في النثر (إلت لَّهْ) قلت لها، ولكن يبدو أنها غير مطردة في كل نثرهم، إلا أن رفائيل نخله اليسوعي فيما يظهر من كلامه يجعلها مطردة في لهجة سوريا ولبنان حيث يقول: "الهاء تسقط من الضمير المتصل للغائب والغائبة في حالتي الأفراد والجمع (ضربو: ضربَهُ، ضربا: ضَرَبَها، ضربُن: ضربهم"[١]. فهو يقول: ضربا: ضربها. أي أنهم مثل أهل الموصل بعد عملية ما يسميه نحاتنا نقل الحركة، يقلبون الهاء ألفا.

أما الأستاذ محمد العبودي فيرى اطرادها في بعض قرى لبنان المسيحية[٢]. وهذا كما ترى لا يتمشى مع إطلاق رفائيل السابق الموحي باطرادها ليس فقط في لبنان وحدها، ولكن في سوريا أيضًا، ويمكن التوسط بين الحالتين أنها مطردة في بعض التعبيرات في أكثر أنحاء سوريا ولبنان، مطردة في كل التعبيرات في بعض القرى المسيحية في لبنان، وهذا هو الأقرب للصواب.

رابعًا: أماكن أخرى تطرد فيها:

ذكر الأستاذ العبودي أنها تطرد في لسان أهل مدينة تطوان في المغرب العربي[٣]، ومن غير المستبعد أن توجد في أماكن أخرى في شمال إفريقية العربي؛ حيث يغلب على الظن أن المهاجرين إلى تطوان ـ مثلا ـ قد مروا بأماكن في شمال إفريقية قبل أن يصلوها، كما هي عادة القبائل العربية المهاجرة التي تأخذ في هجراتها وقتا غير قصير، وتترك تأثيراتها بل ويتخلف بعض جماعاتها في الأماكن التي مروا بها، وهذا يرجح أن الظاهرة لها وجود في أماكن أخرى هناك.

---

(١) غرائب اللهجة اللبنانية السورية ٨.

(٢) معجم بلاد القصيم ١/ ٨٢.

(٣) معجم بلاد القصيم ١/ ٨٢.

الظاهرة في الشعر:

يتميز الشعر عن النثر، بأن الشاعر قد يرتفع عن لغته (لهجته) إلى لغة مشتركة، وهذا كما يصح في الشعر (الفصيح)، فهو ينطبق أيضًا على الشعر (الشعبي)، ولكن من المسلم به، غالبا، أن الشاعر يمارس الظواهر اللهجية في لسانه الخاص أكثر من ممارسته لظواهر ليست من لهجته الخاصة، وإنما يمارسها لأسباب أخرى، كممارسة اللغة المشتركة بين الشعراء الشعبيين في بيئته، أو بسبب الضرورة الشعرية.

ولهذا فسوف أتناول الظاهرة في الشعر (الشعبي) من زاويتين: الأولى: تمثلها في أشعار شعبية لشعراء بيئتهم تستعمل هذه الظاهرة باطراد تام، أو تستعملها ولكن بشكل جزئي في بعض الأماكن، وبشكل مطرد في أماكن أخرى منها. على أنني لم أحصل على أشعار شعبية لشمال إفريقية العربي أو من الموصل، ومن ثم فلن تدخل في الأمثال الشعرية. الثانية: استخدام الظاهرة لشعراء من مناطق أخرى لا تستعمل الظاهرة في بيئاتها، وإنما استخدمها الشاعر للضرورة الشعرية في الغالب، ولعل من ذلك ما روي من قديم الشعر (النبطي) لعزيز بن خالد صاحب أبي زيد الهلالي مخاطبا محبوبة أبي زيد عليا بقوله:

ومدي الجديلة يا عزيزة (نقطعَه) لا ينكشف من سرنا كل جانب[1]

(نقطعَهْ): نقطعها.

الزاوية الأو : (أشعار من بيئة الظاهرة):

١ – القصيم، وقبيلة شمر في (حائل):

أ ـ القصيم:

لعل من المناسب مسح ديوان شاعر من شعراء المنطقة المعاصرين وقد اخترت (ديوان المظلوم) شاعر (نبطي) من شعراء مدينة عنيزة بالقصيم، وهذا الديوان ـ في الحقيقة ـ يشتمل على أشعار لغيره؛ لكون

---

(١) الجهيمان: أساطير شعبية من قلب جزيرة العرب ١/ ١٨٧.

هذه الأشعار لها علاقة بالأشعار الواردة له، لكونها إما مساجلة له (ردّية)، أو تجاوبًا معه لأي سبب من الأسباب، على أنني سوف أشير لهذه الأشعار في الديوان. وبما أن الشعراء (النبطيين) قد يستعملون الالتفات، فيخاطبون المؤنث بضمير المذكر للتمويه في عدم اكتشاف (المحبوب) فقد كنت حذرًا، فلم ألتقط إلا ما كان تأنيثًا راجحًا عندي، ولسائل أن يسأل: وهل هناك شبهة بين المذكر والمؤنث في مثل هذا المقام؟ والجواب: قد يحدث هذا بسبب أنني أتعامل مع الخط لا مع المشافهة، فالمشافهة ليس فيها لبس لأننا ندرك حركة ما قبل الهاء نطقًا، أما في الكتابة - وهي غير مشكولة - فإننا لا ندرك ذلك، وحينئذ يعتمد الأمر على القارئ وفهمه.

لقد ورد استعمال (...ها = ـَهْ) في الديوان المذكور ٣٢ مرة، كلها في شعر أبي ماجد، وله غالبية الديوان، أو في شعر (القري) وهو من شعراء عنيزة وليس له إلا النْزر اليسير، ووردت مرة واحدة في شعر أحمد الناصر من أهالي الزلفي، وهم ممن لا يستعمل (اللهجة) وله في الديوان المشار إليه شعر يأتي في الكثرة بعد أبي ماجد. كما وردت مرة واحدة أيضًا في شعر عوض من شعراء السيل (قرب الطائف) وهو خارج دائرة اللهجة أيضًا، ووردت مرة واحدة في شعر (ابن ثِعلي) وهو - فيما يبدو - من بادية القصيم - وهم لا يستعملون، أيضًا، اللهجة إلا على سبيل مجاراة وتقليد حاضرتهم.

مختارات من الظاهرة عند أبي ماجد:

يقول:

وإلى متى ذكرت عنيزة الفيحا استشنت بشان

بلاد (فضلَهْ) ربّ السما بافضاله وارخاها[١]

فالضمير في (فضلَه): فضلها يعود على البلاد (بلاد فضلها رب السماء)، ولكنه مع ذلك استعمل (ها) كما هي في الفصحى (ارخاها). ويستخدم الاستعمالين، أيضًا، في بيت واحد حيث يقول:

(١)ديوان المظلوم ١٤.

ولكن الفخَر في جملة الشيبان والشبّان

ارجال يوصلون المرجله (حدّه) ومعناها[١]

فهذا البيت من القصيدة نفسها، فالضمير في كل من (حدَّه): حدّها أي منتهاها، ومن معناها يعود على المرجله (الرجولة). ويكرر ذلك في بيت آخر يقول فيه:

لي قصة مضمونها ييبس الريق (شواهدَهْ) منها وعنها تنوبي[٢]

فالضمائر تعود على القصة، وهي جارية كما في الفصحى ما عدا (شواهدَهْ) شواهدها.

ويقول: (طلبتَهْ) هدنةٍ لا سامح الله شهر وتقول لي يا هُمَّلالي[٣]

فطلبتَهْ: طلبتها بدليل مخاطبته لأنثى (وتقول). ويقول:

غريب ما أدري وين اسيّر بالاقدام معي الفراش وشنطتي (بَهْ) اهدومي[٤]

فالضمير في (بَهْ) يعود على الشنطة. وفي موضع آخر يقول:

والنفس هنها دام (توَّهْ) عسيفه تصير عند الربع مثل العسيفه[٥]

(فتوَّه): توّها (أي) النفس، ويقول:

ماجد ترى امّك (ماخذيتَهْ) عشاقه أختها من شأن تربة خوالي[٦]

(ماخذيتَهْ) ما أخذتها، والضمير هنا يعود على الأم.

ويعود لاستخدام الاستعمالين في بيت واحد:

---

(١)ديوان المظلوم ١٤.

(٢)المرجع نفسه ٧٣.

(٣)المرجع نفسه ٥٦.

(٤)المرجع نفسه ٧٦.

(٥)المرجع نفسه ٩٢.

(٦) المرجع نفسه٩٣.

حلا يا مهرة ما هيب تستمرح لكل احصان

تعدّى (صقلتَهْ) عند المزاعم عن قطاياها[١]

فالضمير في (صقلتَهْ) جاء على (لهجته) وفي (قطاياها) جاء على اللغة المشتركة، وهو يعود على مؤنث (مهرة). وعلى النمط نفسه جاء قوله:

أحبها بالحيل من حبها لي لو أن مالي (بَهْ) ولا جرم كافور[٢]

فمعاد الضمير في (بَهْ: بها) هو معاد الضمير في (أحبها.. من حبها).

وقوله:

ستين مافك (كبّوتَهْ) ولا مرّه ولا بعد ناشت البيدا توايرها[٣]

(فكبّوتَهْ: كبوتها، وهو غطاء ماكينة السيارة) فأعاد الضمير على السيارة، ولذلك نراه يقول: ناشت البيدا توايرها (أي دواليبها). وقوله:

ولكن لا تسوّي مثل هالنوبة ونا ماجود اسوّي بك سواةٍ ما يموت (اسمَهْ) وطاريها[٤]

فـ(اسمَهْ: اسمها) وهو يعود على معاد الضمير في (طاريها) وهو اسواة.

وقوله:

يهذري (بَهْ) كبير السن ويوحش (بَهْ) المالود ويستادب بها اللي ما درى وش ذنب راعيها[٥]

فالضمير في (بَهْ.. بَهْ) أي بها، يعود على المرجع نفسه الذي يعود عليه الضمير في (بها.. بها).

وقوله:

خايفٍ من تبةٍ فيها تروح اقلاعه يوم تمسي (بَهْ) وتصبح كالمليك المالي[٦]

(١)المرجع نفسه ٩٨.

(٢)ديوان المظلوم ١٠٠.

(٣)المرجع نفسه ١٠٩.

(٤)المرجع نفسه ١٢٢ (هالنوبة: هذه المرة، ونا ماجود: وأنا موجود).

(٥) المرجع نفسه ١٢٢ من قصيدة البيت قبله (يهذري: يهذي، المالود: المولود).

(٦)المرجع نفسه ١٥٤.

فالضمير في (فيها) و(بَهْ) يعود على مؤنث (تبّة : حادثة).

وفي بعض الأبيات يورد لهجته وحدها كما في قوله :

واليوم هزتّ بنا الدنيا وحرّك (قرنَهْ) ثور

واقفيت واقفى وكلٍّ راح في كمّ وبنيقه[١]

فالضمير في (قرنَهْ) يعود على الدنيا ، وهو بهذا يشير إلى الأسطورة السامية الشائعة حيث الأرض تحمل على قرن ثور.

وفي قوله :

ارعود مزن هلّ (وبْلَهْ) علاني فسّر لكم وبْل المعاني معاني[٢]

فالضمير في (وبلَهْ : وبلها) يعود على المزن.

وفي قوله :

ديرتي (دونَهْ) رجاجيل الحميّه يذبحونك يا غضيب الوالدينا[٣]

فدونَهْ : دونها ، يعود الضمير على الديرة.

وفي قوله :

هلا يا مرحبا ترحيبة ما (بَهْ) ردى وقصور

ولو مالي ذلول اتشكيل بالطاروق غرضاني[٤]

فالضمير (بَهْ) : بها ، يعود على الترحيبة.

ويقول :

---

(١)المرجع نفسه ١٣٢ والكم والبنيقة للثوب فصيحتان.

(٢)ديوان المظلوم ١١٦ علاني : علانية.

(٣)المرجع نفسه ١٧١ رجاجيل : رجال.

(٤)المرجع نفسه ١٧٦(اتشيل : تحمل ، الطاروق : الطريق ، غرضاني : أغراضي).

ردة من هاجس اللي مثل راع الطاره   قاضبَه بيده ويديرَه بكل شعوره[١]

فالضمير في (قاضبَه ويديرَه) يعود على الطاره وهي مؤنث.

والضمير في كل ما قدمناه من أمثلة، قبله حرف صحيح متحرك، وهو لا يناقض تفسير أسلافنا (نقل حركة الهاء إلى ما قبلها، وتسكينها بعد حذف ألفها)[٢] ولكن لننظر إلى الظاهرة في أبيات أبي ماجد الآتية؛ حيث استخدم اللهجة نفسها مع (..ها) وما قبلها (ألف مد: أي ساكن) وهو بالطبع استخدام المتكلمين بها، ولكنه استعمال لا يسري عليه تفسير (النقل) الذي أطلقه أسلافنا، ولكن يجوز أن هذا لم يصل إليهم، أو أنهم عدّوه تابعا للقاعدة الأصلية من باب السير على "وتيرة واحدة" لا سيما أن قاعدتهم تسري على حرفي المد الآخرين (ـِ يْ، ـُ وْ) فهم يقولون (البنت وِبْوَهْ، والبلده وقاضِيَهْ): البنت وأبوها، والبلدة وقاضيها، مما يرجح أن ألف المد استثناء خاص من القاعدة؛ لتعذر ظهور الحركة عليها.

وهذا يقودنا إلى سؤال هام، وهو: كيف تفرق هذه اللهجة بين المذكر والمؤنث حينئذ؟ والجواب من شقين: الأول: أن يكون ضمير الغائبة (... ها)، أو ضمير الغائب المذكر (.ـه) مسبوقين بغير ألف المد، ففي هذه الحالة تفرق بينهما حركة ما قبل الضمير، فهي فتحة دائمًا قبل ضمير الغائبة المنصوب والمجرور، وضمة دائمًا قبل ضمير الغائب المذكر المنصوب والمجرور (أكرمَه، أكرمُه، / لَه، لُه). الشق الثاني: أن يكون ما قبلهما ألف مد بحيث تتعذر الفتحة أو الضمة عليها، وهنا تسلك اللهجة تفريقًا آخر، فتبقى هاء الغائبة ساكنة بعد ألف المد (قفاه: قفاها، عصاه: عصاها). أما مع هاء الغائب المذكر فيأتي بعد ألف المد واو وبعدها ـ فيما يبدو ـ هاء غير واضحة دائمًا، ولعلها نتيجة الوقف (السكت) فيقولون (قفاو، عصاو ـ أو ـ قفاوه ـ عصاوه: قفاه وعصاه) ولعل هذه الواو بقية الضمير (هو) من:

---

(١) المرجع نفسه ١٥٥ وقاضبه: ماسكها، (قلب مكاني عن قابضها).

(٢) سبقت الإشارة إلي ذلك في بحث الظاهرة تاريخيًا.

(قفاهو، عصاهو) فحذفت الهاء، ويجوز ـ وهو في اعتقادي مرجوح ـ أن يكون في الضمير تقديم وتأخير (فعصاوه) عصاهو: قدمت واو (هو) على هائه.

بعد هذا الإيضاح نعود إلى اللهجة بعد ألف المد، يقول أبو ماجد:

لا نور لا بنور لا حور لا عين (لولاه) ترخي عينها ما تراعين [١]

فالضمير في (لولاه) يعود على محبوبته (لولاها) وهو نفس مرجع الضمير على اللغة المشتركة (عينها).

ويقول:

واردع النفس إن (تمطّاه) الزَّرم لا تقول القذف أخير من السكات[٢]

(تمطاه) تمطاها (أي) النفس.

ويقول:

الليلة الملعبه بيني وبينك عدلها ما يميل

الشان بالشان والملهم إلى سمع النتيجة (غذاه)[٣]

(غذاه): غذاها، يعود الضمير على النتيجة.

وممن وردت له أشعار في هذا الديوان، واستعمل هذه اللهجة الشاعر (القري) وهو من عنيزة بالقصيم، حيث يقول:

نهضت بواجب ما قام به قبلك ولا رجال

لما جبت الذهيبه يوم عجز حمود عن (جيبه)[٤]

فـ(جيبه) جيبها، من جاء بها، والضمير يعود على الذهيبه (المفقودة).

---

(١) ديوان المظلوم ٦٨.

(٢)ديوان المظلوم ٧٩.

(٣)المرجع نفسه ١٦٣.

(٤)المرجع نفسه ١٦٧.

ويقول أيضًا:

سلام رديه (دمـــه) و(فرثه) حـــلال   كل إلى أوحى بها يشفق على ذوقها
لا شك ما ظن (تحصيله) على كل حال   أخاف سوق الغلا يثر على سوقها[١]

فاستخدم اللغتين المشتركة (بها، ذوقها، سوقها) ولهجته الخاصة، (دمه: دمها، فرثه: فرثها، تحصيله: تحصيلها) وهذه الضمائر كلها تعود على مؤنث واحد (الرديه).

وممن وردت له أشعار في الديوان المشار إليه الشاعر: أحمد الناصر من أهالي الزلفي وهي بيئة لا تستعمل هذه اللهجة، وهنا تحسن المقارنة بينه وبين الشاعر القري ـ نستبعد صاحب الديوان أبا ماجد؛ لأن له النصيب الأوفر من الأشعار الواردة فيه ـ فأحمد الناصر قد ورد له بالديوان أشعار تفوق في كثرتها أشعار (القري) أضعافا مضاعفة، ومع ذلك فأحمد الناصر لم يستخدم هذه اللهجة إلا مرة واحدة في قوله:

عن طويلات العلوم الفايده (باقصاره)   والذهين اللي يشاور ما يسده شوره[٢]

فقوله (باقصاره): قصارها (قصارهن) أي: طويلات العلوم، على حين استخدمها القري وهو من الناطقين بها أربع مرات في ثلاثة أبيات، وهذا يدل على أن أحمد الناصر قد استعملها للضرورة الشعرية، وهو الأرجح، أو لمجاراة من يخاطب من الناطقين بها، وما يقال عن أحمد الناصر يصدق إلى حد ما على الشاعر: عوض (مع قلة شعره في الديوان) حيث استخدمها مرة واحدة:

النار حذرى (لا تطبه) حيه   (تراه) تحرق من يوقع فيها [٣]

فاستخدم اللغتين: المشتركة (فيها) واللهجة (لا تطبه: تطبها، تراه: تراها) والضمير في كل ذلك يعود على النار، مع أن أهل السيل قرب الطائف لا يستعملون هذه اللهجة. كما وردت في أشعار قليلة في الديوان للشاعر (ابن ثعلي) ولعله من بادية القصيم، والبادية هناك ـ كما قلت آنفًا ـ لا تستخدم هذه

---

(١) المرجع نفسه ١٦٨.

(٢) ديوان المظلوم ١٥٥. والذهين: المنتبه الذهن، صيغة مبالغة.

(٣) المرجع نفسه ١٧٣ حذرى: حذارِ، تطبها: تسقط فيها.

اللهجة بصفة مطردة كما يصنع حاضرة القصيم، إلا أن ورودها في شعره أمر وارد، وقد استخدمها مرة واحدة في قوله:

أنا وياك (هاته) دام كل الربع يوحون وخل الحبل لين لا يعود قطعتين [(١)]

فقوله (هاته) يعود على مؤنث سابق في شعر أبي ماجد في مساجلته (رديه) معه.

والظاهرة في شعر النبط القصيمي أكثر من أن تحصى؛ لأنها هي المطردة في كلامهم، ولو نظرت على سبيل المثال إلى قصيدة (الخلوج) لمحمد بن عبد الله العوني لوجدته يستعملها كثيرًا، من ذلك:

كم قلت (لَه) يا ناق بسك من البكا وْلي خلوج خبّث البين فالها

ولا حْد جزع من (صيحته) يوم صبحّت ولا حد نشد من عقبنا وش جرى لها

قتل كل بلدان القصيم وغيرها عن الخوف زاموا (دونَه) رجالها[(٢)]

فقوله (له = لها) و (صيحتَه = صيحتها) و (دونَه = دونها). مع أنه استخدم (غيرها) من غير حذف.

ويقول القاضي من أهل المنطقة (من عنيزة) أيضًا:

الحمّره تدرك معوشة (عيالَه) وإلا الرجل يبغى منه بعض الأحوال

(عياله = عيالها). وعلى كل فهي مستفيضة في أشعارهم.

ب ـ منطقة حائل:

وكما فعلت مع الظاهرة في الشعر بمنطقة القصيم، حيث تتبعت الظاهرة في ديوان شعر، كذلك أفعل معها بمنطقة حائل.

---

(١) المرجع نفسه ١٧٨.

(٢) السعيد، الشعر النبطي ٥٤ و٨٣.

وقد وقعت يدي على ديوان: شاعر الجبلين لعبد العزيز بن عبد الله الجريفاني من أهالي مدينة حائل، وهو يعني بالجبلين (أجا وسلمى). وهذا الديوان على غرار الديوان السابق يشترك مع صاحبه شعراء آخرون يذكرون فيه؛ لمناسبة تتعلق بأشعار صاحب الديوان، ولكن هؤلاء الشعراء أقل نسبة في ديوان شاعر الجبلين منها في ديوان مظلوم.

الجريفاني في ديوان شاعر الجبلين، استخدم (.ـه: ها) في شعره خمسًا وأربعين مرة، واستخدمها بعض الشعراء المشاركين مرتين.

يقول الجريفاني:

أهل الجبل يستقبلونك بتأييد والمنطقة (كله) يجونك وفودي[1]

(كله): كلها، يعود الضمير على المنطقة.

ويقول:

حايـــل لـــشيء مـــن المـــشاريع تعتـــاز ابنودهـــا مرصوصـــة تـــبيَ الانجـــاز
(خلَــه) تــضاهي المــدن في نجــد وحجــاز أنتــه فهــدنا وأنـــت نـــسل الفهـــودي[2]

(فخله) يعود على حائل التي أنثها بـ (تعتاز، ابنودها) وهذا يعني أنه استعمل اللغتين.

ويقول:

قضية أبناء العروبة بالإجماع جالَه مجال وقلتها لجل الاسماع[3]

(حالَه: جاء لها) أي القضية.

ويقول:

قبلة جبل سبا ورا نايف الجال في طلعة (ظلَه) كبير تشره[4]

(١) ديوان شاعر الجبلين ١٣.

(٢) ديوان شاعر الجبلين ١٣.

(٣)المرجع نفسه ١٤ ولجل: لأجل.

(٤)المرجع نفسه ٢٢ وتشرّه: تنشره.

أي في (طلعة ظلها).

ويقول:

يا بو منيفة جاك مني مكاتيب وبرقية مستنظرين (جوابَه)[1]

أي جوابها يعود على البرقية.

ويقول:

كم مرة حلت علينا مطاليب يفزع بماله فزعة ماهقا (بَه)[2]

فالضمير في (بَه) يعود على فزعة.

ويقول:

تشتكي من شيء ماهو بالأيادي علة ما (لَه) سوى رب البرية[3]

(ما لَه) أي مالها، يعود على العلة.

ما (عليه) إلا الخرج والدل والكور حمرا ليّا طال المدى ما تبيدي

والضمير في (عليه) عليها يعود على الناقة المركوبة في قوله قبله:

يا راكب اللي كوعها ما يجي الزور (امضربَه) عسافها للغديري[4]

ثم إنه في هذا البيت قد استخدم اللغتين (امضربَه): مضربها عسافها، يعود الضمير أيضًا على الناقة المركوبة.

ويقول:

حايل ترحب بالذي (جاه) زَوّار وحنا (هلَه) نستر في كل عاني[5]

---

(١)المرجع نفسه ٢٥.

(٢)المرجع نفسه ٢٥ والهقوة: الظن فصيحة.

(٣)المرجع نفسه ٣٨.

(٤) ديوان شاعر الجبلين ٤١ ومضربها: قد درّبها.

(٥)المرجع نفسه ٤٤ جاه: جاءها، نسترّ في كل عاني: يسرنا كل قاصد لنا.

(فجاه) الضمير يعود على مؤنث (حائل) وقد أنثها بقوله (ترحب)، وقد وقع الضمير كما نرى بعد ألف مد الذي سبق أن أشرنا إليه، واستعمله مرة أخرى (هلَه) أهلها.

ويقول:

وشفنا الحبارى تدرج وسط ريضان   في سهلة ما حال (دونه) خريبي[١]

فالضمير في (دونه: دونها) يعود على السهلة.

ويقول:

لي بلاد بين سلمى والجبل   فيها عذب الميّ والجوّ اللطيف
ريحة (اسواقَه) مثل ريح النفل   يا عساها السيل من وسم وصيف[٢]

فالضمائر (فيها، اسواقه: أسواقها، عساها) كلها تعود على البلاد، ولكنه جمع بين اللغتين في استعماله.

ويقول:

قلت الزبيديّة بخطو القراره   تسوى خياش وسط دارك (تحطَه)
يا حلو (تنبيشَه) براس قاره   هذي نبرح (لَه) وهذه نبطَه[٣]

فالضمير في (تحطَه: تحطها) يعود على الخياش، أما الضمائر في (تنبيشَه: تنبيشها، لَه: لها، نبطَه: نبطها) فتعود على الزبيدية وهو نوع من الكمأة.

ويقول:

والعيون ادموعها قامت (تهلَه)   مثل سحب (حدرَه) رب سماوي[١]

---

(١)المرجع نفسه ٤٨ الحبارى: نوع من الطيور، تدرج: تتدرج (تمشي)، ريضان: روضة، سهلة: أرض دمثة، خريبي: خراب(أبنية وعمران).

(٢)المرجع نفسه ٤٩ الميّ: الماء.

(٣)المرجع نفسه ٥٤ خطو القراره: بعض منابت الكمأة، تنبيش: تفتيش، قاره: مرتفع من الأرض: نبطه: نخزه.

فأتي بالضمير (دموعها) على اللغة المشتركة، ولكنه في (تهلَه: تهلها) ويعود الضمير على الدموع، وفي (حدرَه: حدرها) ويعود الضمير على السحب نراه عاد إلى لهجته.

ويقول:

علة بالصدِر ما كلٍّ (يحلَه)	كود من حطه ربنا يرحم وياوي[٢]

فمرجع الضمير في (يحله: يحلها) هو العلة.

ويقول:

ونيت أنا ونّةٍ ولا حدٍ فطن (لَه)	تجذب معاليق الضماير من اقصاه
الكبد (كنَه) تنصهر فوق مله	والعين عيّت تقبل النوم لا جاه
يا بو عزيِّز شوفتك ما (نملّه)	هي الذي تجلى عن القلب ما جاه[٣]

فالضمير في (لَه: لها) يعود على الونّة، والضمير في (كنَّه: كأنها) يعود على الكبد، والضمير في (نملّه) يعود على الشوفة.

ويقول:

قلبي غدت به هواويه	**يا ليتني من بني (عمَّه)**
والعنق يا عنق ريميّه	**لا سمعت الرمى من (يَّمه)**[٤]

ف(عمَّه): عمها يعود الضمير على الهواويه وهي الميالة للهوى، والضمير في (يَّمه: يمها) يعود على الريمية لأنه أيضًا أنث (سمعت).

ويقول:

---

(١) ديوان شاعر الجبلين ٥٩ حدرها: أنزلها.

(٢)المرجع نفسه ٥٩ كود: إلا.

(٣)المرجع نفسه ٦١ ويلاحظ أنه استعمل الذي بدل التي؛ لأنهم لا يستعملون الأخيرة.

(٤)المرجع نفسه ٦٦ وقد لاحظت كثرة وجود الظاهرة في القصيدة، ولكن بعضها فيه التفات.

لا بغيــت الواســطة مــا لقيــت اللــي يفيــد　　مــــا لقيـــت إلا عجـــوز تكـــز (ابنيتَـــه)

خــايف تلقــى الــذي (ينــشدَه) وش هــي تريــد　　ثــم تخـبر كــل مــن (نــشدَه) عــن (نيتَــه)[1]

فأعاد الضمير في (ابنيتَهْ: بنيتها) إلى العجوز، وكذلك هي المرجع له في (ينشده: ينشدها). (نشده: نشدها)، (نيته: نيتها).

ويقول:

تهز (كتفَهْ) طرب والمشي بفنوني　　والفن يزهي الذي يستاهل فنونه[2]

و (كتفَهْ: كتفها) يعود الضمير على المتغزَّل بها والتي قال عنها (تهز).

ويقول:

والعجز من روّى لهن ماهوب ماجور　　الاجر باللي تبتسم لي (بسنّهْ[3])

فـ(سنه: سنها)، فالضمير يعود على التي تبتسم.

وفي الرياضة يقول:

الرياضة (لَهْ) ميادينٍ اكثار　　بالقدم ما نكتفي يا سامعين[4]

فالضمير (لَهْ: لها) يعود على الرياضة.

ويقول:

قلب الخطا وثريك سبة عذابي　　العين لولا القلب (شوفَهْ) سرابي[5]

---

(١) المرجع نفسه ٧٧ وتكز: تبعث.

(٢) ديوان شاعر الجبلين ٨١.

(٣) المرجع نفسه ٨٨ ماهوب: ما هُوَ بـ، العِجْز: العجائز.

(٤) المرجع نفسه ١٠٩.

(٥) المرجع نفسه ١١٦.

(شوفَهْ: شوفها) أي العين.

ويقول:

ما دبر المولى على العبد كاين ودنياك هذي (تاليَهْ) شبر خاما[(١)]

فالضمير في (تاليَهْ: تاليها) يعود على الدنيا.

ويقول:

بـي علـتين علـة (بَـهْ) امراجـاة والثانيـة جـرح الغـضي مايطيـب[(٢)]

فالهاء في (بَهْ: بها) تعود على العلة.

وفي فلسطين السليبة يقول:

هـذي فلـسطين الجريحـة (لَـهْ) ونـين خـذوا بـني صـهيون كـل ديارهـا

خلـو (هلَـه) وسـط الخيـام مـشردين نـسوانها وصـغارها واكبارهـا[(٣)]

فقد أعاد الضمير على فلسطين مرتين بلهجته الخاصة (لَهْ: لها، هَلَهْ: أهلها) وأعاده أربع مرات باللغة الفصحى (المشتركة ـ الأدبية) ديارها، نسوانها، صغارها كبارها. وفي (ملكة الجمال) لا يرى فيها جمالا، فيصفها حسبما يرى هو، ويكثر من استعمال الضمير على نمط لهجته، ونكتفي ببيت فيها:

وسنونها كنهن ظلفين (وخشَمهْ) مثل ثعبة الدله [(١)]

---

(١)المرجع نفسه ١١٧.

(٢)المرجع نفسه ١٢٦ المراجاة: الرجاء، والغضي: المحبوب، ويستحسن منهن الإغضاء حياءً.

(٣) ديوان شاعر الجبلين ١٣٠.

فالضمير في (خشمَه : خشمها) يعود على ملكة الجمال.

أما الشعراء الذين اشتركوا معه في الديوان لسبب من الأسباب ، فقد طرق الظاهرة ـ موضوع الحديث ـ اثنان فهما ، ولا أعرف عن بيئتهما شيئا ، الأول ناصر القحطاني :

مدة شهر ساهر فوق الوسادي　　كن رجلي (بنهشَهْ) داب وحيه[٢]

فـ(ينهشَهْ : ينهشها) يعود الضمير على الرجل. والثاني الفريسى :

أنا من اللي يفتخر فيك باقرار　　مودتك بالقلب (حابَهْ) لساني[٣]

فالضمير في (حابَهْ : جاء بها) يعود على المودة.

انتهيت الآن من ديوانين : ديوان مظلوم لأبي ماجد من عنيزة بالقصيم ، وديوان شاعر الجبلين للجريفاني من مدينة حائل ، وهذان الإقليمان القصيم وحائل تطرد فيهما الظاهرة ـ مدار البحث ـ في لغة الحديث اليومية.

ج ـ في سوريا ولبنان :

لقد تقدّم الكلام على أن الظاهرة في سوريا ولبنان تتأرجح بين الكثرة في بعض الأجزاء والاطراد في أجزاء أخرى ، فقد مر بنا أن رفائيل نخله اليسوعي يوحي كلامه باطرادها ، ولكن ما نسمعه من غالبيتهم لا يؤيده ، إذ هم يتمون في أحاديثهم العادية إلا نادرًا في بعض الجمل : (إلت لّهْ) قلت لها ، ولكن هذا لا ينفي اطراها في بعض القرى كما أشرت إلى ذلك سابقًا. أما لماذا لم أقل في بلاد (الشام) وخصصت سوريا ولبنان ؟ فذلك لأمر مقصود فعلا ، وهو إخراج فلسطين والأردن ، فقد تتبعت الأشعار الواردة في كتاب (الأغاني العربية في فلسطين والأردن) للدكتور عبد اللطيف

---

(١) المرجع نفسه ١٣٩.

(٢) المرجع نفسه ٣٨ والمعروف أن قحطان لا تستعمل اللهجة ، ولكن الأفراد يتنقلون ، وقد رادف فالداب عندهم هي الحية.

(٣) المرجع نفسه ٤٤. وعلى أي حال فهي مستفيضة في أشعار قبيلة شمر وأهالي حائل من ذلك ـ مثلا ـ في غير هذا الديوان ، قول عبيد العلي الرشيد : عن السعيد : الشعر النبطي ٥٠ ، ٨٠

نفسى تمنيني لرقى السنودي　　مع لابةٍ توزي (نفوسَهْ)على الكودْ

البرغوثي فلم أحصل على شيء من هذه الظاهرة إلا على عدد قليل سأشير إليه فيما بعد، وأحسبه ضرورة شعرية، ومما يؤيد هذا الترجيح أن المؤلف البرغوثي حينما مرت عليه في قول أحدهم: اتنادم (وليفا بكلام اللطف والإحسان) علق على ذلك: "وليفا: وليفها، وكثيرًا ما تحذف الهاء في مثل هذا الموضع في اللهجة اللبنانية"[١] ومرت معه في قصيدة للشاعر اللبناني محمد مصطفى الصميلي من البقاع (خصرا مضمر)[٢] ومرت أيضًا (ويلوح خصرا)[٣] وأيضًا (مِثْلا)[٤] أي خصرها، ومثلها في شعر لبناني، وقد اكتفى بالتعليق المشار إليه على واحدة منها.

وعلى الرغم من قوله إن الظاهرة خاصية لبنانية فقد وردت في أشعار أوردها ونسبها للضفة الشرقية وربما لم ينتبه لها، أو هو قد انتبه لها وعدها ضرورة شعرية، فقد جاءت في قول الشاعر:

واطلب فها الحبه　　　قالت غيرك ما (نالَهْ)[٥]

وأيضًا في قوله:

والثانيا بنت عيونها جميلات　　　لن اقبلت تضحك (بعينا وسنهْ)

فقد استعمل الفصحى في (عيونها) ولكن استخدم الظاهرة (ها: ـهْ) بقوله (بعينا: عينها، وسنَهْ: سنها) وقد نص على أنه من الضفة الشرقية.

ولما كنت أفتقر إلى دواوين شعر شعبي من سوريا ولبنان فقد لجأت إلى الأغاني الشعبية من هذين البلدين، من الإذاعات العربية المختلفة. فهذا وديع الصافي يقول في مطلع أغنيته:

قالت لي بالبيت　　　قلت (لَهْ) يا ريت

---

(١) ص ١٩٣، والتعليق ٣٣١ لأنه يجعل التعليقات في الآخر.

(٢) ص ١٩٢.

(٣) ص ١٩٣.

(٤) ص ١٩٤.

(٥) ص ٢٣٣.

فـ (لَهْ) لها، وهو واضح. ونصري شمس الدين هو الآخر في أغنيته (يازريف الطول) يقول في آخرها (... زعروره... ازورَه) أي أزورها، لأن الضمير يعود على (الزعروره). ومن (الزعرورة) إلى (الغندورة) حيث تغنى رندة قائلة: عبدو حابب غندوره (غيرَه) ما بدو. فالضمير يعود في (غيرَهْ) على الغندوره (غيرها). وفي أغنية لبنانية لا أعرف مغنيها، ولكن مطلعها:

يا فراشه طيري عن (ثمَهْ)   حلوه وصغيره شو (همَهْ)

ثم تستمر القافية فيها (... خصرَه... عطرَه... شعرَه). ويغني نصري شمس الدين أيضًا أغنية مطلعها: ها لقلب المشتاق، يتردد في هذه الأغنية قوله(عينَه: عينها) (حبَهْ: حبها) وتغني صباح: لبنان الدني (الدنيا) كلَهْ أي كلها.

ومن لبنان إلى سوريا حيث يقول محمد جمال في أغنية له مطلعها:

عندي ها لقلب وما دري   ما بفكر انه يرضيك

يقول:

وها الآهات (كلهْ) مليانه

أي كلها.

وفي أغنية لطروب من سوريا مطلعها: (يا حلاق اعمل لي غره) تردد الفرقة المصاحبة لها:

ياحلاق اعمل (لَهْ) غره

أي لها وفي أغنيه ثانية للمطربة نفسها مطلعها:

صف اسلاحك يا بو زيد.

يرد مقطع فيها يقول:

وعيونك عن دربي (رده)

أي ردها حيث الضمير يعود على العيون.

وفي أغنية ثالثة للمطربة ذاتها اسمها (علكورنيش) يرد المقطع الآتي:

(وتقولَهْ) دخلك يا شمس

فالضمير يعود على المحبوبة الموصوفة بأنها شمس.

وفي الحقيقة أن هذه الظاهرة في الأغاني الشعبية السورية اللبنانية لا يكاد المتتبع يجد أغنية واحدة خالية منها، بل أحيانا ترد في المنثور الشعبي في تمثيلية دريد لحام (تخليصك يا وطن) يرد في الحوار:

ـ فتحوا (لَهْ) بطنَهْ. (لها بطنها).

ثم يرد: ـ نعم

ـ كلَهْ (كلها)؟

ـ كلَهْ كلَهْ : أي كلها كلها.

وفي أغنية من سوريا أيضًا، تردد الفرقة مع المغنية: دلال شمالي:

يا للي عا (شيلَهْ) نـاوي	عاسروج الخيل يا غاوي
ما (عندَهْ) سلاح تنْزل لك	(برموشَهْ) تجرح وتداوي

ومن الواضح أن (شيلَهْ، عندَه، برموشَهْ) تعني: شيلها، عندها، برموشها.

ويغني فهد بلاّن من سوريا قائلا: سمرا سمرا مزيونه (وقدَّه) ميال، أي قدها.

رأينا الظاهرة في الشعر الشعبي في كل من القصيم وحائل وسوريا ولبنان وهي وإن كانت غير مطردة في الأخيرتين إلا أنها مألوفة بسبب اطرادها في جهات منهما، وبسبب اطرادها في جمل معينة في اللغة الدارجة اليومية فيهما (إلت له) مثلا، كل هذا يجعل الظاهرة كثيرة في هذه الأشعار الشعبية كثرة تخرجها من دائرة الضرورة الشعرية، وتجدر الإشارة أنهم في سوريا ولبنان يتراءى لك أنهم ينطقونها كأهل الموصل بنقل حركتها إلى ما قبلها (فتحة) ثم يمدون الفتحة من غير هاء. ويحتمل أن

تكون المدة هي الهاء ساكنة وقد تلاشت الهاء. ولكن هل يعني هذا أن الاستعمال الفصيح (ها) في الأشعار الشعبية بهذه البلدان هو الضرورة الشعرية فيهما؟

والحق أن الاستعمال الفصيح (ها) في هذه الأشعار يوازي أو يفوق استعمال اللهجة (ها: ـَهْ) حتى في المناطق التي تغطيها مثل القصيم وحائل في لغة الحديث اليومي، وهذا يعني أن لغة الشعر غير لغة المنثور عموما، وكما ينطبق هذا على الشعر الفصيح فهو ينطبق ولا شك على (الشعر الشعبي)، ولعل من أسبابه العديدة كون الشاعر راوية أيضًا، يتمثل أشعار الآخرين، ويتأثر بهم، وبعضهم من خارج منطقته، ولكن اللهجة الخاصة لها تأثيرها على الفرد، فمهما تأثر بلغة الشعر المشتركة، تبقى الهيمنة لسليقته اللغوية ومن هنا كثرت هذه الظاهرة اللغوية في أشعار هؤلاء كثرة لا يمكن تسميتها بأنها ضرورة شعرية، ولكي يتضح لنا ذلك جليًا يحسن أن نتتبع الظاهرة في دواوين شعراء شعبيين من مناطق لا تستعمل هذه الظاهرة، وهم من سدير في نجد ومن الكويت.

أولا: ديوان من الشعر الشعـ لشاعر سدير: إبراهيم بن جعيثن

وهو ديوان جمعه عبد العزيز محمد الأحيدب. وردت (ها: ...ـهْ) في هذا الديوان ست مرات لابن جعيثن بصورة واضحة لا تحتمل الالتفات من المؤنث إلى المذكر والعكس - وهي عادة في الشعر النبطي - أشرت إليها آنفًا، ووردت للشاعر نفسه أيضًا مرتين أخريين ولكن بصورة يرد عليها احتمال الالتفات.

كما وردت في هذا الديوان مرتين لشاعر آخر هو (خلف الجويعان) ولا أعلم في الحقيقة من أي منطقة هو؟.

يقول ابن جعيثن:

ضحكت وحذقت الهموم بوصلها (توه) تبن هرجها وعجوبها [(١)]

فـ(توه) توها وهو واضح (ضحكت، حذقت، وصلها، هرجها، عجوبها) كلها مؤنثة.

---

(١) ص ٨٩.

ويقول:

قمت اطوح ونة اللي به أفروج   من غزال عنقها عنق الإبريق
ريح عطر الشام من (فاهَهْ) يفوح   وطيبها العنبر إيجاب لها عتيق[١]

فالضمير في (فاهَهْ) يعود على الغزال المؤنث عنده (عنقها، طيبها، لها).

ويقول:

سقى الله دارهم من كل رايح   تشوف نخيلهم (حملَهْ) اركومي[٢]

فـ (حمله: حملها) يعود الضمير على النخل.

ويقول:

ويلا (إلى) حرقت فوق الشعلة   ما يلقط (شينَهْ واعذوفَهْ)[٣]

فـ(شينه وعذوقه: شينها وعذوقها) بدليل قوله (حرقت) يعني القهوة.

ويقول:

نبي مكان يحفظنا   سيله مسدود معباره
دونه جدران مبنيه   والظبه يا قوى (اوساره)[٤]

(أو سارَه: أو سارها) يعود الضمير على (الظبة) في الباب.

ويقول:

---

(١) ص ١٨٦، به أفروج: مريض الصدر.

(٢) ص ١٨٤.

(٣) ص ٢٠١.

(٤) ص ١٩٩.

خف الله ودع عنك ما مضى   ولا تامن الدنيا (مداه) قصير[١]

فالضمير في (مداه) أي (مداها) يعود على الدنيا.

أما الحالتان اللتان تحتملان تغيير الشاعر أسلوبه من المؤنث إلي المذكر أو العكس، فذلك في قوله:

لها عنق وعرنين وعينا   وخد (له) كما برق المخايـــل

(نحبه) دايم وابهـــا بلينا   حبيبي قال لي وش انت قايل[٢]

فقـــد أنـــث في قولـــه (لهـــا عنـــق، وابهـــا بلينـــا) ولكنـــه قـــال (لـــه، نحبـــه) فهـــل هـــي (لها ونحبها). يجوز ذلك لتتماشى مع التأنيث، ولكن الالتفات إلى التذكير وارد لأنه ذكر (حبيبي قال...).

وقوله: صفا ماها واحبيباته   واحطيبه خوص السفافه[٣]

فـ (صفا ما ها) يعود الضمير على القهوة وهو واضح، ولكن (حبيباته) هل حبيبات القهوة. فتكون (حبيباتَهْ): حبيباتها ؟ أم حبيبات صاحبها، وحينئذ يكون الضمير لمذكر وربما يرجح الأخير قوله (واحطيبه) فالضمير راجع لصاحب القهوة لا غير. أما خلف الجويعان في الديوان نفسه، فقد استعمل اللهجة (ها: ...ـهْ) مرتين، مرة بصورة لا تحتمل غيرها وذلك بقوله:

وما سقيت أعداك من حوض الإدراك   سدت الجزيرة وأخضعت لك (جميعَهْ)[٤]

فـ(جميعَهْ): جميعها، يعود على الجزيرة، وقدم قبلها (خضعت)، وأما المرة الثانية فمرجحة ولكن الاحتمال وارد، وذلك بقوله:

المملكة لبست ثياب جديدة   وأضفت على شعبك فاخر (ثيابَه)[٥]

---

(١) ص ٢٠٣.

(٢) ص ١٢٦.

(٣) ص ٢٠٠.

(٤) ص ٧.

(٥) ص ١٥.

فـ(ثيابَه : ثيابها) والضمير يعود على مؤنث هو المملكة، ويرجحه (أضفت)، ويحتمل أن الضمير (ثيابه) يعود على الشعب.

ثانيًا: ديوان الشاعر: مرشد البذال (ا زء الثالث)

جمع هذا الديوان عبد الله ناصر الصانع، ويشترك معه غيره من الشعراء للمناسبة، شأنه في ذلك شأن دواوين شعراء النبط.

والشيء اللافت للانتباه أن صاحب الديوان (البذّال) لم يستعملها قط في هذا الديوان، ولكن استعملها اثنان من المشاركين في الديوان، وهما محمد السديري من أهالي منطقة سدير في نجد، وعيد سيف الدوسري، والدواسر ـ عادة ـ ينتشرون في واد خاص بهم (وادي الدواسر) في جنوبي نجد، وفي المنطقة الشرقية (الدمام والبحرين) وما جاورهما، إلا أن الأفراد لا يمكن الحكم ببلدانهم إلا بمعرفة خاصة بالفرد، ولا أعرف (عيدا) من أي بلد هو.

يقول محمد السديري:

من حب خولان الخضر(حطه) اجزاف أحمس ونظفها عن الجمر تنظيف[1]

و(دقه) بنجر تالي الليل رجّاف ويا حسين لقمها ببيض مهاديف

فقوله: (حطه) و(دقه) الراجح أنهما (حطها) و(دقها) والضمير يعود على القهوة، بدليل تأنيثه لها (نظفها ولقمها)، وبعيد في اعتقادي أن الضمير في (حطه ودقه) يعود على مذكر هو (حب خولان).

أما استعمال عيد الدوسري فهو:

---

(١) ص ٥٤، وخولان مكان باليمن يحمل اسم قبيلة، يبدو أنه مشهور عندهم بإنتاج البن الجيد، والنجر: الهاون الذي تسحق به القهوة.

سقوى ليا من قام ثم جابها لي   جاب الذي (عينَهْ) هدبها مرابيش [١]

فالضمير في (عينَه: عينها) يعود على مؤنث (هدبها مرابيش).

ولا شك أن سؤالا يبقى معلقا، وهو عدم ورودها في شعر مرشد البذال العازمي، وللتأمل في الإجابة على هذا أورد الملاحظات الآتية:

١- لن يدخل في المقارنة شعراء المناطق التي تطرد فيها الظاهرة، على أساس أن استعمالهم لها سليقة لغوية، أما الشعراء الذين استعملوها من مناطق لا تستعملها، فبعضهم لا نعرف أماكنهم، ومن نعرف منهم مثل: ابن جعيثن، ومحمد السديري، وأحمد الناصر، وهم جميعًا من إقليم سدير وهذا الإقليم وإن كان لا يستخدم اللهجة، فإنه مجاور للقصيم الذي يستعملها من جهة الجنوب، ثم يضاف للمجاورة الضرورة الشعرية وهذه الضرورة هي التي أملتها على شاعر مثل عوض من أهل السيل (قرب الطائف)، ثم إن عوضا ربما سمعها من محاوره (أبي ماجد) القصيمي فقلده.

٢- الشعراء بطبيعتهم رواة يحفظون ويرددون ويحاكون أشعار الآخرين، وهذه الأشعار المروية تحمل لهجات مختلفة تخالف لهجاتهم الخاصة، مما يجعلهم يتأثرون بلغتهم الخاصة لكن ليس بمعزل عن مروياتهم، وما تحمله من لهجات، مما ولد لغة مشتركة - أو تكاد - بين هؤلاء الشعراء يكون من حقهم الخروج على لغاتهم الخاصة دون حرج أو غضاضة، وهو شيء غير متسامح فيه معهم من قبل مجتمعهم لو راموه في لغة الحديث اليومي، والدليل على أن هذه الظاهرة معروفة لدى هؤلاء - على الأقل - ضرورة شعرية، الدليل وجودها في أشعار نبطية قديمة وحديثة، لشعراء مناطق ليست مطردة فيها، فمن الشعر النبطي القديم يقول (مجهول) يمدح بركات الشريف:

ياما تحمل خصرها من ردفها   ضيم إلي قامت تقوم وتقعدا

---

(١) ص ٢٦، ومرابيش: رموش ظاهرة الحركة لطولها، وقد استعمل: الذي بمعنى التي وهو شيء مألوف عندهم وقد استعمله الجريفاني فيما مضى وأشرت إليه.

(لَهْ) مثل غصن الموز ساق ناعـم　　　بحل به الخلخال جضّ وغردا[(١)]

فالضمير في (لَهْ) يعود على مؤنث (لها) لأنه أنث (خصرها، ردفها، قامت، تقوم، تقعد).

ويقول جري الجنوبي وهو فيما ذكروا من أهالي سدير:

يا سيف دوّر لي مـع الورد بكـره　　　لعـل البكـا عـن ناظري يهـونْ

تراها الذي ضيعت في وادي الغضا　　　غزال هنالك دون (قتلَهْ) دونْ[(٢)]

فالضمير في (قتَلهْ: قتلها) يعود على البكرة، وقد استخدم الاستعمالين (تراها، قتَلهْ).

وفي الحقيقة أنني لم أجد في ديوان (خيار ما يلتقط) لهذه الظاهرة غير هذين المثلين، علما بأن هذا الديوان يختص بأشعار النبط القديمة نسبيًّا حيث مضى على بعضها أكثر من أربعة قرون.

ويقول حميدان الشويعر وهو من أهالي سدير، ومن أهل القرن الثاني عشر تقريبًا:

لا قالت عجل جا يركض　　　دايم ما يظهر من (شورَهْ)

والزبده تجرعهـا عدلـه　　　تبي (بَهْ) صنوق وحروره[(٣)]

(١) الحاتم: خيار ما يلتقط من شعر النبط ١/١٠، بحْل: متورط، وجض: ضج (قلب مكاني)، ومثله قول فهيد بن عويديد:

يا بكرتي اللي غدت ما (لَهْ) اسناع　　　حمرا فتاة و(راعيَهْ) ما وسم (لَهْ).

وقول الآخر:　　　عضتني الداب (وانيابَهْ)مشاويك　　　والله وقاني عن أسباب المنيه

(٢) الحاتم: خيار ما يلتقط من شعر النبط ١/٣٥، من عادة شعراء النبط الكناية عن المحبوبة بالبكرة، ونراه استعمل (الذي) بمعني التي مما يدل على قدم الاستعمال بينهم.

(٣) الفرج: ديوان النبط ١/٥٠، وقد ذكر الفرج في ١/٣٣ بيتا آخر لحميدان الشويعر هكذا:

يا عاشق كل خود مليحه　　　هنوف غنوج (بخدها) رقايم.

والحقيقة أن البيت ينكسر إذا روى بـ(خدها)، ومن هنا أعتقد أنه (بخدّه)، وربما أن الرواة في الخليج والفرج منهم يروونه (خدْها) الدال غير مضعفة، وهي كذلك في لهجتهم، وعلى هذه الرواية لا ينكسر. وعند الفوزان، صحافة نجد المثيرة في القرن الثاني عشر، رئيس التحرير: حميدان الشويعر ١٤٣ (بخدّه) أي بخدها.

فالضمير في (شورَهْ) وفي (بَهْ) يعود على زوجة ابنه (شورها، بها) وقد انتبه الفرج إلى الضمير في (شورَهْ) فعلق عليه قائلا: "وهو هنا يستعمل لغة أهل القصيم في ضمير المؤنث، فهم يفتحون ما قبل الضمير للمؤنث"، ولو وقفنا بعض الشيء مع شعر هذا الشاعر (حميدان) لوجدناه يستعمل هذه الظاهرة بشكل يلفت النظر، مع أنه ليس من أهلها، ربما يكون ذلك من باب الضرورة الشعرية، من ذلك قوله:

لا تضم التي ما تخلي الرفيق   حيثما غاب (رَجلَهْ) فهو يحضر[١]

أي: رجلها.

وقوله:

مزيت (ريقَهْ) عسى ما يفيد   واغضبت ربك بهتك المحارمْ[٢]

أي: ريقها.

وقوله:

غنين (ظليلَه) يطرب (مقيلَه)   وسمعكم تمتع بصوت الحمايم[٣]

أي: ظليلها، مقيلها.

وقوله:

ونومه مع خود ناعم   زم (ابصدرَه) مثل الحققه[٤]

أي: بصدرها.

وقوله:

تريده يبّـــــرد ما فيها   لا حل القارص (بشفورَه)

---

(١) الفوزان، صحافة نجد المثيرة ١٢١.

(٢) المرجع نفسه ١٤٣.

(٣) المرجع نفسه ١٤٤.

(٤) المرجع نفسه ١٥٠.

تعبا المثلوثه من جهمـه مـن ليل يرعـد (تنّـورَه)

وتبــج الكحـله من بكره تبي (بَه) حـــل (بحتورَه)[1]

أي: بشفورها، تنورها، بها، بحتورها.

وتخصيص الظاهرة بالقصيم ورد أيضًا عند ابن خميس؛ حيث قال في الكلام على الظاهرة: "وضمير المؤنث من هذا النوع يجعلنا نحكم أنه من شمال الجزيرة القصيم"[2]. وقد رأينا أنها ليست خاصة بالقصيم.

ويقول ابن السبيل وهو من أهل القرن الثالث عشر تقريبا من بلدة (نِفي) جنوب غرب القصيم، ويركب لغة البادية عادة:

أزوال واجد مير ماهيب مشهاه النفس ياقف (لَه) عياف (يذودَه)[3]

فأعاد الضمير على النفس في (له: لها، يذودَهْ: يذودها).

أما أهالي القرن الرابع عشر فكثيرون وحسبنا التمثيل فقط لمناطق لا تستعملها، من هؤلاء عبد الرحمن البواردي من أهالي الوشم في نجد:

يا علي ليتك (تشوفَه) عنقها عنق المهاةِ[4]

فقوله (تشوفه: تشوفها) يعود الضمير على محبوبته التي عنقها عنق المهاة.

---

(١) المرجع نفسه ١٥٦. وتجدر الإشارة إلى أن هذه الأبيات من قصيدة واحدة، سبق أن أوردنا منها بيتين:

(لا قالت عجل جاء يركض دايم ما يظهر من شورَه)

وفيها بيت ذكره الفوزان هكذا: وعندها رجـــل ثور جيّــد أجم يرعـــى في هوره

ولعله (عنده: عندها) لأن الوزن يستقيم أكثر.

(٢) ابن خميس: الأدب الشعبي في جزيرة العرب ٢٣٧.

(٣) الجهيمان: الأمثال الشعبية في قلب جزيرة العرب ٤٢/٢.

(٤) السعيد: الشعر النبطي ٦١، وفي ٨٢ لحمود بن سويط:

البارحة كل أول الليل أقول آه من علة باقي الملا ما درا (لَه)

وآل السويط شيوخ قبيلة الظفير، عدنانية الغالبية مالت إلى العراق مؤخرا.

ويقول عبد الله الثميري من المنطقة نفسها، وهو معاصر :

فيا سامعني خذها مني نصيحة ما ابغى (بدالَه)[(١)]

فـ(بداله : بدالها) أي النصية.

ويقول شاعر من قبيلة عتيبة وهي لا تستعمل الظاهرة :

هذي طمية عن (مكانَه) ما تغور (مغيّبينَه) في حفيظات الصدور[(٢)]

فالشاعر يبدو أنه يرد على لغز و(مكانَهْ : مكانها، ومغيبينَهْ : مغيبينها) يعود الضمير على طمية.

٣- عدم استخدام مرشد البذال العازمي لها في ديوانه لا ينفي استعماله لها في أشعاره الأخرى، هذا من ناحية، ومن أخرى فهو من الكويت وربما تكون الظاهرة في الخليج العربي قليلة في أشعارهم المروية، فهم لم يألفوها، أضف إلى ذلك أن الشاعر (عازمي) من العوازم[(٣)] ، وهم لا يستخدمونها في لهجتهم أيضًا، ثم إن الذين يستعملونها من غير الناطقين بها، يستعملونها على أنها ضرورة شعرية، ومن الجائز أن البذال لم يضطر إليها في أشعار هذا الديوان أو في أشعاره كلها، على الرغم من أنه يعرفها، وقد وردت في ديوانه مرتين ـ كما ذكرت ـ لشاعرين سواه بشعر موجه إليه، وهذا الأخير في رأيي هو الاحتمال الأقوى ؛ لأن الكويت أقرب إلى مناطق اطرادها من مناطق أخرى كالسيل مثلا (قرب الطائف)، على أن القرب والبعد ليس دائمًا هو المقياس الساري في الظواهر اللغوية.

٤- العجمان وزعيمهم راكان بن حثلين، لابن عقيل : يكاد يكون هذا المؤلف ديوانا لشاعر العجمان راكان ابن حثلين، ولم أجد الظاهرة في شعر هذا الشاعر، لأن قبيلته تشبه العوازم فهي

(١) جريدة الجزيرة (السعودية) عدد ٣٥٩٩ الاثنين ٢١ رمضان ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م (فوانيس).

(٢) مجلة العرب (السعودية) ج ٥ و٦، س ١٥، ذو القعدة وذو الحجة ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م، ص ٤٣٤.

(٣) العوازم : واحدهم عازمي قبيلة عربية كريمة الشمائل، هاجرت في القرون المتأخرة من نواحي مكة المكرمة إلى الكويت، ومالت للتحضر بعد نعمة (البترول) ولها محلاتها المعروفة بها هناك (فريق العوازم)، يلف الغموض تحديد انتمائها، وقد خصها العبيد بمؤلف خاص : قبيلة العوازم، كما خص لهجتها كثير من الدارسين للهجة الكويتية والخليج منهم : جونستون : دراسات في لهجات الخليج.

تسكن المنطقة الشرقية، وجزء منها في الكويت[١]، ولكن المؤلِّف اشتمل على أشعار لغيره بسبب المناسبة، مثل حمود بن عبيد الرشيد من منطقة حائل وتغطيها الظاهرة حيث يقول:

أذهبت يام في قصيدك بحمراك (وبعته) برخص عقب ما انتب غلاوي[٢]

أي: بعتها يعود على قبيلة يام.

ويقول:

يا ليل سلم لي على راكان سلم على زيزوم يام (واميرَه)[٣]

أي أميرها يعود على قبيلة يام.

٥- لو تأملنا الكثير من الأشعار السابقة لوجدنا الشاعر الواحد يستعمل الظاهرتين معًا (...ها، ...ـه) ربما في بيت واحد أحيانا، وهذا يدخلنا في قضية قديمة حديثة، ألا وهي هل يستطيع الشاعر أن يستخدم لغتين؟[٤].

---

(١) وللهجتها أيضًا خصائصها مثل العوازم، وقد هاجرت هذه القبيلة من نجران.

(٢) العجمان وزعيمهم ١٣١.

(٣) المرجع نفسه ١٥٤.

(٤) الحربي، الشاهد الشعري في النحو العربي (على الآلة الكاتبة) ٢/ ٥٨٨ ـ...... وفيه بعض البسط ولا داعي لإعادته، فليرجع إليه من شاء. وقد استفدت منه.

ثبت ا صادر وا راجع

الكتب :

الألوسي ، محمود :

الضرائر وما يسوغ للشاعر. تح. محمد بهجت الأثري ، بغداد ١٩٩٢م

الأحيدب ، عبد العزيز محمد :

ديوان من الشعر الشعبي لشاعر سدير : إبراهيم بن جعيثن. مطابع الإشعاع بالدمام ط (١) ١٤٠٢هـ

الأستراباذي ، رضي الدين :

شرح شافية ابن الحاجب. تح. محمد نور الحسن وزميليه ، مطبعة حجازي ـ القاهرة ١٣٥٦هـ.

الأشموني ، محمد بن علي :

شرح الأشموني على ألفية ابن مالك ، مطبعة البابي الحلبي ـ القاهرة (د. ت).

الأصبهاني ، حمزة بن الحسن :

الدرر الفاخرة في الأمثال السائرة. تح. عبد المجيد قطاش. دار المعارف بمصر ١٩٧١م.

د. أنيس ، إبراهيم :

من أسرار اللغة ، مكتبة الأنجلو ، ط (٤) ١٩٧٢م.

البذال ، مرشد :

ديوان الشاعر : مرشد البذال (مج ٣) جمع : عبد الله ناصر الصانع ، مطبعة حكومة الكويت ١٩٧٣م.

البرغوثي ، عبد اللطيف :

الأغاني العربية الشعبية في فلسطين والأردن، المطبعة الشرقية العربية - القدس، ط (١) ١٩٧٩م.

أبو البركات، كمال الدين عبد الرحمن بن سعيد:

الإنصاف في مسائل الخلاف. تح. محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة بمصر، ط(٣)١٣٧٤هـ - ١٩٥٥م

بروكلمان، كارل:

فقه اللغات السامية، ترجمة: رمضان عبد التواب، مطابع جامعة الملك سعود - الرياض ١٣٩٧هـ

البكري، أبوعبيد:

اللآلئ في شرح أمالي القالي، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٣٥٤هـ - ١٩٣٦م.

تيمور، أحمد:

معجم تيمور الكبير في الألفاظ العامية. الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، مطبعة الثقافة بمصر ١٣٩١هـ - ١٩٧١م

جبر، محمد عبد الله:

الضمائر في اللغة العربية، دار المعارف بمصر ١٩٨٠م

الجريفاني، عبد العزيز بن عبد الله:

ديوان شاعر الجبلين، مطابع الزايدي - الرياض ١٩٧٤م

الجنابي، أحمد نصيف:

ملامح من تاريخ اللغة العربية. دار الرشيد للنشر، بغداد ١٩٨١م.

الجهيمان، عبد الكريم:

أساطير شعبية من قلب جزيرة العرب. الرياض، ط. (٣) ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.

جونستون، ت. م.

دراسات في لهجات شرق الجزيرة العربية، ترجمة: أحمد الضبيب. مطابع جامعة الملك سعود - الرياض. ط (١) ١٣٩٥هـ-١٩٧٥م.

الحاتم، عبد الله:

خيار ما يلتقط من أشعار النبط، مطبعة دمشق العمومية ١٣٧٢هـ - ١٩٥٢م.

حجازي، محمود فهمي:

علم اللغة العربية - مدخل تاريخي مقارن. وكالة المطبوعات. الكويت ١٩٧٣م.

الحربي، محمد بن باتل،

الشاهد الشعري في النحو العربي (رسالة دكتوراه - مطبوعة على الآلة الكاتبة) ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

حميد الله، محمد:

مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة ١٩٥٦م.

ابن خمس، عبد الله:

الأدب الشعبي في جزيرة العرب، مطبعة الترقي - دمشق، ط (٢) ١٣٧١هـ - ١٩٥٢م.

الرافعي، مصطفى صادق:

تاريخ آداب العرب. دار الكتاب العربي بمصر، ط(٤) ١٣٩٤هـ-١٩٧٤م.

الزَّبيدي (الحسيني) محمد مرتضى:

تاج العروس من جواهر القاموس مطبعة صادر وبيروت ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م.

السعيد، طلال:

الشعر النبطي، ذات السلاسل، الكويت ١٩٨١م.

سيبويه، أبوبشر عمرو:

الكتاب. مطبعة بولاق.

ابن السيرافي، يوسف بن أبي سعيد:

شرح أبيات سيبويه، تح. د. محمد على الريح. دار الفكر - بيروت والقاهرة ١٣٩٤هـ - ١٨٧٤م.

السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن

همع الهوامع. تح. د. عبد العال مكرم، وعبد السلام هارون ١٣٩٤هـ - ١٩٧٠.

شاهين، عبد العال:

الضرائر الشعرية في الشعر الجاهلي، دار الرياض ١٩٨٣م.

شرف الدين، أحمد حسين:

اللغة العربية في عصر ما قبل الإسلام ١٩٧٥م.

الطعان، هاشم:

الأدب الجاهلي بين لهجات القبائل واللغة الموحدة. مطبعة دار الحرية - بغداد ١٣٩٨هـ.

عبد التواب، رمضان:

فصول في فقه العربية. دار الحمامي للطباعة، بالقاهرة ط (١) ١٩٧٣م.

العبودي، محمد بن ناصر:

معجم بلاد القصيم. مطبعة نهضة مصر، ط (١)١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.

العسكري، أبو هلال، الحسن بن عبد الله بن سهل:

الأوائل. تح. محمد السيد الوكيل، مطبعة أسعد طربزوني الحسيني ١٣٨٥هـ

ابن عصفور، على بن مؤمن بن محمد:

ضرائر الشعر. تح. السيد محمد إبراهيم محمد، بيروت ١٩٨٠م.

ابن عقيل، أبو عبد الرحمن محمد:

العجمان وزعيمهم راكان بن حثلين. مطبعة دار اليمامة ـ الرياض ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.

الفرج، خالد:

ديوان النبط. مطبعة الترقي بدمشق ١٣٧١هـ ـ ١٩٥٢م.

فليش، هنري:

العربية الفصحى. ترجمة: د. عبد الصبور شاهين، ط (١) ١٩٩٦م.

الفوزان، عبد الله بن ناصر:

صحافة نجد المثيرة في القرن الثاني عشر، رئيس التحرير: حميدان الشويعر. مطابع نجد ـ الرياض ط (٢) ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م.

الماجد، علي العبد الرحمن:

ديوان مظلوم، مطبعة دمشق ١٣٨١هـ ـ ١٩٦٢م.

المخزمي، مهدي:

في النحو العربي. مطبعة البابي الحلبي بمصر، ١٣٨٦هـ ـ ١٩٦٦م.

ابن منظور، محمد بن مكرم

لسان العرب. مطبعة بولاق بمصر.

الميداني، أحمد بن محمد بن أحمد:

الأمثال (مجمع الأمثال).المطبعة البهية بمصر ١٣٤٢هـ.

نالينو، كارلو:

تاريخ الآداب العربية. دار المعارف بمصر ١٩٥٤م.

النجار، محمد بن عبد العزيز:

ضياء السالك إلى ألفية ابن مالك. مطبعة السعادة بمصر ١٩٧٣م.

نخلة، رفائيل:

غرائب اللهجة اللبنانية السورية. المطبعة الكاثوليكية - بيروت ١٩٦٢م.

ابن يعيش، يعيش بن علي:

شرح المفصل، المطبعة المنيرية بمصر (د.ت).

ب - المجلات والجرائد:

المجلات:

- مجلة التراث الشعبي (العراقية)، ع ٩ - ١٠، س (١)، مايس وحزيران ١٩٦٤م.

مجلة العرب (السعودية) مج ٧، س ٧ محرم ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م. ومج (٥، ٦) س ١٥ عام ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.

- مجلة مجمع اللغة العربية - القاهرة، مج ٢٢، عام ١٩٦٧م.

الجرائد:

- جريدة الجزيرة (السعودية)، ع ٣٥٩٩ في ٢١ رمضان ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

- رسالة الجامعة (جامعة الملك سعود) بتاريخ ١٤٠٤/٦/١هـ.

مجيء النافي قبل القسم، وحذفه بعده

د. محمد بن باتل الحربي
الأستاذ المشارك في قسم اللغة العربية
كلية الآداب-جامعة الملك سعود

ملخص
للقسم (الحلف) في اللغة العربية خصائص في ألفاظه وأسلوبه والزيادة فيه والحذف منه، ولهذا خصّه كثير من النحويين بعنوان مستقل يدرج تحته تلك المميزات، ولعل من أهم ما يلفت النظر فيه، مجيء أداة النفي قبل القسم من غير أن تنفيه على بعض الأقوال، أو العكس حيث تحذف أداة النفي قبل جواب القسم ولكن يبقى عملها، وهذا البحث سوف يتناول هاتين القضيتين، مع أن العربية يشاركها لغات أخرى في كلتا الحالتين.

* * *

القسم حلف يؤكد به صاحبه تأكيد شيء نفيًا أو إثباتًا وله ثلاثة أركان:
١) جملة مؤكدة هي أقسم ونحوها.
٢) مقسم به مما له منْزلة كبيرة عند الحالف.
٣) جملة مؤكدة: وهي المقسم عليها.

والحلف في اللغة العربية كثير الدوران على الألسنة، كبير الوظيفة في الكلام عند كل من السامع والمتكلم، لذلك نراهم خصّوه بميزات عدة[1]، منها ما نحن بصدده من ذكر حرف النفي قبل القسم المثبت، أو حذف حرف النفي من جوابه المنفي، وهاتان قضيتان مختلفتان من خصائص القسم:

القضية الأو : سبق أداة النفي قبل القسم

هذه الظاهرة وردت في القرآن الكريم ثماني مرات، سبع منها[2]، كانت أداة النفي فيها جميعًا (لا)، وفعل القسم بعدها (أقسم)، وهذه هي الآيات: قال تعالى ﴿فَلاَ أُقْسِمُ

---

[1] انظر على سبيل المثال: أبا علي الفارسي، المسائل العسكرية ص٢٣١، والجرجاني، المقتصد مج٢، ص ٨٦٢- ٨٦٩، والزمخشري، المفصل، ص ٣٤٤، وابن يعيش، شرح المفصل مج ٩، ص ص ٩٠ ، ٩٣، وأباحيان، ارتشاف الضرب مج ٢، ص ص ٤٧٥- ٥٠٠.
[2] نصار، معجم آيات القرآن الكريم ص ص ١٠٠- ١٠١ ، و ١٤٠.

بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ [٧٥-الواقعة] فَلاَ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ [٣٨-الحاقة] فلا أُقْسِمُ بِربِّ المشَارِقِ والمغَارِبِ إنَّا لقَادِرُونَ [٤٠-المعارج] لا أُقْسِمُ بِيَوْمِ القِيَامَةِ، ولاَ أُقْسِمُ بالنفْسِ اللَّوَامَة [١،٢-القيامة]، فَلاَ أقْسِمُ بالخُنَّس [١٥-التكوير]، فَلاَ أُقْسِمُ بالشَّفَقِ [١٦-الانشقاق]، لا أُقْسِمُ بِهَذَا البَلَدِ [١-البلد]. وآية ثامنة سبقت (لا) قسما ليس بفعل وهي قوله تعالى فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ [٦٥-النساء]، ويلاحظ على سور هذه الآيات أنها كلها مكية، ماعدا فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ فمدنية.

كما يلاحظ أنه حينما يتعدد المقسم به، ويختلف نوعه فإنه يكتفى بواو العطف من غير تكرار لفعل القسم المسبوق بلا النافية ويتمثل ذلك في الآيات: فَلاَ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصَرُونَ، وَمَا لا تُبْصِرُونَ إنَّهُ لَقَوْلِ رسُولٍ كَرِيمٍ ، فَلاَ أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ الجَوَارِ الكُنَّسِ واللَّيْلِ إذَا عَسْعَسَ * وَالصُّبْحِ إذَا تَنَفَّسَ * إنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ فَلاَ أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ * واللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ * والقَمَرِ إذَا اتَّسَقْ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ، لا أُقْسِمُ بِهَذَا البَلَدِ* وَأَنتَ حِلٌّ بِهَذَا البَلَدِ * وَوَالِدٍ ومَا وَلَدَ * لَقَدْ خَلَقْنَا الإنسَانَ فِي كَبَدٍ ولكنه في سورة القيامة وحدها حينما تعدد المقسم به كرر فعل القسم مسبوقًا بلا النافية لا أُقْسِمُ بِيَوْمِ القِيَامَةِ * ولا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ، أيَحْسَبُ الإنْسَانَ أنْ لَنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ .

وقد ذكر العلماء في هذا عدة أقوال منها :

أولاً: للحسن البصري قراءة شاذة فيها وهي (لأقسم ..) "على أن اللام للابتداء، وأقسم خبر مبتدأ محذوف معناه: لأنا أقسم، ويعضده أنه في مصحف عثمان بغير ألف [يقصد بعد اللام] ... وطعن أبو عبيدة في هذه القراءة، وقال: لو كان المراد هذا قال لأقسمن [يعنى بلام قبل القسم ونون توكيد بعده]، لأن العرب لا تقول: لأفعل كذا [أي بلام قبل الفعل مع تجريد الفعل من نون التوكيد] وإنما يقولون لأفعلن كذا[1]. وقول أبي عبيد ة "لو كان المراد هذا" أي الإثبات وهو ما تقتضيه قراءة الحسن هذه بحيث تكون اللام

---

[1] الرازي، التفسير الكبير مج ٣٠ ص ٢١٥، وانظر هذه القراءة منسوبة للحسن عند الفراء، معاني القرآن مج ٣، ص ٢٠٧، والهروي، الأزهية في حروف المعاني ص ١٦٦، من غير عزو، وعزاها المرادي، الجني الداني ص ١٢٦ لابن كثير. وردها ابن الجزري، النشر في القراءات العشر مج ٢، ص ٢٨٢، إلى رواية قنبل.

جوابًا للقسم دخلت على الفعل أقسم. وبمثل هذا قال الزمخشري على آية أخرى "لأنه لو كان إثباتًا [أي القسم] لم يكن بدّ من اللام والنون"[١]. وعلق ابن هشام على مذهب الزمخشري بقوله: هي لام الابتداء عنده، وهي لا تدخل على الجملة الفعلية، لذلك يقدر بعدها مبتدءًا محذوفًا، أي لأنا أقسم، ولم يقدرها لام القسم لأنها عنده ملازمة للنون. وذكر بعض الاعتراضات على هذا الرأي، مثل التكلف في تقدير المبتدأ المحذوف لغير ضرورة، بل لمجرد أن تكون الجملة اسمية يقصد بها الحال على مذهب البصريّين[٢]. وقد صرح أبو علي الفارسي أن "لام الابتداء تختص بالدخول على فعل الحال عند النحويين، ولا تدخل على الآتي .. وإن كان متعلقًا بيوم القيامة"[٣]. ولكنه رأي مختلف فيه، وممن قال بدخولها على المستقبل ابن مالك[٤]. و ما قال به أبو عبيدة والزمخشري هو الأكثر، وليس بلازم إذ "إن الواحدي حكى جواز ذلك عن سيبويه والفراء"[٥]. وفي الحقيقة أن رأي سيبويه ليس صريحًا في هذا قال: "والأكثر كما خبرتك في اليمين، فمن ثم ألزموا النون في اليمين لئلا يلتبس بما هو واقع"[٦]. وقال أبو علي : "ذلك في أكثر الأمر"[٧]. وقال الجرجاني: "ألا ترى أنه لو كان إيجابًا لم يخل من اللام، أو من النون، أو منهما جميعًا"[٨]، ثم مثل بقوله: تالله ليبقى، كما تقول تالله ليخرج زيد[٩]. وقال المرادي: "لأقسم ... لا يخلو من أن تكون لام قسم أو ابتداء، فلام القسم لا تدخل على المضارع إلا مع نون التوكيد، فبقى أن تكون لام ابتداء، ولام الابتداء لا تدخل إلا على الجملة من المبتدأ أو الخبر فلا بد من تقدير مبتدأ وخبر"، ثم يزيد "فلام القسم لا تدخل على المضارع إلا مع نون التوكيد ليس على إطلاقه، بل هو مشروط عند القائلين به وهم البصريون بأن لا يفصل بين الفعل واللام بحرف تنفيس أو قد أو بمعموله فيمتنع حينئذ دخول النون ... وأما الكوفيون فإنهم أجازوا تعاقب اللام والنون، وأما في ﴿لَأُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ فقد أوّله بعض البصريين على

---

[١] الزمخشري، الكشاف مج ٢، ص٣٣٩.
[٢] ابن هشام، مغني اللبيب مج١، ص ص ٣٣٩-٢٣٠.
[٣] أبو على الفارسي، المسائل العسكرية ص ٢٥٣.
[٤] انظر، ابن هشام، مغني اللبيب مج ١، ص ٢٢٨ و ٢٤٤.
[٥] الرازي، التفسير الكبير مج ٣٠، ص ٢١٥.
[٦] سيبويه، الكتاب مج ١، ص ٤٥٦.
[٧] أبو علي الفارسي، المسائل العسكرية ص ٣٥٣، بل ذهب في ص ص ١٣١- ١٣٣ إلى تأييد الأخفش بأن يتلقى القسم بمضارع خال من النون، مسبق بلام كي، لا لام الابتداء، وانظر له المسائل البصريات مج ١، ص ٣٥٧.
[٨] الجرجاني، المقتصد مج ٢، ص ٨٦٦.
[٩] المصدر نفسه مج٢ ص ٨٦٧، والمرتضى، أماليه مج١، ص ١٦١(حاشية).

إرادة الحال، وفعل الحال إذا أقسم عليه دخلت عليه اللام وحدها"[١]. وهذا يعني أن اللام وحدها كافية إما على التعاقب عند الكوفيين أو على الحالية عند البصريين. وذكر العكبري هذه القراءة ﴿لأقسِمُ﴾ وخرّجها على وجهين:

"أحدهما: هي لام توكيد دخلت على الفعل المضارع كقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ﴾ وليست لام القسم، والثاني: هي لام القسم ولم تصحبها النون اعتمادًا على المعنى، ولأن خبر الله صدق فجاز أن يأتي من غير توكيد، وقيل شبهت الجملة الفعلية بالجملة الاسمية كقوله تعالى: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾[٢] وواضح أن تعليلات العكبري للوجه الثاني لا داعي لها مادامت اللام والنون راجحة لا لازمة كما أسلفت. ويظهر أن قراءة الحسن ﴿لأقسِمُ﴾ تشمل كل هذه الآيات إلا أن الرازي ذكرها في تفسير آية ﴿فَلاَ أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ﴾ أيضًا، قائلاً: "فيه وجوه منقولة ومعقولة غير مخالفة للنقل. أما المنقولة فأحدها أن (لا) ... أصلها (لأقسم) بلام التأكيد أشبعت فتحتها فصارت (لا) كما في الوقف"[٣]. وهذا يعني أن هذه القراءة (لأقسم) ردّ إلى الأصل ولكن ابن كثير ذكر ما يوحي بخلاف الاستنتاج حيث نسب قراءة ﴿لأُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ولا أقسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَامَةِ﴾ إلى الحسن والأعرج، قال الحسن أقسم بيوم القيامة، ونفي القسم بالنفس اللوامة[٤].

وإجمالا يكون عندنا ثلاثة آراء: أولها: أنها لام الابتداء دخلت على جملة اسمية. وثانيها: أنها دخلت على الفعل مباشرة، وهي واقعة في جواب القسم. والثالث: أنها لمجرد التأكيد. وقد اقتصر ابن الجزري على كونها للتأكيد[٥]. وقد ضعف الرازي هذه القراءة بقوله: "وأعلم أن هذا الوجه، ضعيف، لأن هذه القراءة شاذة ... وإلا لكان ذلك قدحًا فيما ثبت بالتواتر، وأيضًا فلا بد من إضمار قسم آخر لتكون هذه اللام جوابًا عنه فيصير التقدير: والله لأقسم بيوم القيامة"[٦].

---

[١] المرادي، الجني الداني (النص الأول ص ١٢٦ و(النص الثاني ص ١٢٧) . بقي شرطان من شروط وجوب التأكيد عند البصريين لم يذكرهما اكتفاء بالمثال، وهما الاستقبال والإثبات، فإن خالف فشاذ أو ضرورة عندهم.
[٢] العكبري، إملاء ما من به الرحمن مج٢، ص٢٧٤.
[٣] الرازي، التفسير الكبير مج ٢٩ ص ١٨٧.
[٤] ابن كثير، تفسير القران العظيم مج٤ ص ٤٤٨.
[٥] ابن الجزري، النشر في القراءات العشر مج٢ ص ٤٤٨.
[٦] الرازي، التفسير الكبير مج ٣٠، ص ٢١٥.

وتضعيف الرازي هذا ضعيف من وجهين: الأول: وصفه لقبول هذه القراءة الشاذة بأنه قدح بالقراءة المتواترة، وهذا شيء غير مسلم به، لأنه يفتح علينا باب الرفض لكل قراءة تكون أضعف من أختها حتى يصل بنا الأمر لقبول قراءة واحدة، ورفض ما سواها، بحجة أن قبول القراءة الضعيفة – والضعف متفاوت – قدح في القراءات التي تكون أقوى منها، وهذا مخالف لما عليه الأمة من قبول عدد من القراءات وبخاصة غير الشاذ منها. الثاني: قوله "لا بد من إضمار قسم آخر، لتكون هذه اللام جوابًا عنه، فيكون التقدير: والله لأقسم بيوم القيامة "فهو في هذا الاعتراض جعل اللام في قراءة الحسن لأقسم... جوابًا للقسم لا غير ثم قدره (والله)، ونسي الوجه الآخر الذي ساقه – ونقلته عنه قبل أسطر – من أن اللام هنا للابتداء لا لجواب القسم، ولما كانت لام الابتداء لا تدخل على الجملة الفعلية كما سبق ذكره عند الزمخشري فإن هذه اللام عند الرازي والزمخشري داخلة على اسم مبتدأ محذوف تقديره (لأنا)[1]، وجملة أقسم خبر ، فيكون من قبيل الإخبار لا الإنشاء، ثم لو جعلنا اللام في لأقسم جوابًا لقسم محذوف، وهو ما ذهب إليه في تضعيفه لقراءة الحسن وهو ظاهر ما ذهب إليه الهروي أيضًا حيث قال: فجعلها لاما دخلت على أقسم مثل: لأحلف بالله ليكونن كذا وكذا[2]، فما وجه الضعف في تقدير قسم آخر؟ أليس تقدير القسم الآخر بمنزلة تقدير المبتدأ المحذوف الذي قدّره؟

ثانيًا: رأي الأكثرية من أن (لا) في لاَ أُقْسِمُ في كل الآيات السابقات (صلة: زائدة ونسب هذا القول للبصريين، والكسائي، وعامة المفسرين[3]؛ ولكن: اختلف هؤلاء في فائدتها على قولين:

أحدهما: أنها زيدت توطئة وتمهيدًا لنفي الجواب، والتقدير لا أقسم بيوم القيامة لا يتركون سدى، ومثله فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ وقوله:

فَلاَ وأبيكِ ابنة العامريِّ لا يَدّعِي القَوْمُ أنِي أفِرّ[4]

---

[1] أبو علي الفارسي، المسائل العسكرية ص١٣٠ المبتدأ لا الخبر هو الذي يلزم أن يلحقه ما يربط المقسم عليه بالقسم من اللام أو إنْ ونحوهما.

[2] الهروي، الأزهية في حروف المعاني ص ١٦٦.

[3] الهروي، الأزهية في حروف المعاني ص ١٦٢، وقال الفراء، معاني القرآن مج ٣ص ٢٠٧ " لا القسم: كان كثير من النحويين يقولون (لا) صلة ".

[4] لامرئ القيس كما عند الزمخشري، الكشاف مج ٤ ص ١٨٩ وعدُ (لا) فيه نافيًا كما سيأتي.

وردّ بقوله تعالى: لاَ أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ فإن جوابه مثبت وهو: لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي كَبَدٍ ومثله: فَلاَ أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ [١]، فإن جوابه ...إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ وكل الآيات التي سقتها في مطلع البحث جوابها مثبت ما عدا لاَ أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ على أن بعضهم قدر جواب القسم هنا مثبتًا وهو قوله تعالى: إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ [٢]. وما عدا فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ التي نفي فيها الجواب صراحة من غير احتمال لتقدير مثبت. وذكر محمد بن المنير نحوًا مما ذكره ابن هشام قائلاً: "قال أحمد إن (لا) التي قبل (أقسم) زيدت توطئة للنفي بعده ... وأجاب بأنه لو قصر الأمر على النفي دون الإثبات لكان له مساغ، ولكنه ليس بقاصر عليه، ألا ترى .... لا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ ، لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي كَبَدٍ [٣]. والحق أنه قد تكرر (لا) هذه قبل القسم توطئة للجواب كقوله: لا والله لا يقوم زيد، قال الشاعر :

فخالف فلا والله تهبط تلعةً من الأرض إلا أنت للذل عارفُ

(ولا) محذوفة من الجواب، أي لا تهبط، لا على التقديم والتأخير كما زعم بعضهم، لأن التي للتوطئة مع التي للجواب، ألا ترى قول الشاعر :

فلا والله لا يلفى لما بي[٤] [ولا للما بنا أبدًا دواء]

ومثله قوله :

فلا والله لا يلقى أناس فتى حتاك يا ابن أبي يزيد[٥]

وقول الحطيئة :

فلا وأبيك ما ظلمت قريعٌ بأن يبنوا المكارم حيث شاءوا

فلا وأبيك ما ظلمت قريع ولا برموا لـذاك ولا أساءوا[٦]

---

[١] ابن هشام، مغني اللبيب مج١ ص ٢٤٩، وانظر أيضًا مج١ ص٢٣٠.
[٢] الهروي، الأزهية في حروف المعاني ص ١٦٦.
[٣] ابن المنير، الانتصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال مج٤ ص١٨٩.
[٤] المالقي، رصف المباني ص ٣٣١ والبيت الأول لمجهول، والأخير لمسلم بن معبد الوالبي، وهو له عند ابن يعيش، شرح المفصل مج٧ ص١٧ ومج٨ ص٤٣ ومج٩ ص١٥.
[٥] المالقي، رصف المباني ص٢٦١، وهو لمجهول.
[٦] الحطيئة، ديوانه ص ٥٥.

وقول حاتم الطائي:

فلا وأبيكِ ما يظل ابن جارتي　　　يطوف حوالي قدرنا ما يطورها[١]

ويماثل ذلك ما يُستأنس به من غير شواهد النحاة كقوله أبي تمام:

فلا وأبيك ما في العيش خير　　　ولا الدنيا إذا ذهب الحياء[٢]

وقول أبي الحسن علي بن جودي الأندلسي:

خليليَّ لا والله ما أحمل الهوى　　　وإن كنت في غير الهوى رجلا جلدا[٣]

وقول أبي تمام:

لا والذي هـــو عالـــم النـــوى　　　صبر، وأن أبا الحسين كريم

ما زلت عن سنن الوداد ولا غدت　　　نفسي على إلف سواك تحوم[٤]

وقول أبي تمام أيضًا:

لا والطلـول الدارسـات ألية　　　من معرق في العاشقين صميـم

ما حاولتْ عيني تأخر ساعة　　　بالدمع مذ صار الفراق غريمي[٥]

ويلاحظ فيها أن النفي تكرر غير مقيد بـ(لا) بل اشتركت (ما) النافية مع (لا).

وثانيهما: "أنها زيدت لمجرد التوكيد، وتقوية الكلام"[٦]. وينظرون لذلك بزيادة (لا) في غير القسم، كما في الآيات :

ما مَنَعَك أنْ لا تَسجُدَ [١٢-الأعراف] معناه: أن تسجد و(لا) صلة زائدة، وقال: ولا تَسْتَوي الحَسَنةُ ولا السَّيِّئَة [٣٤- فصلت][٧]، وقال: لِئلا يَعْلَمُ أهلُ الكِتَابِ [٢٩- الحديد]. معناه: لأن يعلم أهل الكتاب، ولا زائدة، وقال: وَحَرَامٌ عَلَى

---

[١] حاتم الطائي، ديوانه ص ٤٧.
[٢] ابن عبد ربه، العقد الفريد مج٢ ص ٢٥٣.
[٣] المقري، نفح الطيب مج٩ ص٢٦٨.
[٤] الصولي، شرحه لديوان أبي تمام مج٢ ص٤١٩.
[٥] المصدر نفسه مج٢ ص ص ٤٣٩-٤٤٠.
[٦] ابن هشام، مغني اللبيب مج١ ص ٢٤٩.
[٧] لم يعين الزائدة هنا، والقياس أنها في (ولا السيئة) فيكون المعنى: لا تستوي الحسنة والسيئة.

قَرْيَـةٍ أَهْلَكْنَاهَـا أَنَّهُـمْ لاَ يَرْجِعُـونَ [٩٥- الأعـراف] معنـاه: أنهـم يرجعـون، ولا صـلة ..."[١].

تلك نماذج من الآيات التي نظر بها أصحاب الرأي، أما تنظيراتهم الشعرية في هذا، فقد أورد الهروي عددًا منها :

قول العجاج :

في بئرٍ لا حور سرى وما شعر

... و(لا) صلة. وقال آخر: [وهو أبو النجم العجلي]

وما ألوم البيض أن لا تسخرا   وقد رأين الشمط القفندرا

... و(لا) زائدة ... وقال آخر: وهو الأحوص:

مخافة أن لا يجمع الله بيننا   ولا بينها أخرى الليالي الغوابر

معناه: أن يجمع الله بيننا وبينها، و(لا) زائدة ملغاة. وقال الأحوص:

ويلحينني في اللهو أن لا أحبه   وللهو داع دائب غير غافلِ

معناه: أن أحبه، و(لا) زائدة ... وقال الشماخ في مثله:

أعائش ما لأهلك لا أراهم   يضيعون الهجان مع المضيع

أراد مـا لأهلـك أراهـم يـضيعون، ولا زائـدة ... وقـد جـاءت (لا) زائـدة فـي الـشعر كثيرا"[٢].

ومن تنظير الزمخشري قول غوية بن سلمى:

ألا نادت أمامة باحتمال   لتحزنني فلا بك ما أبالي[٣]

وأورد آخر :

---

[١] الهروي، الأزهية في حروف المعاني ص ص ١٦٠-١٦١، والمرادي، الجنى الداني ص٣٠٣، عدا آية لا تستوي الحسنة ولا السيئة وفضل تأويلها على القول بزيادتها، المبرّد، المقتضب مج١ ص٤٧ ومج٢ ص٣٢ ومثل بآية لئلا يعلم أهل الكتاب وكذلك ابن هشام، مغني اللبيب مج١ ص ٢٤٨، والعكبري إملاء ما من به الرحمن مج٢ ص ٢٧٤، ومثل السيوطي، الإتقان مج١، ص ص ١٧١-١٧٣ بـ ما منعك ألا تسجد و أن لا تتبعن و لئلا يعلم أهل الكتاب و أن لا تشركوا و أنهم إلينا لا يرجعون وذكر خلافًا فيها.

[٢] الهروي، الأزهية في حروف المعاني ص ص ١٦٤- ١٦٦، والمرادي، الجنى الداني ص ص ٣٠٣-٣٠٤ حيث ذكر ثلاثة أبيات منها، وزاد رابعًا تركته للخلاف فيه. وقول العجاج: في بئر لا حور: أي في بئر هلاك، وعند الجوهري، الصحاح (هامش) مج٦ ص ٢٥٥٣ قال الفراء: (لا) جحد محض في هذا البيت وقدره في بئر ماء لا يُحيرُ عليه شيئًا، أي لا يردّ عليه شيئًا. والقفندر في بيت أبي النجم: القبيح.

[٣] الزمخشري، الكشاف مج٤ ص١٨٩ ولكنه عد (لا) نافية؛ لأنه لا يراها زائدة كما سيأتي، وابن يعيش، شرح المفصل مج ٩ص١٠١.

رأى برقًا فأوضع فوق بكرٍ   فلا بك ما أسال وما أغاما[١]

وقد اعتراض بعض العلماء على ذلك كالفراء قائلاً إنه: "لا يبتدأ بجحد ثم يجعل صلة يراد به الطرح، لأن هذا لو جاز لم يعرف خبر فيه جحد من خبر لا جحد فيه"[٢]، ووافقه الزمخشري بقوله: "وفائدتها [أي لا] توكيد القسم، وقالوا إنها صلة ... واعترضوا عليه بأنها إنما تزاد في وسط الكلام لا في أوله ... والاعتراض صحيح"[٣]، وكذلك المالقي حيث قال: "وهو [أي كونها نافية] أولى من أن تجعل (لا) زائدة في أول الكلام، إذ الزيادة مع التقديم متناقضان، إذ لا يقدم لفظ بابه التأخير إلا اعتناء به، واعتمادًا عليه، ولا خفاء بتناقض هذا مع أرادة زواله"[٤]، ويذكر ذلك ابن هشام، ولكن بتفصيل أكثر فيقول: "ورد بأنها لا تزاد لذلك صدرًا، بل حشوًا، كما أن زيادة (ما) (وكان) كذلك .... وذلك لأن زيادة الشيء تفيد اطراحه، وكونه أول الكلام يفيد الاعتناء به قالوا ولهذا تقول بزيادتها في نحو فلا أقسم برب المشارق والمغارب ، فلا أقسم بمواقع النجوم ، لوقوعها بين الفاء ومعطوفها، بخلاف هذه، وأجاب أبو علي ... من أن القرآن كالسورة الواحدة"[٥]. وهذا يعني أن أبا علي يقول بزيادتها في نحو: لا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ، لا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ ، لأنها ليست في بداية الكلام حيث سُبقت بآيات أخرى من القرآن، وإن كانت من سور أخرى. أما الرازي فيروي مطلع بيت امرئ القيس السابق من غير فاء العطف أي (لا وأبيكِ ابنة العامري ...) وعلى ذلك يرى أنه زاد (لا) في أول الكلام، وفيه رد على من قال إنها لا تزاد في أول الكلام، ثم إن (لا) في بيت امرئ القيس قبل قسم جوابه منفي، و(لا) في القرآن وردت في آيات عدة قبل قسم جوابه مثبت، (فتشبيه أحدهما بالآخر غير جائز ... فظهر أن البيت المذكور ليس من هذا الباب) . ويضيف أيضًا أن سور القرآن كلها كلام واحد فليست (لا) في بداية الكلام في الآيات، ولكنه يضعّف القول بزيادتها من جهة أخرى غير ذلك وهي "أن تجويز هذا يفضي إلى ... جعل النفي إثباتًا، والإثبات

---

[١] ابن يعيش، شرح المفصل مج٩ ص١٠١.

[٢] الفراء، معاني القرآن مج٣ ص٢٠٧، وقد أشار إلى رأيه هذا الهروي ، الأزهية في حروف المعاني ص١٦٤.

[٣] الزمخشري، الكشاف مج ٤ص١٨٩.

[٤] المالقي، رصف المباني ص٣٣٢.

[٥] ابن هشام، مغني اللبيب مج١ ص ٢٤٩، وانظر: السيوطي، الإتقان مج١ ص١٧١.

نفيًا"، ويردف بـ"أن المراد من قولنا (لا) صلة أنه لغو باطل ... ومعلوم أن وصف كلام الله تعالى بذلك لا يجوز"[١]. وكلام الرازي فيه نظر من وجوه عدة:

١- قوله إن امرأ القيس أتى بـ(لا) في بيته السابق في أول الكلام. وكلامه هذا مبني على روايته البيت (لا وأبيك ...) وهي رواية لبعض العلماء غيره أيضًا[٢]، ولكن هناك رواية أخرى بلفظ (فلا وأبيك ..)[٣]. وعلى أساس هذه الرواية الأخيرة لا تكون (لا) في أول الكلام؛ لأنها سبقت بالفاء، وحينئذ لا دليل فيه على زيادة (لا) في أول الكلام، على أن رواية (فلا وأبيك ...) تفضل رواية (لا وأبيك ...)؛ لأن رواية (فلا ...) هي الأصل، وروايته من غير فاء يكون البيت مخرومًا، وعدم الخرم أولى .

٢- قوله: إن بيت امرئ القيس في مقام الجواب المنفي، وفي القرآن في عدة آيات الجواب فيها مثبت فلا مشابهة. وهذا صحيح إلى حد ما، ولكن البيت يشبه قوله تعالى ﴿ فَلاَ ورَبِّكَ لا يُؤمِنُونَ حتَّى يُحَكِّمُوك ... وقوله تعالى لا أُقْسِمُ بِيَومِ القِيَامَةِ ... ﴾ إذا كان تقدير الجواب (لا يتركون سدى) وعليه الأكثرون، أما إذا كان الجواب قوله تعالى إنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وقُرآنهُ كما سبق فالجواب مثبت.

٣- قوله: إن القول بزيادة (لا) في الآيات لا يجوز في القرآن، لأن معنى الزيادة لغو باطل، ثم إنه يلبس النفي بالإثبات، والإثبات بالنفي. فأما القول إن الزيادة تعني اللغو الباطل فيظهر أنه محمول على تجريد الزيادة من أي معنى تؤديه والعلماء قالوا إن زيادتها للتمهيد لنفي جواب القسم للشبه بين (لا) الزائدة، و(لا) النافية، أو لمجرد التوكيد وتقوية الكلام كما سبق.

وأما القول بإلباس المنفي بالموجب، والموجب بالمنفي، لأن (لا) الزائدة قد تشبه بالنافية، فجوابه أن القرآن جاء بلسان العرب، وقد مرَّ عدد من الشواهد زيدت فيها، ولم يرد النفي؛ لأن المقام لا يناسبه، ثم إن القسم له خصوصيته، وسوف يأتي في القسم حذف (لا) وما أشبهها، مع أن الكلام موجب وقياس الضدّية عندهم مقبول[٤]، وعدا

---

[١] الرازي، التفسير الكبير مج٣٠ ص ٢١٤ بتصرف.

[٢] انظر، التنوخي، القوافي ص ٩٤ وفيها أن بعض النسخ (وأبيك) من غير (لا). والزمخشري، الكشاف مج ٤ ص ١٨٩ (لا وأبيك).

[٣] انظر: التنوخي، القوافي ص ١٣٧ (وفي الحاشية بعده له رواية أخرى)، والسندوبي، شرح ديوان امرئ القيس ص ٩٤ (فلا ...).

[٤] ابن مالك الابن، شرحه على ألفية أبيه ص ٧٠ (والشيء قد يحمل على ضده كما يحمل على نظيره؛ لأن الوهم ينزل الضدين منزلة النظيرين، ولذلك تجد الضد أقرب حضورًا في البال مع الضد).

هذا وذاك فالأكثرون يقولون بوقوع (لا) زائدة في القرآن كما سبق، وقليلون كرهوا ذلك كالرازي هنا، والمرادي الذي فضل تأويلها على القول بزيادتها. وللأكثرية الترجيح من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن تكرار حرف النفي لصغره، وأهمية وظيفته يكرر في كثير من اللغات كالإنجليزية والفرنسية والألمانية والإغريقية قديمها وحديثها، وفي اللغات الإفريقية البدائية، وورد تكرارها زائدة في الكتاب المقدس (قبل ألا ينْزل بكم غضب الرب) أي قبل أن ينْزل فـ(لا) زائدة، والكلام العربي الذي نزل به القرآن (شاعت فيه ظاهرة نفي النفي لمجرد تأكيد النفي، وأن العربي القديم لم يعمد إلى هذا إلا لحرصه على إظهار معنى النفي، وتوضيحه، لاستصغار أداة النفي التي كانت مجرد (لا، أو ما، أو إن)[١].

ثالثًا: رأي الفراء ومن تابعه، وهو أن (لا) في الآيات السابقات للنفي يقول الفراء: "القرآن جاء بالرد على الذين أنكروا البعث ... فجاء الإقسام بالرد عليهم ... ألا ترى أنك تقول مبتدئًا: والله إن الرسول لحق، فإذا قلت: لا والله إن الرسول لحق، فكأنك كذبت قومًا أنكروا، فهذه جهة (لا) مع الإقسام، وجميع الأيمان في كل موضوع ترى فيه (لا) مبتدأ بها، وهو كثير في الكلام"[٢]. وقال الهروي بعد أن نقل رأي الفراء "قال أبو بكر الأنباري: فعلى مذهبه [أي الفراء] يحسن الوقوف على لا"[٣]، كما نقل ابن هشام رأي الفراء من غير عزو، وقال: إن المنفي "شيء تقدم، وهو ما حكي عنهم كثيرًا من إنكار البعث، فقيل لهم ليس الأمر كذلك، ثم استؤنف القسم، قالوا: وإنما صح ذلك؛ لأن القرآن كله كالسورة الواحدة"[٤]، وقال العكبري: "لا رد لكلام مقدر ، لأنهم قالوا أنت مفتر على الله في قولك نبعث، فقال: لا، ثم ابتدأ فقال: أقسم وهذا كثير في الشعر"[٥]، أما الزمخشري فذكر رأي الفراء مؤخرًا عن رأيه، ومن غير عزو أيضًا، وقدم رأيه الذي يقول فيه: "والوجه أن يقال هي للنفي، والمعنى في ذلك أنه لا يقسم بالشيء إلا إعظامًا له بذلك، عليه قوله تعالى ﴿فَلا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ﴾ .. فكأنه بإدخال حرف النفي يقول: إن إعظامي له بإقسامي به كلا إعظام، يعنى أنه يستأهل فوق ذلك"[٦]، ونقل ابن هشام رأي الزمخشري هذا بعد رأي الفراء، وقال ابن هشام إن

---

[١] أنيس، من أسرار اللغة (بتصرف) ص ١٦٥، ١٦٦، ١٦٩.
[٢] الفراء، معاني القرآن مج٣ ص٢٠٧.
[٣] الهروي، الأزهية في حروف المعاني ص ١٦٤.
[٤] ابن هشام، مغني اللبيب مج١ ص٢٤٩.
[٥] العكبري، إملاء ما من به الرحمن مج٢ ص٢٧٤.
[٦] الزمخشري، الكشاف مج٤ ص ١٨٩.

هـذا يعنـي "أن منفيهـا أقـسم، وذلـك علـى أن يكـون إخبـارًا لا إنـشاءً اختـاره الزمخشري"[١]، وهذا الرأي منسوب للزمخشري نقله الرازي ورجحه بقوله: "وقيل: إن (لا) ههنا لنفي القسم، كأنه قال: لا أقسم عليكم بذلك اليوم ... وهذا القول اختيار أبي مسلم، وهو الأصح"[٢]، كما أشار إليه العكبري من غير عزو، فقال: "هي نفي للقسم بها كما نفي القسم بالنفس"[٣]. ويوافق المالقي على كون (لا) نافية، ويختار ذلك، لكنه لا يوافق الفراء كل الموافقة فيقول: "وربما نابت (لا) النافية مناب كلام متقدم عليها تقتضي نفيه مقدرًا لدلالة ما بعده عليه ... ومن ذلك قوله تعالى: لا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ، ولا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ كأنها رد، لمن قال: لا تجتمع عظام الإنسان، ولا تخلق مرة ثانية، ولمن قال: (لا يخلق الإنسان في كبد) وكأن المعنى ليس الأمر كما تقولون، ثم أقسم بعد ذلك"[٤]. فزاد دلالة ما بعد القسم على المنفي المقدر من كلام متقدم. وعلى الرغم من أن الرازي سبق وصفه للقول بأن (لا) لنفي القسم (هو الأصح) إلا أنه انتقد كونها لنفي غير القسم فقال: "فيه إشكال، لأن إعادة حرف النفي مرة أخرى في قوله: وَلا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ، مع أن المراد ما ذكروه، تقدح في فصاحة الكلام"[٥]. وهو انتقاد غير واضح إذ ما الفرق في الفصاحة بين تكرر (لا) النافية للقسم نفسه، وتكررها لنفي كلام سابق مع تكرر القسم، واختلاف المقسم به، والمعقول أن تكررها لنفي كلام سابق في القرآن الذي هو كالسورة الواحدة، وإثبات القسم على ذلك مكررًا آكد، وأقرب مأخذًا من كونها نافية للقسم.

القضية الثانية: حذف أداة النفي مع بقاء عملها

وردت هذه الظاهرة بصورة صريحة في آية تَاللهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ [٨٥-يوسف]، أي: (لا تفتأ) كما وردت بصورة محتملة في آية أخرى يُبَيِّن اللهُ لَكُم أن تَضِلُّوا قال بعضهم: (لِئلا تَضِلُّوا)[٦]. وهو حذف لم يتقدمه قسم أو مناشدة.

---

[١] ابن هشام، مغني اللبيب مج١ ص ٢٤٩، وانظر السيوطي، الإتقان مج١ ص ١٧١.
[٢] الرازي، التفسير الكبير مج٢٠ ص ٢١٥، وأبو مسلم لعله صاحب التفسير، أبو مسلم بن بحر.
[٣] العكبري، إملاء ما من به الرحمن، مج٢ ص ٢٧٤.
[٤] المالقي، رصف المباني، ص ٣٣٢.
[٥] الرازي، التفسير الكبير، مج٣٠، ص ٢١٥.
[٦] ابن هشام، مغني اللبيب مج٢، ص ٦٣٨. أما الآية (٥٩) من سورة الأحزاب (ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين) فحذف (لا) على تقدير: أن لا يعرفن، فاحتمال ضعيف.

يقول الفراء: "قالوا: تالله تفتأ معناه لا تزال تذكر يوسف، و(لا) قد تضمر مع الأيمان؛ لأنها إذا كانت خبرًا لا يضمر فيها (لا) لم تكن إلا بلام ألا ترى أنك تقول: والله لآتينّك، ولا يجوز: والله آتيك، إلا أن تكون تريد (لا) فلما تبين موضعها وقد فارقت الخبر أضمرت. قال امرؤ القيس:

فقلت يمين الله أبرح قاعدًا ولو قطعوا رأسي لديكِ وأوصالي

وأنشدني بعضهم:

فلا وأبي دهماء زالت عزيزة على قومها ما فتل الزند قادحُ

يريد: لازالت"[١]. وكلام الفراء مفهوم المعنى، على الرغم من قلق عبارة "لأنها إذا كانت خبرًا لا يضمر فيها (لا) لم تكن إلا بلام"، وكنت أظن فيها سقطًا حتى رأيت البغدادي نقل النص السابق كما هو[٢]. وهذا مبنى على أن (تفتأ وأبرح وتزال وتنفك) لا تكون إلا بجحد ظاهر أو مضمر وقيل إنما اشترط فيها ذلك، لأنها للنفي، وإذا دخل عليها نفي انقلبت إثباتًا[٣]. وهذا البيت: فلا وأبي الدهماء ... الذي رواه الفراء، ذكر فيه البغدادي آراءً أخرى فقال: "فصل بالجار والمجرور -أعنى الجملة القسمية وهو وأبي دهماء– بين لا النافية، وبين زالت، وهذا الفصل شاذ، وإليه ذهب ابن هشام في المغني، إلا أنه لم يقيده بالشذوذ، ولا بالقلة، وكأنه مطرد عنده قال ... ويفصل بين حرف النفي ومنفيه كقوله:

ولا أراها تزال ظالمة [تحدث لي قرحة وتنكؤها]

وقوله: فلا وأبي الدهماء زالت عزيزة. قال شارحه ابن الملا الحلبي: ويجوز أن تكون (لا) ردًا، أو حرف النفي محذوفًا، ولا: اعتراض ... [ثم قال] وقد جعله ابن عصفور من باب حذف النافي وهو ما ... وهو قليل جدا"[٤]. وبعضهم جعل البيت (فلا وأبي الدهماء زالت عزيزة) من باب الحذف لكنه حكم عليه بالشذوذ لكون (لا) المحذوفة هنا داخلة على ماض لا مضارع[٥]. "قال أبو القاسم ... والعرب تضمر (لا) في القسم مع

---

[١] الفراء، معاني القرآن مج٢، ص٥٤.

[٢] البغدادي، خزانة الأدب مج٤ ص٤٦.

[٣] انظر: الرازي، التفسير الكبير، مج ١٨ ص١٩٦، والبغدادي، خزانة الأدب، مج٤ ص ٤٦، والجرجاوي، شرح شواهد ابن عقيل ص٤٤.

[٤] البغدادي، خزانة الأدب مج٤ ص ص ٤٥-٤٦، وانظر: السيوطي، همع الهوامع مج٢ ص ٦٦ وذكر المحقق البيت الأول هكذا:

لعمر أبي دهماء زالت عزيزة عليّ وإن قد قل منها نصيبيا

كما نسب فيه البيت الثاني (ولا أراها ... تنكؤها) لابن هرمة .

[٥] انظر، البغدادي خزانة الأدب مج٤ ص٤٨.

المنفي، لأن الفرق بينه وبين الموجب قد وقع بلزوم الموجب اللام والنون، كقولك: والله لأخرجنّ وقال الله عز وجل ﴿تَاللهِ تَفتَأُ تَذْكُرَ يُوسُفَ﴾ أي لا تفتأ تذكر يوسف"[١].

وقال الرازي: "قال النحويون: وحرف النفي ههنا يشير إلى آية (تفتأ تَذْكُرُ) مضمر على معنى قالوا: ما تفتأوا، وجاز حذفه لأنه لو أريد الإثبات لكان باللام والنون، نحو: والله لنفعلنّ، فلما كان بغير اللام والنون عرف أن كلمة (لا) مضمرة، وأنشدوا قول امرئ القيس: فقلت يمين الله أبرح ... والمعني لا أبرح قاعدًا، ومثله كثير"[٢]. وأنشد أبو علي الفارسي قول المتلمس:

آليت حب العراق الدهر أطعمه والحب يأكله في القرية السوسُ

فقال: كان المتلمس أقسم أن لا يطعم حب العراق فحذف (لا) كما حذفت من قول أمية بن أبي عائذ الهذلي أو غيره:

تالله يبقى على الأيام ذو حَيَدٍ بمشمخرّ به الظيان والآس[٣]

ويقول الجرجاني: "وقد تحذف (لا) في النفي من اللفظ، وهو مقدر في المعنى وذلك قولهم: والله أفعل، يريدون به لا أفعل:

تالله يبقى على الأيام مبتقل جون السراة رباع سنه غرد

وجاز حذفها للدلالة عليها، ألا ترى أنه لو كان إيجابًا لم يخل من اللام، أو من النون، أو منهما جميعًا"، ويقول أيضًا: "ويحذف (لا) لدليل الحال عليه كقوله عز وجل: ﴿تَاللهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ﴾ المعنى: لا تفتأ، وكذا قول الشاعر:

تالله يبقى على الأيام

التقدير: لا يبقى ...

ولو كان يصلح الموضع للإيجاب لوجب أن يكون فيه اللام نحو: تالله ليبقى كما تقول: تالله ليخرجُ زيد، ولا تقول: تالله يخرج زيد غدًا"[٤].

---

[١] الزجاجي، أماليه ص٧٨.

[٢] الرازي، التفسير الكبير مج١٨، ص ص ١٩٦-٤٩٧.

[٣] أبو علي الفارسي، المسائل البصريات (بتصرف) مج٢ ص ٩١٤، ومج ٢ص٩١٦، والحَيَد: عقد في قرون الوعل، والظيان، ياسمين البر، والآس: الريحان. وابن هشام، مغني اللبيب، البيت الأول مج١ ص٢٤٥، والبيت الثاني مج٢ ص٢١٤ برواية (لله) وجعله لذلك للقسم والتعجب .

[٤] الجرجاني، المقتصد (النص الأول مج٢ ص٨٦٦) والنص الثاني مج٢ ص٨٦٧)، والبيت الذي ذكره لأبي ذؤيب الهذلي، والبيت عند ابن يعيش ، شرح المفصل مج ٩ ص٨٩.

ويستعمل المالقي في حذف (لا) هنا كلمة (ربما) حيث يقول: "وتلزم [أي لا] القسم جوابا له، وربما حذفت للدلالة في القسم، إذ جواب القسم في الإيجاب: باللام والنون، فيقال: تالله لا يقوم زيد، قال الله تعالى: ﴿تفتأُ تذْكُرَ يُوسُفُ﴾ أي: لا تفتأ، لأنه الأصل"[١]. وعند الزمخشري: "تفتأ: أراد لا تفتأ فحذف حرف النفي، لأنه لا يلتبس بالإثبات، لأنه لو كان إثباتًا لم يكن بدّ من اللام والنون، ونحوه. فقلت يمين الله أبرح قاعدا"[٢].

وينقل أبو حيان قائلاً: "وفي النهاية يجوز والله قام زيد، يريد: والله لا قام زيد، لأنه لو كان إيجابًا لم يخل من اللام أو قد أو كليهما"، ثم يردف "وإن كان مستقبلاً نفي بلا، ثم إنه إن كان جواب قسم ملفوظ به أو مقدر جاز حذف لا، كقوله تعالى: ﴿تالله تفتأُ تَذْكُرَ يُوسُفُ﴾ أي لا تفتأ، وكقول الشاعر:

وقولي إذا ما أطلقوا عن بعيرهم ... تلاقونه حتى يؤوب المنخّلُ

أي: لا تلاقونه. فإن كان النفي بلا دخلت عليه نون التوكيد كقوله:

تالله لا يحمدن المرء مجتنبًا ... فعل الكرام، وإن فاق الورى حسبا

فلا يجوز حذف لا"[٣].

فظاهر كلام أبي حيان أن جملة (تلاقونه) أي لا تلاقونه جواب قسم تقديره مثلاً (والله لا تلاقونه)، وهو ما صرّح به من أنه لا تحذف (لا) إلا في جواب القسم، وهو احتمال مقبول، حيث العرب لما كثر القسم عندهم أكثروا التصرف فيه، وتوخّوا ضروبًا من التخفيف منها الحذف، لعلم المخاطب بالمراد"[٤]. ولكنه في اعتقادي لا يلزم أن يكون جواب قسم، والأبيات السابقة ذكر فيها القسم صريحًا عدا هذا البيت المشار إليه. وبيت ابن هرمة (ولا أراها تزال ظالمة) فإن عدم وجود القسم وارد. وسيأتي من أن (لا) حذفت في كلامهم في غير القسم، كما ربط أبو حيان بين وجود (لا) في جواب القسم قبل الفعل المضارع ووجود نون التوكيد فيه، بحيث إذا لحقته نون التوكيد لا يجوز حذف (لا) كما هو سائغ في جواب القسم المضارع المجرد من نون التوكيد. وقد مر معنا في القضية الأولى أن لام القسم –وهي غير لا النافية هنا

---

[١] المالقي، رصف المباني ص٣٣٠.
[٢] الزمخشري، الكشاف مج٢ص ٣٣٩.
[٣] أبو حيان، ارتشاف الضرب مج٢ ص٤٨٨، والبيت الأول في النص للنمر بن تولب ، والبيت الثاني لمجهول.
[٤] انظر، ابن يعيش، شرح المفصل مج٩، ص ص ٩٣-٩٤.

ولكن من باب التنظير– قد تدخل على المضارع من غير نون التوكيد (تالله ليبقى) وأنهما يجوز أن يتعاقبا عند الكوفيين (تالله يبقين)، وعند البصريين يتلازمان (تالله ليبقينّ) بشرط مباشرة اللام الفعل. ومن شواهد النحاة في حذف (لا) إذا وقعت نافية للفعل المضارع الواقع جوابًا للقسم قول عبد بني الحسحاس:

وقد أقسمت بالله يجمع بيننا   هوى أبدا حتى تحول أمردا

أي: لا يجمع بيننا[١]. وقد حذفت (لا) مع الفعل الماضي، وهو قليل. لمجهول:

فإن شئت آليت بين المقـا   م والركن والحجر الأسود

نسيتك ما دام عقلي معي   أمـدَّ بـه أمـــــد السرمـد

أي لا نسيتك[٢].

وقول عمر بن أبي ربيعة :

تالله أنســى حبهــا   حيــاتنا أو أقبــرا

يريد: لا أنسى[٣].

وقول ليلى الأخيلية :

أقسمت أبكي بعد توبة هالكا   وأحفل من دارتْ عليه الدوائرُ

أي لا أبكى بعد توبة هالكا[٤].

وقول هاني بن قبيصة في يوم ذي قار :

أقسم بالله نسلم الحلقه   ولاحُريقا وأخته حُرقه

أي لا نسلم حريقًا وحرقة ابني النعمان[٥].

وقول ليلى زوج سالم بن قحفان :

حلفت يمينًا يابن قحفان بالذي   تكفّل بالأرزاق في السهل والجبلْ

تزال حبــال مبرمـات أعدّها   لها ما مشى يومًا على خفّه الجملْ

---

(١) الزجاجي، أماليه ص٧٦.
(٢) ابن هشام، مغني اللبيب مج٢، ص٦٣٧.
(٣) انظر: عبد الحميد، منحة الجليل مج١، ص٢٦٥.
(٤) المبرد، الكامل مج٢، ص٣٦٧، والزجاجي، أماليه ص ٧٨، والحصري، زهر الآداب مج٤، ص٨٥.
(٥) البغدادي، خزانة الأدب مج٣، ص ١٨١.

أي لا تزال[١].

ومثله ما أنشده القالي عن ابن الأعرابي :

يمينا أرى من آل زبّان وابرًا فيغلت مني دون منقطع الحبل

"والفعل منفى في جواب القسم، أي لا أرى"[٢].

وقال نُصيب:

تالله أنسى مصيبتي أبدًا ما أسمعتني حنينها الإبلُ

يريد لا أنسى[٣].

وإذا تقدمت (لا) على القسم سهل حذف (لا) من جواب القسم قال (مجهول):

فلا والله نادي الحي قومي طوال الدهر ما دُعي الهديلُ

أي لا نادي[٤].

وقال عبد الله بن قيس الرقيات :

وَاللَهِ أَبرَحُ في مُقَدَّمَةٍ أهدي الجُيوشَ عَلَيَّ شِكَّتَيه

يريد: لا أبرح[٥].

وهذان البيتان، وبيت عمر بن أبي ربيعة لم أرها فيما رجعت إليه من كتب النحو عند غير صاحب منحة الجليل، مما يرجح أنها جديدة من مطالعاته، على أنه في كتابه (الانتصاف) ذكر عددًا من الأبيات المتداولة في كتب النحو، ولم يذكر من هذه سوى بيت ابن قيس الرقيات[٦].

شواهد أخرى:

ومن الشواهد غير المتداولة في كتب النحو على حذف (لا) قبل الفعل المضارع الواقع جواب قسم ما يأتي:

---

(١) المصدر نفسه مج٤، ص ص ٤٨-٤٩ ومبرمات: محكمات، وأعدها: أهيئها. وضمير (لها) يعود إلى الإبل في بيت قبله.

(٢) المصدر نفسه مج٣، ص ٢٩٨.

(٣) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني مج١، ص ١٣٩، وعبد الحميد منحة الجليل مج١ ص٦٥.

(٤) ابن هشام، مغني اللبيب مج٢، ص ٦٣٧.

(٥) انظر، عبد الحميد، منحة الجليل مج١، ص٢٦٥.

(٦) عبد الحميد، الانتصاف من الإنصاف، مج٢، ص٨٢٥.

أ- شواهد نثرية: منها ما ورد عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما في مخاطبة الحطيئة بشأن الزبرقان ورهطه: "أقسمت عليك أن تقول إلا خيرًا. قال أفعل"[١]. أي أن لا تقول وهذا في القسم .
أما في المناشدة – وهي بمنزلة القسم- فيكون الحذف في النثر أكثر والمناشدة مأخوذة من "نشدت فلانًا أنشُدُهُ نشدًا إذا قلت له: نشدتك الله، أي سألتك بالله كأنك ذكرته إياه فنشد أي تذكر"[٢]، ومن ذلك قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه في وصيته لمن أسند إليهم اختيار الخليفة: "أنشدك الله يا علي إن وليت من أمور الناس شيئًا أن تحمل بني هاشم على رقاب الناس، أنشدك الله يا عثمان إن وليت من أمور الناس شيئًا أن تحمل بني أبي معيط على رقاب الناس، أنشدك الله يا سعد إن وليت من أمور الناس شيئًا أن أتحمل أقاربك على رقاب الناس"[٣]، ومن ذلك قول روح بن زنباع – وقد آلمته السياط – لمعاوية رضي الله عنه: "نشدتك الله يا أمير المؤمنين أن تهدم مني ركنًا أنت بنيته ..."[٤]. أي لا تهدم. وقول أم محمد بنت مروان بن الحكم لعمر بن أبي ربيعة: "نشدتك الله أن تشهرني بشعرك، وبعثت إليه بألف دينار، فقبلها وابتاع بها حللاً وطيبًا، فأهداه إليها، فردته، فقال لها: والله لئن لم تقبليه لأنهينه فيكون مشهورًا، فقبلته"[٥]، فيكون المعني: أن لا تشهرني. ومثله قول فاطمة بنت عبد الملك بن مروان لعمر بن أبي ربيعة: "قولي له: نشدتك الله والرحم أن فضحتني، ويحك ما شأنك، وما الذي تريد؟ انصرف ولا تفضحني"[٦]. وواضح أن المعنى: أن لا تفضحني، وإن عبرت بالماضي، ومنه قول الحريش بن هلال للمهلب بن أبي صفرة: أنشدك الله أيها الأمير أن تقاتلهم إلا أن يقاتلوك، فإن بالقوم جراحًا"[٧]. يريد أن لا تقاتلهم. وهذه كلها في عصور الاستشهاد. كما ورد عن أسير لمعن بن زائدة (ت١٥١هـ) قوله: "يا أخا شيبان: نناشدك الله أن تقتلنا عطاشا. فقال: أسقوهم .."[٨]. فإذا كان هذا الأسير بدويًا

---

[١] أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني مج٢،ص٥٦.
[٢] الجوهري الصحاح (نشد) مج٢، ص ٥٤٣.
[٣] الطبري، تاريخ الرسل والملوك مج٤ ، ص ١٩٢، وفي المصدر نفسه مج ٤، ص ٤٣٤ ورد في قضية بيعة الإمام علي قولهم: "ننشدك الله أن لا ترى ما نرى ألا ترى الإسلام! ألا ترى الفتنة! ألا تخاف الله!"، فزادوا (لا) في (أن لا ترى) وهو عكس حذفها.
[٤] الزجاجي، أماليه ص٧.
[٥] أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني مج١ ، ص ٦٧.
[٦] المصدر نفسه مج١ ، ص٧٦.
[٧] المبرد، الكامل مج٢ ، ص٢٣١.
[٨] المرتضى، أماليه مج١ ، ص ٢٢٦.

كآسره معنٍ فهو حجة. وهو نص قد ورد في كتاب أقرب إلى النحو. وآثرت إدراجه هنا لمناسبته لما قبله.

ب- شواهد شعرية: قال العباس بن مرداس السلمي:

فدى لك أمي إن ظفرت بقتله وأقسم أبغي عنك أمًا ولا أبا[١]

يريد: لا أبغي.

قال محمد بن حازم الباهلي، وهو بصري حضري لا يستشهد به، وإنما يستأنس به:

آليت أشرب كأسًا ماحج لله ركِبُ[٢]

أي: لا أشرب.

وقالت حبيبة بنت عبد العزى العوراء:

أولي على ملك الطعام ألية أبدًا ولكني أبين وأنشدُ

قال التبريزي: (أولي) لا أولى، من الإيلاء، وهو الحلف وحذف حرف النفي لأمن اللبس[٣]، وهذا على توجيه والله لا أولي.

وقال آخر:

والله يشفي ذات نفسي حاجمُ أبدًا ولا مما إخال لدود

أي: لا يشفي[٤].

وقال عمرو بن كلثوم التغلبي، وقد حلف أن يشرب الخمر صرفًا على غير طعام:

معاذ الله يدعوني لحنثٍ ولو أقفرت أيامًا قتار

أي: لا يدعوني[٥].

ولأبي حنبل جارية بن مر الطائي، وقد أجار أمرأ القيس:

لقد آليت أغدر في جذاع ولو منيت أمات الرباع

أي: لا أغدر[٦].

وقال آخر:

لعمرك أنسى روعتي يوم أقتدٍ وهل تتركن نفس الأسير الروائعُ

---

[١] أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني مج١٣، ص٦٦.

[٢] المصدر نفسه مج١٢، ص١٦٠ .

[٣] أبو تمام، ديوان الحماسة مج٢، ص ص ٢٩١-٢٩٢.

[٤] السكري، شرح أشعار الهذليين مج٢، ص٥٩٧ . الحاجم: المداوي. ولاءمها: وافقها، واللدود: الذي يسقي فيلد في شق فمه.

[٥] ابن حبيب، المحبر، ص ٤٧١.

[٦] المصدر نفسه ص ٣٥٣. وأمات: أمهات.

أي: لا أنسى[١].

وقال المغيرة بن الأخنس في يوم الدار:

واللهِ أتركه ما دام بي رمق   حتى يزايل بين الرأس والعنقِ

أي: لا أتركه[٢].

وقالت الخنساء:

فآليت أبكي على هالك   وأسأل نائحةً مالها

أي: لا أبكي[٣].

وقال عامر بن الطرب العدواني في الخمرة:

أقسمت بالله أسقيها وأشربها   حتى يفرق ترب القبر أوصالي

أي: لا أسقيها[٤].

ولباعث بن صريم اليشكري:

إني ومن سمك السماء مكانها   والبدر ليلة نصفها وهلالها

آليت أثقف منهم ذا لحية   أبدًا فتنظر عينه في مالها

أي : لا أثقف[٥].

ولقيس بن عاصم حينما سكر وغمز عكنة ابنته فحرم الخمر:

فلا والله أشربها حياتي   ولا أدعو لها أبدًا نديما

أي: لا أشربها[٦].

ولحسان بن ثابت:

أقسمت أنساها وأترك ذكرها   حتى تغيب في الضريح عظامي

أي: لا أنساها[٧]. وللهذلي:

فإما أعش حتى أدب على العصا   فوالله أنسى ليلتي بالمسالم

أي: لا أنسى[١].

---

[١] السكري، شرح أشعار الهذليين مج٢، ص٥٨٩ وأقْتُدُ: قيل ماء، وقيل موضع. والروائع جمع رائعة، وهي ما يريع ويخيف.

[٢] الدباسي، الشعر في مكة مج٢، ص٧٨٢.

[٣] ابن عبد ربه، العقد الفريد مج٦ ، ص٣١.

[٤] ابن حبيب، المحبر، ص ٢٣٩.

[٥] ابن عبد ربه، العقد الفريد مج٦، ص ٦٨، وأبو تمام، ديوان الحماسة مج١، ص ٢٠٧.

[٦] أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني مج١٢، ص١٤٩، وابن حبيب، المحبر، ص ٢٣٩.

[٧] حسان بن ثابت، ديوانه ص ١٠٨.

وقال مقيس بن صبابة في الخمر (وهو مثل بيت قيس بن عاصم السابق):

فلا والله أشربها حياتي		طوال الدهر ما طلع النجوم

يريد: لا أشربها[٢]. وهما مثل السابق في القضية الأولى (فلا والله تهبط تلعة).

وللعجير السلولي:

وعاذت بحقويْ عامر وابن عامر		ولله [قد] بتت علي يمينُ

تنالونها أو يخضب الأرض منكم		دم خر عنه حاجب وجبينُ

أي: لا تنالونها[٣].

- وأعود إلى حذف (لا) في غير القسم .

قال خراش بن زهير:

وأبرح ما أدام الله قومي		بحمد الله منتطقًا مجيدا

أي: لا أبرح[٤].

وقال خليفة بن براز:

تنفك تسمع ما حييت		بهالك حتى تكونه

أي: لا تنفك[٥].

وذهب ابن عصفور إلى أنه ضرورة حيث أضمر (لا) النافية في غير جواب القسم[٦].

سبقت الإشارة إلى أن أكثر النحاة يربطون بين حذف (لا)، والقسم بالذات، وهو ظاهر كلام الزمخشري حيث أورد بيت (تنفك تسمع) في الفصل المخصص للقسم مع أبيات حذفت فيها (لا) مع القسم، ولم يصرح بعدم تقدير قسم فيه مما يرجح أنه يعدّ (تنفك جواب قسم، والتقدير: والله لا تنفك)، كما قدروا ذلك في البيت السابق (تلاقونه) أي والله لا تلاقونه، وبيت ابن هرمة السابق (ولا أراها تزال)، أي: ولا أراها والله تزال، مع ورود تقدير آخر فيه، وهو أن (لا) موجودة لم تحذف، بل فصل بينها وبين تزال بـ(أراها)، ويضعف هذا التقدير الأخير أننا نكون أيضًا فصلنا بين العاطف (و)

---

(١) السكري، شرح أشعار الهذليين مج٢، ص ٦٠١.

(٢) ابن حبيب، المحبر، ص ص ٢٤٠.

(٣) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني مج١١ ، ص ١٤٨.

(٤) السيوطي، همع الهوامع مج٢، ص ٦٦، والأشموني، شرحه على الألفية مج١، ص٢٢٨، وابن عقيل، شرحه ألفية ابن مالك مج١، ص ٢٦٤.

(٥) الزمخشري، المفصل في علم العربية ص ٢٦٨، وابن بعيش ، شرح المفصل مج٧ ، ص ١١٠، وابن مالك الابن، شرحه ألفية أبيه ص ٥١، والسيوطي، همع الهوامع مج٢، ص ٦٦.

(٦) انظر: البغدادي، خزانة الأدب مج٤، ص ٤٨، وعبد الحميد، منحه الجليل مج١، ص ٢٦٤.

وبين الفعل (أرى) إذا لم نجعل العاطف داخلاً على (لا) نفسها. ولكن هذا الذي رجحته من كلام الزمخشري ذهب البغدادي إلى خلافه حيث نقل عن الرضي معلقًا على بيت (تنفك تسمع ...): "وظاهره أن حذف النافي ... يجوز حذفه من هذه الأفعال سواء وقعت جواب قسم كالآية والبيت الذي بعده، أم لا كهذا البيت، فإنه لم يتقدمه شيء، وهو الظاهر أيضًا من كلام الزمخشري في المفصل، ومن كلام ابن هشام في شرح الشواهد. ولكن ابن يعيش قيد حرف النفي بكونه (لا)، وأنه لا يحذف من هذه الأفعال إلا إذا وقعت جواب قسم ... وذلك لأمن اللبس"[١]، وقال أيضًا: "قد مثل بهذا البيت [يعني ابن يعيش] تبعًا لصاحب المفصل، وتنفك فيه ليست جواب قسم"[٢]. وواقع الأمر عند الزمخشري ما ذكرته، أما حقيقة الحال عند ابن يعيش فكما قال[٣]. غير أن ما قاله ابن يعيش من أنه (لا يحذف النافي إلا مع القسم) ليس رأيه وحده، بل هو رأي الأكثرية، كأبي حيان "إن كان جواب قسم ملفوظ به، أو مقدر، جاز حذف (لا)"[٤]، والأشموني: "ولا يحذف النافي معها قياسًا إلا في القسم كما رأيت، وشذ قوله: وأبرح ما أدام"[٥]. كذلك وصف العيني بيت (وأبرح ما أدام ..) بالشذوذ وذلك "لأن (لا) لا تحذف فيه إلا بعد القسم"[٦]، وغيرهم.

أما بيت (وأبرح ما أدام الله قومي ....) فقد مرَّ كلام ابن عصفور والأشموني والعيني بعدم تقدير قسم فيه، كما صرح بذلك المرادي[٧]، وكما صرح به المتأخرون كالجرجاوي[٨]، والصبان[٩]، وعبد الحميد[١٠]، وغيرهم. ومن هذا البيت (قيل لا حذف والمعنى أزول عن أن أكون منتطقًا مجيدًا، أي صاحب نطاق وجواد ما أدام الله قومي فإنهم يكفونني ذلك ...[وعقب البغدادي على ذلك بقوله]: "ودعوى عدم الحذف تعسف وقع في أشد ما فر منه"[١١]، كما " قال بعض النحاة إن أبرح في البيت غير

---

[١] البغدادي، خزانة الأدب مج ٤ ص ٤٧، وأيد البغدادي الرضي بقوله: لله دره ص ٤٨. وانظر: ابن هشام، مغني اللبيب مج٢، ص ٦٣٧ حيث جعل (تلاقونه) حذف من غير قسم.

[٢] البغدادي، خزانة الأدب مج ٤، ص٤٧.

[٣] ابن يعيش، شرح المفصل مج٧، ص ص ١٠٩-١١٠.

[٤] أبو حيان، ارتشاف الضرب مج ٢ص ٢٨٨.

[٥] الأشموني، شرحه على ألفية ابن مالك مج١ ص ٢٢٨.

[٦] شرح الشواهد للعيني مج١ ص٢٢٨.

[٧] البغدادي، خزانة الأدب مج٤ ص٤٨.

[٨] انظر، الجرجاوي، شرح شواهد ابن عقيل ص ص ٤٣-٤٤.

[٩] انظر الصبان، حاشيته على الأشموني مج١ ص ٢٦٤.

[١٠] انظر، عبد الحميد ، منحة الجليل مج١ ص٢٦٤.

[١١] البغدادي، خزانة الأدب مج٤ ص٤٨.

منفي في التقدير فالمرفوع فاعل، والمنصوب حال، ومعناه أستغني بحمد الله عن أن أكون منتطقًا مجيدًا ما أدام الله قومي"[١]. وهو تفصيل إعرابي لما انتقده البغدادي، قصد منه الحيلولة دون وقوع حذف (لا) قبل الفعل المضارع في غير القسم، وهذه الأمور الثلاثة – أعني – كون النافي (لا)، والفعل بصيغة المضارع وتقدم القسم، أشار إليها ابن يعيش[٢]، والأشموني[٣]، بعضها بطريقة صريحة، وبعضها بطريقة ضمنية والمرادي ذكرها صراحة[٤]، وتابعهم المتأخرون كالجرجاوي[٥]، والصبان[٦]، وعبد الحميد[٧]، وغيرهم. ويظهر من كلام الأشموني أنها متى توفرت هذه فحذف (لا) قياس، فإن فقد شرط منها كالبيت (وأبرح ما أدام الله ....) فحذفها شاذ، لعدم تقدم القسم[٨]. كما وصف المرادي هذا البيت بالشذوذ، لأن النافي لا يحذف إلا بعد القسم[٩]، وكذلك الجرجاوي[١٠]، وعلل ابن يعيش تحديد (لا) من بين حروف النفي فقال: "وإنما لم يجز حذف غيرها، لأنه لا يجوز حذف (لم، وما) لأن (لم) قد تكون عاملة فيما بعدها والحرف لا يجوز أن يحذف ويعمل. وكذلك (ما) قد تكون عاملة في لغة أهل الحجاز"[١١]، وأخذ البغدادي على هذا بأن الكلام هنا في حروف النفي الداخلة على الأفعال وما الحجازية داخلة على المبتدأ والخبر فأين هذا من ذاك[١٢]، والصحيح أن تقدير (لا) في كل الأبيات السابقة التي حذف منها النافي أسبق إلى اللسان، ولكن تقدير حرف ناف غيرها مثل (ما) لا يأباه المقام، بل ساوى ابن معط بين (لا، وما) في هذا الحذف عند أمن اللبس، وأنشدوا (لمجهول):

فوالله ما نلتم وما نيل منكم ... بمعتد وفق ولا متقارب

قالوا أصله (ما ما نلتم)[١٣].

---

[١] الجرجاوي، شرح شواهد ابن عقيل ص ٤٤.
[٢] ابن يعيش، شرح المفصل مج٧ ص١٠٩، نص على القسم ، وكون المحذوف (لا).
[٣] الأشموني، شرحه للألفية مج١ ص٢٢٨ نص على القسم.
[٤] البغدادي، خزانة الأدب مج٤ص ٤٨.
[٥] الجرجاوي، شرح شواهد ابن عقيل ص٤٤.
[٦] الصبان، حاشيته على الأشموني مج١، ص٢٢٨.
[٧] عبد الحميد، منحة الجليل مج١، ص٣٦٥.
[٨] الأشموني، شرحه لألفية ابن مالك مج١، ص ٢٢٨.
[٩] البغدادي، خزانة الأدب مج٤، ص٤٨.
[١٠] الجرجاوي، شرح شواهد ابن عقيل ص٤٤.
[١١] ابن يعيش، شرح المفصل مج٧ص١٠٩، وانظر، ابن هشام، مغني اللبيب مج٢، ص٦٣٨.
[١٢] البغدادي، خزانة الأدب مج٤ ص٤٧.
[١٣] ابن هشام، مغني اللبيب مج٢، ص٦٣٨.

ويمكن أن يكون بيت النابغة:

تزالُ الأرضُ إما مت خفًا وتحيا ما حييت بها ثقيلا

مثل بيت (وأبرح) حيث فسره بعضهم "إن مت صارت الأرض خفيفة بموتك، وإن تحيا بقيت ثقيلة"[١]، فتكون لا حذفت منه من غير تقدير قسم على الأرجح.

وأما (فلا وأبي الدهماء زالت عزيزة) ففيه (زال) فعل ماضٍ، وحذف منه النافي (لا) على رأي من قال بذلك كما مر تفصيله، وذكر هناك أن المرادي جعله شاذًا أيضًا، لكونه غير مضارع. وهذا يعني أن الحذف مع توفر هذه الشروط عند هؤلاء قياس، والحذف عند فقد شيء منها شاذ أي مخالف للقياس، وقد بين بعضهم كما سبق شواهد شاذة للحذف مع عدم وجود قسم، وكذلك الحذف مع الفعل الماضي، لكنهم لم يأتوا بشاهد شاذ لكون النافي المحذوف غير (لا) بصفة محددة، ويظهر أنه هذا فيه شيء من الصعوبة.

على أن العربية ليست وحدها في هاتين الظاهرتين، بل تشاركها العبرية[٢]. ثم تحسن الإشارة إلى الفعل الذي حذفت منه (لا) أيخص (يزال ويبرح، ويفتأ، وينفك) الناسخة، أم أنه يعم كل الأفعال؟ بالرجوع إلى الشواهد السابقة في هذه الظاهرة بما فيها النصوص النثرية نجدها بلغت خمسة وأربعين شاهدًا. منها آية (أن تضلوا) بغير قسم (وأبرح ما أدام الله قومي، و: تنفك تسمع ما حييت) صرح أكثر من واحد من النحاة بأنها في غير القسم، وثالثها (تزال الأرض إما مت خفًا) هذه الشواهد كلها منها تسعة فقط جواب القسم فيها فعل ناسخ، أي بنسبة تساوي حوالي ٣٠% وهذا يعني أن الفعل المضارع الواقع جوابًا للقسم لا يشترط فيه أن يكون فعلاً ناسخًا لكي تحذف منه (لا)، وإن كانت كتب النحو الخالص تدرج الظاهرة تحت باب كان وأخواتها وبخاصة الأربعة السابقة (يزال، يبرح يفتأ، ينفك)؛ لأن مرد ذلك، فيما يبدو، يعود إلى الشاهدين الرئيسيّين في الظاهرة عند النحاة، وهما الآية الكريمة تاللهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ ، وبيت امرئ القيس: (فقلت يمين الله أبرح قاعدًا) وهما كما ترى يتعلقان في هذه الأفعال الأربعة فغلبوا هذا الجانب.

---

[١] المرتضى، أماليه مج١، ص٩٧.

[٢] برجشتراسر، التطور النحوي ص ص ١٧٤-١٧٥.

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم.
الأشموني؛ علي بن محمد
شرحه على ألفية ابن مالك، مطبعة عيسى البابي الحلبي (دار إحياء الكتب العربية) من غير تاريخ .
وبهامشه: ١- حاشية الصبان على شرح الأشموني .
٢- شرح الشواهد للعيني .
أنيس؛ إبراهيم
من أسرار اللغة، مكتبة الأنجلو المصرية، الطبعة الثالثة ١٩٦٦م.
برجشتراسر؛ ج.
التطور النحوي، تعليق: رمضان عبد التواب، مطبعة المجد، القاهرة ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م .
البغدادي؛ عبد القادر بن عمر
خزانة الأدب، ولب لباب لسان العرب، دار صادر – بيروت – (صورة من طبعة بولاق).
أبو تمام؛ حبيب بن أوس
ديوان الحماسة، بشرح التبريزي، مكتبة النوري، دمشق، من غير معلومات أخرى.
التنوخي؛ عبد الباقي عبد الله بن المحسن
القوافي، تحقيق: عوني عبد الرزاق، مكتبة الخانجي بمصر، الطبعة الثانية ١٩٧٨م.
الجرجاني؛ عبد القادر
المقتصد في شرح الإيضاح، تحقيق: كاظم بحر المرجان، دار الرشيد للنشر - بغداد ١٩٨٢.
الجرجاوي؛ عبد المنعم
شرح شواهد ابن عقيل، مطبعة عيسى البابي الحلبي (دار إحياء الكتب العربية)، من غير تاريخ
ابن الجزري؛ محمد بن محمد

النشر في القراءات العشر، عناية: على محمد الضباع، مطبعة مصطفى محمد بمصر، من غير تاريخ.
الجوهري؛ إسماعيل بن حماد
الصحاح: تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، مصر، الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.
حاتم الطائي
ديوانه، تحقيق: عادل سليمان جمال، مطبعة المدني، القاهرة (من غير تاريخ).
ابن حبيب؛ أبو جعفر محمد بن أمية
المحبر، تحقيق: إيلزه ليختين شتيتر، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد ١٣٦١هـ -١٩٤٢م .
حسان بن ثابت
ديوانه، تحقيق: سيد حنفي حسنين، دار المعارف، القاهرة، تاريخ المقدمة ١٩٧٣م.
الحصري؛ أبو إسحاق القيرواني
زهر الآداب، وثمر الألباب، عناية: زكي مبارك، مطبعة حجازي، القاهرة، الطبعة الثانية (من غير تاريخ).
الحطيئة
ديوانه(عن ابن الأعرابي، وأبي عمرو الشيباني)، المؤسسة العربية للطباعة والنشر – بيروت (من غير تاريخ).
أبو حيان؛ محمد بن يوسف بن علي
ارتشاف الضرب من لسان العرب، تحقيق: مصطفى أحمد النماس، مطبعة المدني بمصر، طبعة أولى ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.
الدباسي؛ عبد الرحمن
الشعر في مكة في الجاهلية وصدر الإسلام (رسالة دكتوراه، جامعة الملك سعود، مطبوعة على الآلة الكاتبة، ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م) .
الرازي؛ محمد بن عمر
التفسير الكبير، المطبعة البهية المصرية، ١٣٥٧هـ- ١٩٣٨م.
الزجاجي؛ عبد الرحمن بن إسحاق

أماليه، تحقيق، عبد السلام محمد هارون، المؤسسة الحديثة للطبع والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى – ١٣٨٢هـ .
الزمخشري؛ محمود بن عمر
-الكشاف عن حقائق التنزيل، مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر، الطبعة الآخيرة ١٣٨٥هـ- ١٩٦٦م. وبهامشه: الانتصاف فيما يتضمنه الكشاف من الاعتزال لأحمد بن محمد بن المنير.
-المفصل في علم العربية، دار الجيل. بيروت، الطبعة الثانية، من غير تاريخ.
السكرى؛ الحسن بن الحسين
شرح أشعار الهذليين، تحقيق، عبد الستار أحمد فراج، ومحمود محمد شاكر، مكتبة دار العروبة بالقاهرة، مطبعة المدني بالقاهرة، من غير تاريخ.
السندوبي؛ حسن
شرح ديوان امرئ القيس، المكتبة الثقافية بيروت، الطبعة السابعة ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م.
سيبويه؛ أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر
الكتاب، المطبعة الأميرية ببولاق – القاهرة .
السيوطي؛ عبد الرحمن
-الاتقان في علوم القرآن، عالم الكتب، بيروت (مصورة طبعة القاهرة ١٣٧٠هـ - ١٩٥١م).
-همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، تحقيق، عبد العال سالم مكرم، دار البحوث العلمية، الكويت ١٣٩٤هـ - ١٩٧٥م.
الصبان؛ محمد بن علي
حاشيته على الأشموني (انظر: الأشموني).
الصولي؛ محمد بن يحيى
شرحه لديوان أبي تمام، تحقيق، خلف رشيد نعمان وزارة الثقافة والفنون – العراق، دار الطليعة للطباعة والنشر – بيروت، من غير تاريخ .
الطبري؛ أبو جعفر محمد بن جرير
تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم، دار المعارف بمصر ١٩٧٠م.
عبد الحميد؛ محمد محيي الدين

-الانتصاف من الإنصاف (بهامش الإنصاف في مسائل الخلاف للأنباري) دار الفكر (من غير تعيين للمكان والتاريخ).
-منحة الجليل (انظر: ابن عقيل).
ابن عبد ربه؛ أحمد بن محمد
العقد الفريد، تحقيق، مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٤ه ١٩٨٣م.
ابن عقيل؛ عبد الله
شرحه على ألفية ابن مالك، من غير ذكر للمطبعة، الطبعة الرابعة عشرة ١٣٨٤هـ ١٩٦٤م (وبهامشة: منحة الجليل، لمحمد محيي الدين عبد الحميد).
العكبري؛ عبد الله بن الحسين بن عبد الله
إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م.
أبو علي الفارسي؛ الحسن بن أحمد
-المسائل البصريات ، تحقيق ، محمد الشاطر أحمد ، مطبعة المدني ، القاهرة ، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م.
-المسائل العسكرية ، تحقيق ، محمد الشاطر أحمد ، مطبعة المدني ، القاهرة ، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ ١٩٨٢م.
العيني؛ محمد بن أحمد
شرح الشواهد (انظر: الأشموني)
أبو الفرج الأصفهاني؛ علي بن الحسين
الأغاني، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، من غير معلومات أخرى.
الفراء؛ يحيى بن زياد
معاني القرآن، تحقيق، محمد على النجار، الدار المصرية للتأليف والترجمة مطابع سجل العرب، من غير تاريخ (الجزء الثاني)، وتحقيق عبد الفتاح شلبي، وعلى النجدي ناصف ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٢م، (الجزء الثالث).
ابن كثير؛ أبو الفداء إسماعيل
تفسير القرآن العظيم، دار الجيل – بيروت، الطبعة الثانية ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.
المالقي؛ أحمد بن عبد النور

رصف المباني في شرح حروف المعاني، تحقيق، أحمد خراط، دار القلم بدمشق الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م.
ابن مالك الابن؛ محمد بن محمد بن مالك
شرحه على ألفيه أبيه، منشورات ناصر خسرو– بيروت (مصورة من مطبعة طهران ١٣١٢هـ).
المبرّد؛ محمد بن يزيد
-الكامل في اللغة والأدب، الناشر: مكتبة المعارف – بيروت – (من غير تاريخ).
-المقتضب، تحقيق، محمد عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب، بيروت (من غير تاريخ).
المرادي؛ الحسن بن قاسم
الجني الداني في حروف المعاني، تحقيق، فخر الدين قباوة، ومحمد نديم فاضل، منشورات دار الآفاق الجديدة – بيروت – طبعة ثانية ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م.
المرتضى؛ علي بن الحسين
أماليه (غرر الفوائد، ودرر القلائد) تحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم، مطبعة عيسى البابي الحلبي بمصر، الطبعة الأولى ١٣٧٣هـ- ١٩٥٤م.
المقري؛ أحمد بن محمد
-نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة بمصر، الطبعة الأولى ١٣٦٧هـ- ١٩٤٩م.
٤٤) ابن المنير ، أحمد بن محمد
-الانتصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال (انظر ، الزمخشري ، الكشاف).
نصار؛ حسين
معجم آيات القرآن الكريم، مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر، الطبعة الثانية ١٣٨٥هـ- ١٩٦٥م.
الهروي؛ علي بن محمد
الأزهية في حروف المعاني، تحقيق: عبد المعين الملوحي، مجمع اللغة العربية بدمشق ١٣٩١هـ- ١٩٧١م.

ابن هشام؛ عبد الله جمال الدين بن يوسف بن عبد الله
مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة المدني، القاهرة (د.ت)
ابن يعيش؛ يعيش بن على
شرح المفصل، المطبعة المنيرية بمصر (من غير تاريخ).